الليالي العربية

الجزء الأول

إصلاح محمد وائل الكردي

difyel.com

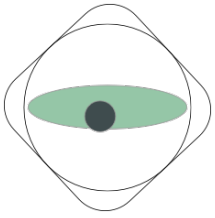

فـــهـرس

١ - لا تَأْمَنَنَّ إلى النساء، أو، حكاية: شمسان، وشمر يهرعش، والجِنّيّ

٢ - إنَّ وَرَاءَ الأكَمةِ، مَا وَرَاءَهَا، أو حكاية: الحمار، والثور، والتاجر

٣ - إنَّ في الشَّرِّ خِيَاراً، أو حكاية: التاجر، مع الجِنِّيّ

٤ - بكيتك يا بني، بدمع عيني، أو حكاية: التاجر، وزوجته، وزوجته

٥ - وإنَّ الهَوَان، لِلَّئيمِ، مَرْأمَة، أو حكاية: الشيخ، وزوجته، وأخويه

٦ - إن من البيان لسحرا، أو حكاية: الشيخ، والبغلة

٧ - فَلا تَجزَع وَإن أَعسَرتَ يَوماً، أو حكاية: الصياد، والعفريت

٨ - إنَّ الطَّبيبَ لهُ عِلْمٌ يُدِلُّ به، أو حكاية: الملك فامان، والحكيم رَوِيَان

٩ - حيث لا ينفع الندم، أو حكاية: الببغاء، والزوج

١٠ - أسرفت يا إبليس في الوسواس، أو حكاية: الوزير، وابن الملك

١١ - لَوْ أَنْصَفُوا أُنْصِفُوا، أو حكاية: كيف تكلمني رأسك

١٢ - هذا وقت المروءات، أو حكاية: الدَّمْ الدَّمْ، الهَدْمْ الهَدْمْ

١٣ - وَجَدتُ الْهَوَى، نيراناً تَلَظّى، أو حكاية: الملك، والسمك المسحور

١٤ - المُحِبّ الوامِق، أو حكاية: حمَّال بغداد، والفتيات

١٥ - إلامَ التَواني، عَن قِيامٍ، بِواجبْ، أو حكاية: الفتيات، وضرب السوط

١٦ - مَا كُلُّ نُطْقٍ، لَهُ جَوَابٌ، أو حكاية: الملك، والغزالة

١٧ - وامرِئٍ، وَمَا اخْتَار، أو حكاية: الأمير والقبر

١٨ - تَرَوْنَ بُلُوغَ المَجْدِ، أنّ ثيَابَكُمْ، أو حكاية: أميرة الزغاوة، وحَلاَوَة الجَمَال

١٩ - فلربّ شهوة ساعةٍ، أو حكاية: عجيب، ابن ملك البجا

٢٠ - إلاَّ عداوةَ، من عَادَاكَ، عن حَسَدٍ، أو حكاية: زبيدة، وعبدة النار

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

٢١ - البيتُ، لا يُبْتَنَى، إلاَّ له، عَمَدٌ، أو حكاية: صافية، والقبلة

لا تَأْمَنَنَّ إلى النساء، أو، حكاية: شمسان، وشمر يهرعش، والجِنّيّ

قد حكي، والله اعلم، وأحكم، وأعز وأكرم، وألطف وارحم، إنه كان، في ما مضى وتقدم، وسلف من الزمن، ملك من ملوك قحطان، صاحب جند واعوان، وخدم وحشم، وكان له ولدان، و كانا فارسين بطلين، و كان الكبير، قد ملك البلاد، وحكم بالعدل بين العباد، وأحبه أهل بلاده ومملكته، وكان اسمه الملك شمسان، وكان أخوه الصغير، اسمه، الملك شمر يهرعش، وكان ملك سمرقند.

ولم يزل الأمر مستقيما في بلادهما، وكل واحد منهما، في مملكته، حاكم عادل في رعيته، مدة عشرين سنة، في غاية البسط، والإنشراح، ولم يزالا على هذه الحالة، إلى ان اشتاق، الملك الكبير، إلى أخيه الصغير، فأمر وزيره، أن يسافر إليه، ويحضر به، فأجابه بالسمع والطاعة، وسافر حتى وصل بالسلامة، ودخل على أخيه، وبلغه السلام، وأعلمه ان أخاه مشتاق إليه، وقصده أن يزوره.

فأجاب شمر يهرعش بالسمع والطاعة، وتجهز للسفر، وأخرج خيامه، وجماله، وبغاله، وخدمه واعوانه، وأقام وزيره حاكماً في بلاده، وخرج طالباً بلاد أخيه، فلما كان في نصف الليل، تذكر حاجة نسيها في قصره، فرجع ودخل قصره، فوجد زوجته تنادم (نَادَمَهُ عَلَى الشَّرَابِ: جَالَسَهُ عَلَيْهِ، سَامَرَه) مغنيا، وهو يضرب بالعود. فلما رأى هذا، اسودت الدنيا في وجهه، وقال في نفسه: إذا كان هذا الامر، قد وقع، وأنا ما فارقت المدينة، فكيف حال هذه الخائنة، إذا غبت عند أخي مدة؟ ثم، إنه سل سيفه، وضرب الإثنين، فقتلهما، ورجع من وقته وساعته، وأمر بالرحيل.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وسار إلى أن وصل إلى مدينة أخيه، ففرح أخوه بقدومه، ثم خرج إليه ولاقاه، وسلم عليه، وفرح به غاية الفرح، وزين له المدينة، وجلس معه يتحدث بانشراح، فتذكر الملك شمر يهرعش، ما كان من أمر زوجته، فحصل عنده غم زائد، واصفر لونه، وضعف جسمه. فلما رآه اخوه على هذه الحال، ظن في نفسه، ان ذلك بسبب مفارقته بلاده، وملكه، فترك سبيله، ولم يسأل عن ذلك.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، إنه قال شمسان، في بعض الايام: يا أخي، إني أراك، ضعف جسمك، واصفر لونك.

قال شمر يهرعش: يا أخي، إن بباطني جرح، ولم يخبره، بما رأى من زوجته.

قال شمسان: إني أريد، ان تسافر معي، إلى الصيد والقنص، لعلك ينشرح صدرك.

فأبى شمر يهرعش ذلك، فسافر أخوه وحده إلى الصيد، وكان في قصر الملك، شبابيك، تطل على بستان أخيه، فنظر، وإذا بباب القصر، قد فتح، وخرج منه، عشرون جارية، وعشرون عبداً، وامرأة اخيه تمشي بينهم، وهي بديعة الحسن والجمال، عجيبة القد والاعتدال، حتى وصلوا إلى فسقية (حوضٌ من الرُّخام ونحوه مستدير غالبًا، تمجُّ الماءَ فيه نافورة، ويكون في القصور والحدائق والميادين)، وجلسوا مع بعضهم يتنادمون ويشربون،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ونحو ذلك، حتى ولى النهار، فلما رأى ذلك شمر يهرعش، قال في نفسه : والله إن بليتي، أخف من هذه البلية، وهان ما عنده من القهر والغم، وقال : هذا أعظم مما جرى لي، ولم يزل، في أكل وشرب.

وبعد هذا، جاء أخوه شمسان، من السفر، فسلما على بعضهما، ونظر الملك شمسان، إلى أخيه الملك، شمر يهرعش، وقد رد لونه، واحمر وجهه، وصار يأكل بشهية، بعدما كان قليل الأكل، فتعجب من ذلك، وقال: يا أخي، كنت أراك مصفر اللون، والوجه، والآن قد رد إليك لونك، فأخبرني بحالك.

قال شمر يهرعش: أما تغير لوني، فاذكره لك، واعف عني، من إخبارك برد لوني.

قال شمسان: أخبرني أولاً، بتغير لونك، وضعفك، حتى أسمعه.

قال شمر يهرعش: يا أخي، إعلم، أنك لما أرسلت وزيرك إلي، يطلبني للحضور بين يديك، جهزت حالي، وقد برزت من مدينتي، ثم إني تذكرت الخرزة، التي اعطيتها لك، في قصري، فوجدت زوجتي، تنادم مغنيا، فقتلتهما، وجئت إليك وانا متفكر في هذا الامر، فهذا سبب تغير لوني، وضعفي، واما رد لوني، فاعف عني، من أن أذكره لك.

فلما سمع شمسان كلامه، قال: أقسمت عليك بالله، أن تخبرني، بسبب رد لونك.

فأعاد عليه أخوه جميع ما رآه، فقال شمسان: مرادي أن أنظر بعيني.

قال شمر يهرعش: إجعل أنك مسافر للصيد والقنص، واختفي عندي، وانت تشاهد ذلك، وتحققه عياناً.

فنادى شمسان من ساعته بالسفر، فخرجت العساكر والخيام، إلى ظاهر المدينة، وخرج شمسان، ثم إنه جلس في الخيام، وقال لغلمانه: لا يدخل عليّ أحد.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم إنه تنكر، وخرج مختفيا، إلى القصر الذي فيه أخوه، وجلس في الشباك المطل على البستان، ساعة من الزمان، وإذا بالجواري، وسيدتهم، دخلوا مع العبيد، وفعلوا كما قال أخوه، واستمروا كذلك إلى العصر.

فلما رأى الملك شمسان ذلك الأمر، طار عقله من رأسه، وتذكر قول الشاعر:

لا تَأْمَنَنَّ إلى النساء
ولا تثق بعُهُودِهِنَّ
فَرِضَاؤُهُنَّ وسُخْطُهُنَّ
مُعَلَّقٌ بِفُرُوجِهِنَّ
يَبْدينَ وُداً كاذِباً
والغَدْرُ حَشْو ثِيابِهِنَّ
بِحَديثِ يُوسُفَ فاعْتَبِرْ
متَحَذِّراً مِنْ كَيْدِهِنَّ
أَوَمَا تَرَى إبْلِيسَ أَخْ
رَجَ آدَماً مِنْ أَجْلِهِنَّ
لا تأمننَّ من النساء ولو أخاً
ما في الرِّجالِ على النِّساءِ أَمِيْنُ
إِنَّ الأَمِيْنَ وإِنْ تَعَفَّفَ جُهْدَهُ
لا بُدَّ أَنَّ بِنَظْرَةٍ سَيَخُونُ
القبر أوفي من وثقت بعهده
ما للنِّساءِ سِوَى القُبورِ حُصُونُ

قال شمسان لأخيه: قم بنا نسافر، على حالنا، حتى ننظر، هل جرى لأحد، مثل ما جرى لنا، وإلا، موتنا خير من حياتنا.

فأجابه أخوه لذلك، ثم، إنهما خرجا من باب سري في القصر، ولم يزالا مسافرين أيامًا وليالٍ، إلى أن وصلا إلى شجرة، في وسط مرج، عندها عين، بجانب البحر المالح، فشربا من تلك العين، وجلسا يستريحان.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلما كان بعد ساعة، مضت من النهار، وإذا بالبحر قد هاج، وطلع منه عمود أسود، صاعد إلى السماء، وهو قاصد تلك المرجة، فلما رأيا ذلك، خافا، وطلعا إلى أعلى الشجرة، وكانت عالية، وصارا ينظران، ماذا يكون الخبر.

وإذا بجني، طويل القامة، عريض الهامة، واسع الصدر، وهو عفريت، من عفاريت سليمان عليه السلام، على رأسه صندوق، عليه أربعة قفول، طلع إلى البر، وأتى الشجرة التي هما فوقها، وجلس تحتها، فحط الصندوق، واخرج من فخذه، أربعة مفاتيح، وفتح الأقفال، وأخرج منه علبة، ثم فتحها، فخرجت منها صبية، بهية، تامة القامة، حلوة المبسم، وجهها كأنه الشمس المضيئة، فتذكر شمسان، قول بعضهم:

كفّ لَوْماً غَداً يقوي المَلُوما
ويَزيدُ الغَرامُ عِشقاً عَظِيمْا
إن أكُن عاشقاً فما آتِ إلا
ما أتَتْهُ الرِّجالُ قَبْلي قَدِيْما
إنّما يَكْثُرُ التَّعَجُّبُ مِمَّنْ
كان مِنْ فِتنَةِ النِّساءِ سَلِيماَ

فنظر اليها العفريت، وكان يحبها، فقال: يا سيدة الحرائر، يا من لا أحد آنسها غيري، يا حبيبة قلبي، أريد أن أنام قليلًا، ثم وضع الجنيّ، رأسه على حجرها، ونام، وكان شخيره، مثل الرعد.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ورفعت الصبية، رأسها إلى أعلى الشجرة، فرأت الملكين، وهما فوق تلك الشجرة، فرفعت رأس الجني، بلطافة، من فوق ركبتيها، ووضعته على الأرض، ووقفت تحت الشجرة، وقالت لهما بالإشارة، انزلا، ولا تخافا من هذا العفريت.

فقالا لها: بالله عليك، أن تسامحينا من هذا الأمر.

فقالت لهما: بالله عليكما، أن تنزلا، وإلا نبهت عليكما العفريت، فيقتلكما شر قتلة.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فخافا، ونزلا إليها، فقامت تسامرهم وتنادمهم، واخرجت لهما من جيبها كيسًا، ونكثت منه، ثمانية وتسعون خاتمًا، فقالت لهما: أتدرون ما هذه؟

فقالا لها: لا ندري!

فقالت لهما: هم خواتم، ثمانية وتسعون رجلا، سامروني، على غفلة من هذا العفريت، فأعطياني خاتميكما، أنتما الاثنان الأخران.

فأعطياها، من يديهما خاتمين، فقالت: النِّسَاءُ شَقَائِقُ الأَقْوَامِ، وإن المرأة منا، كالمقادير، إذا أرادت أمرا، فلا أحد، يقدر أن يمنعها عنه، ولا يغلبها شيء.

فلما سمعا منها هذا الكلام، تعجبا غاية العجب، وقالا: يا الله، يا الله، لا حول ولا قوة الا بالله، نستعين بالله، على كيد النساء، لأن كيدهن، عظيم.

ثم قالت لهما: إذهبا، في حال سبيلكما، وقالت:

وَذَكَّرَني قَوماً حَفِظتُ عُهودَهُم
فَما عَرِفوا قَدري وَلا حَفِظوا عَهدي
أَكْثَرَ النَّاسُ في النِّسَاءِ وَقالُوا
إنَّ حُبَّ النِّسَاءِ جَهْدُ الْبَلاءِ
ليسَ حبُ النساءِ جهداً ولكنَ
قُرْبُ مَنْ لاَ تُحِبُّ جُهْدُ الْبَلاءِ

فرجع الاثنان، الى الطريق، وقالا لبعضهما: إذا كان هذا عفريتًا، وجرى له، أعظم مما جرى لنا، فهذا شيء، يسلينا.

ثم، إنهما رجعا على أعقابهما، وأمر شمسان، أن يدخلوا المدينة، فدخلوا، وطلع الى قصره، وأحضر وزيره، وأمره حالا، بقتل زوجته، والجواري والعبيد، فقتلهم الوزير كلهم، وأحضر غيرهم.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وصار الملك شمسان، لبغضه للنساء، يتزوج كل ليلة واحدة، وفي الصباح يقتلها، حتى فنيت البنات، وتباكت الأمهات، وضجت النسوان والاباء والوالدات، وصاروا يدعون على الملك بالآفات، ويشكوا الى خالق السماوات، ويستغيثوا سامع الدعوات، ومجيب الأصوات.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

إنَّ وَرَاءَ الأكَمةِ، مَا وَرَاءَهَا، أو حكاية: الحمار، والثور، والتاجر

ثم، إنه كان لوزير الملك شمسان، الذي كان يأمره، بقتل البنات، إبنتان، الكبيرة اسمها، لُبَابَة، والصغيرة اسمها، عزيزة، وكانت الكبيرة، قد قرأت الكتب، والمصنفات، والحكمة، وكتب الطب، وحفظت الاشعار، وطالعت الاخبار، وأقوال الناس، وكلام الحكماء والملوك، وهي عارفة لبيبة، حكيمة أديبة.

ثم إنه، لُبَابَة قالت لأبيها، يوما من الأيام: يا أبتاه، اريد أن أطلعك على شيء.

قال الوزير: وما هو؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قالت لُبَابَة: بالله يا أبتِ، اشتهي، ان تزوجني الملك شمسان، وإما، إني أكون سبب فداء لبنات المسلمين، وخلاص الخلق من القتل، او إني اموت، وأهلك كما هلك غيري ومات، وأكون بسواهم.

فلما سمع الوزير، كلام ابنته، اهتم وقال: بالله عليكِ، لا تخاطري بنفسك، أبداً.

قالت لُبَابَة: إنَّ الجبَانَ، حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ (يُشير، إلى أن الحَتْفَ إلى الجَبَان، أسرعُ منه إلى الشجاع، لأنه يأتيه، من حيث لا مَدْفَع له) مالي أراك، متغيرًا، حامل الهم والأحزان؟ لا بد من ذلك، وقد قال بعضهم:

قل لمن يحمل هماً
إن همًا لا يدوم
مثل ما يفنى السرور
هكذا تفنى الهموم

قال الوزير: يا ابنتي، إنَّ العَصا، قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْم (المثل يضرب، لمن إذا نُبِّه، انتبه)، وإن من لم يعرف، كيف يتصرف في الأمور، وقع في المحظور، ومن لم يحسب العواقب، ما له في الدهر صاحب، وقيل، إنَّ وَرَاءَ الأكَمةِ، مَا وَرَاءَهَا (يضرب، لمن يُفْشِي على نفسه، أَمْرَاً مستوراً)، وأخشى عليك، أن يحصل لكِ، ما حصل للحمار والثور، مع التاجر.

قالت لُبَابَة: وما الذي جرى لهما يا أبتِ؟

قال الوزير: إعلمي يا ابنتي، أنه كان لبعض التجار الأغنياء، مالاً غزيراً، ورجالا، ومواش وجِمالاً، وكان له زوجة وأولاداً، وكان يسكن البر، وكان الله تعالى، أعطاه، معرفة ألسُن الحيوانات، والطير، مُمتَحَن، وكان محكوم عليه، انه إذا فسر السر الى أحد، مات، فلا يُعلِم به أحد، خوفا على نفسه، من الموت.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وكان عنده في الدار، ثور وحمار، وكل منهم، مربوط على معلف، متقاربين لبعض، وجلس التاجر يوما، بقربهم، ومعه عائلته وأولاده، يلعبون أمامه، فسمع الثور، يقول للحمار: هنيئاً مريئا لك، فيما أنت فيه من الراحة، والخدمة، والكنس (النظافة) والرش (نضح الأرض بالماء: رشها، بلها) تحتك، ولك من يخدمك، ويطعمك الشعير المُغَرْبَل (المُنْتَقَى)، والماء الرائق، وأنا المسكين، يأخذوني من نصف الليل، ويُحَرِّثوني، ويركبوا على رقبتي شياً، يقال له النير (الخشبةُ المعترضةُ فوق عُنق الثَّوْر، أَو عنقَي الثَّوْرَيْن المقرونين، لجرّ المحراث أَو غيره) والمحراث، و أعمل طول النهار، وأشق الأرض، فاتعب ما لا أطيق، وأقاسي الضرب من الزراعة والعرقلة (مَا يَحُولُ دُونَ السَّيْرِ الطَّبِيعِيّ)، وتَتَهَرَّى (هرَى: ضربه بعصًا ضخمة) أجنابي، وتتسلخ رقبتي، ويستعملوني من الليل الى الليل، ويطلعوني الى دار البقر، ويلقوا لي الفول بالطين، والتبن بقصلة (قَصْلَةُ الزَّرْعِ: مَا عُزِلَ مِنْهُ، إِذَا نُقِّيَ، فَيُرْمَى بِهِ، أَوْ يُدَاسُ ثَانِيَةً)، وأبات في الخَرْء والبول، طول الليل، وانت في كنس ورش و مسح، ومعلف نظيف، مَلْآن تبن، وفي النادر يحدث لصاحبنا التاجر، حاجة يركبك فيها، ويعود إلى أثره، فأنت مستريح، وأنا تعبان، وأنت نائم، وأنا سهران، وأنا جائع، وأنت شبعان.

فلما فرغ الثور من كلامه، إلتفت الحمار إليه، وقال: يا مَتْعوس، ما كذب مَسْمَّاك، أبا ثور، وانت يا أبا ثور، ما عندك ولا فكر، ولا خبث، ولا تدري النصيح (الْمُخْلِصٌ في نُصْحِهِ، وَوُدِّهِ)، وتجهد روحك، وتقتل نفسك في راحة غيرك، أما سمعت المثل يقول، من عدم التوفيق (الإصلاح، سد طَرِيق الشَّرّ)، استبد الطريق، تخرج من الأذان، تقاسي العذاب والقتل والحرث.

اسمع يا ثور، لمّا يربطك الزرّاع، فاخبط، وانطح بقرونك، واضرب برجلك، وصح، وارقد ولا تقم، ولو ضربوك، فإن قمت فارقد ثانيًا، وإن رموا لك الفول، فلا تأكل منه شيا، بل اشتمّه وتأخر، ولا تذوقه، واقنع بالتبن والقشر، وإذا فعلت ذلك، تنظر أنه أوفق لك، وأرفق لراحتك.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلما سمع الثور، من الحمار، علم أنه ناصحا له، فشكره بلسانه، ودعا له، وقال: كفيت الأسوأ، يا ابا اليقظان.

وهذا كله يجري يا ابنتي، والتاجر سامع، وفاهم كلامهما.

ولما كان اليوم الثاني، أتى الزَرّاع إلى الثور، وأخذه، وركب عليه المحراث، واستعمله، فقصر الثور في عمله، وحرثه، وقد قبل وصية الحمار، فأخذ الزراع يضربه، فمكر الثور، وصار يقع ويقوم، حسبما علمه الحمار، الى أن اقبل الليل، فطلع به الزراع الى الدار، وربطه على المعلف، فبدَأَ الثور يضرب برجليه ويديه، ويصرخ بصوته، وتباعد عن المعلف.

فتعجب الزراع من قضيته، وأتاه بالفول والعلف، فشم الثور الفول، وتأخر، ونام بعيدا عنه، وبات يقمقم (قمقم الفقير ما على المائدة: جمعه، تتبَّع ما بقي عليها) بالتبن والقشر، إلى الصباح، فأتاه الزراع، فوجد المعلف، مَلْآن فول وتبن، ولم ينقص منه شيأً، ورأى الثور راقد، ونفخ بطنه، وحبس نفسه، وشائل رجليه، فحزن عليه الزراع، وقال: والله اليوم، الثور ضعيف مقصر، وهذا سبب، انه ما قدر أمس، أن يشتغل.

ثم جاء الزراع الى التاجر، وقال: يا مولاي، إن الثور مقصر ضعيف، ولم يأكل هذه الليلة، العلف، ولا ذاق منه شيأً.

وكان التاجر، قد علم بالأمر، فقال: خذ الحمار مكانه اليوم، واشدد عليه المحراث، واجتهد في استخدامه، حتى يوفي مكان الثور.

فرجع الزراع، وأخذ الحمار، فشد عليه المحراث، وخرج به الى الغَيْط (حقل)، فكان الزراع، لا يزال يضربه، حتى كاد أن يكسر أضلاعه، وتُسلَخ رقبته، فضربه وكَلِفَه (حَمَّلَهُ عَلَى مَشَقَّةٍ)، حتى حرث اليوم كله، مكان الثور.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

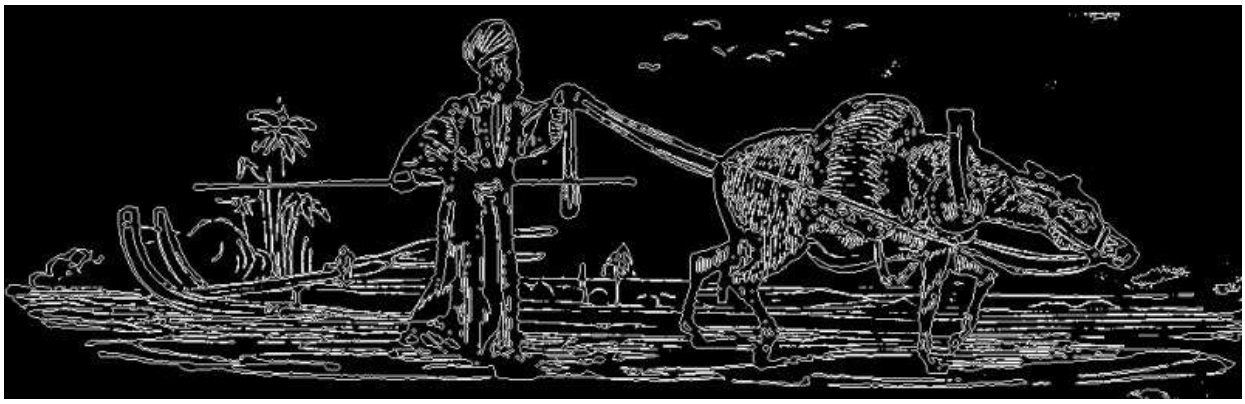

وأما الثور، فكان نهاره، مستريحا نائما يشخر، فقد أكل علفه كله، وشرب واستراح، وصار كل نهاره، يدعو للحمار، ويحمد رأيه عليه.

وأتى الليل، فطلع الزراع، بالحمار الى الدار، والحمار لا يقدر أن يحرك، لا يديه ولا رجليه، واذانه مرخيّة، فدخل به الزراع على الثور، فنهض الثور للحمار قائما، وقال: مَسَاءك الخير، يا أبا اليقظان، والله لقد صنعت معي جميلا، لا أقدر أن اصفه، جزاك الله عني خيراً، يا ابى اليقظان.

فلم يرد عليه الحمار، جوابًا، من غيظه، وندم أشد الندامة، وقال في نفسه: هذا كله جرى عليّ، من شؤم تدبيري، وكنت مقيما مستريحا بطولي، فما ضَرّنِي الا فضولي، فإن لم افعل معه حيلة، وارده الى ما كان عليه سابقاً، لهلكت.

ثم ذهب الحمار، إلى معلفه تعبان، والثور انبطح، وصار يدعو له بالخير، فانت يا ابنتي، كذلك تهلكي، بسوء تدبيرك، فاقعدي واسكني، ولا تلقي بنفسك إلى التهلكة، وانا ناصحٌ لَكِ، شافقٌ عليكِ.

فقالت لُبَابَة: يا أبتاه، إنَّما يَجْزِي الفَتى، لَيْسَ الجَملُ (أي إنما يَجْزِيك، مَنْ فيه إنسانية، لا من فيه بهيمية)، لا بد أن أتزوج، بهذا الملك.

فقال الوزير: ربما افعل بك، مثل ما فعل التاجر، بزوجته.

قالت لُبَابَة: وما فعل؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قال الوزير: إعلَمي، أنه بعد ما جرى، للحمار والثور، ذلك المجرى، خرج التاجر، ليلة من الليالي، الى دار البقر، وكان القمر بدر، فسمع الحمار، يقول للثور بلغته: يا أبا الثور، ماذا انت صانع غداة (ما بين الفجر، وطلوع الشمس)، إذا أتاك الزرّاع بالعلف، ماذا تفعل؟

أجابه الثور: وماذا أعمل، الا الذي علمتني إياه، ولا بقيت أفارقه، وإذا أتوني بالعلف، أمكر، وأتمارض، وأرقد، وأنفخ بطني.

فحرك الحمار رأسه، وقال: لا تفعل يا أبا الثور، تعرف أيُّشيءٍ سمعت، صاحبنا التاجر، يقول للزراع؟

قال الثور: أَيّ شيء؟

قال الحمار: وَصَّى إِلَيْهِ، إن كان الثور، لا يأكل علفه، وينهض قائما، فأعطه للجزار، ليذبحه ويسلخ جلده، وأطعم لحمه للفقراء والمساكين، فطاوعني، وأنا خائف عليك، واعلم إني لك ناصح، والنصح من الايمان، فإذا أتاك العلف، كُله، وإلا يذبحوك، وقد نصحتك، والسلام.

فلما سمع الثور، كلام الحمار، شكره وقال: في غد أسرح معهم.

كل ذلك، وصاحبهما يسمع كلامهما، فلما طلع النهار، أكل الثور علفه بتمامه، حتى لحس المذود (مِذْوَدُ الدَّوَابِّ: الْمَكَانُ، الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ، عَلَفُ الدَّوَابِّ) بلسانه، وخرج التاجر وزوجته، إلى دار البقر، فجلسا، فجاء الزراع، وأخذ الثور وخرج، فلما رأى الثور صاحبه، حرك ذنبه، وسرطع (ركض ركضا شديدا، من خوف)، فضحك التاجر ضحكاً عالياً، مما رأى من الحمار والثور، حتى استلقى على قفاه.

فقالت له زوجته: من أي شيء تضحك، أتهزأ مني؟

قال التاجر: كلا.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

أجابت الزوجة: لا بد أن تخبرني، ما سبب ضحكك؟

قال التاجر: ما أقدر قوله، واخاف من السوء، إذا بحتُ بهِ.

قالت زوجته: وما يمنعك، عن ان تقول، لي؟

قال التاجر: بلغني، أن أموت.

قالت زوجته: بذلك؟ والله كذبت، أنت لم تضحك إلا علي، والله حقا رب السماء، إنما هذه، حجة منك، وإن لم تقل لي، ولو كنت تموت، ما قعدت معك، ساعة واحدة، ولا بد أن تقول لي.

ثم إنها دخلت الدار، وبكت، ولم تزل تبكي، الى الصباح، فقال التاجر: ماذا يبكيكِ؟ إتقي وارجعي، واتركي سؤالك!

قالت زوجته: لا أرجع عن هذا، ثم إنها لم تزل تلح عليه، وتلج في الكلام (لجَّ في الأمر: تمادى فيه معاندًا، لازمه، وأبى أن ينصرف عنه)، إلى أن غلبت عليه، وتعب منها وتَحَيَّر (وقع في تردّد، واضطراب وشكّ)، فأحضر أولاده، وأرسل في احضار القاضي والشهود، فقام وأَوفَى زوجته حقها، وأوصى على أولاده، وأراد أن يبوح لها بالسر، ويموت، لأنه كان يحبها محبة عظيمة، لأنها بنت عمه، وأم أولاده.

ثم، إنه أرسل وأحضر، جميع أهلها، وأهل حارته، وقال لهم حكايته، وأنه متى قال لأحد على سره، مات، فقال لها جميع الناس، ممن حضر: بالله عليك، إتركي هذا الأمر، لئلا يموت زوجك، أبو أولادك.

فقالت زوجته: لا أرجع عن هذا، فسكتوا عنها.

ثم، يا ابنتي لُبَابَة، قام التاجر من عندهم، وتوجه ليتوضأ، ثم يرجع يقول لهم، ويموت.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وكان عنده في دار الدواب، ديك، قد ضرب جناحيه، وصفق بهما، وكان عنده كلب، فسمع التاجر الكلب، يقول للديك، بلسانه: أيها الديك، ما أقل حَيَاؤك، قد خاب من رباك، ما تستحي في مثل هذا اليوم، أن تفعل هذا الفعل؟

قال الديك: وما جرى بهذا اليوم؟

فأعاد الكلب، عليه القصة، فقال الديك: والله، إن صاحبنا، قليل العقل، أنا لي خمسون زوجة، وأرضي الجميع، وصاحبنا عنده واحدة، ومدعي عقل، أما يعرف، صلاح أمره معها، ولا يعرف، أن يحسن لها التدبير؟

قال الكلب: وكيف يصنع؟

أجابه الديك: ما له، لا يأخذ لها عصاه السنديان، ثم يدخل إلى حجرتها، ويضربها حتى تتوب، وتصيح ذلك الوقت، ما بقيت أريد، لا تفسير ولا كلام، ويضربها، حتى تنزل عن غيها، ولا ترجع تعارضه بشيء، ولا تعود تسأله عن شيء، وإذا فعل ذلك، استراح، وعاش، وبطل العزاء، لكن، ما عنده من تدبير.

فلما سمع، يا ابنتي لُبَابَة، التاجر كلام الديك، رجع إلى عقله، وأخذ عصاه السنديان، وادخل زوجته إلى حجرتها، مدعياً، انه ليقول لها، تفسير ما حدث، ثم، إنه أقفل باب الحجرة عليهما، ونزل عليها بالضرب، إلى أن قالت له: تبت، ثم إنها قبلت يديه ورجليه، وتابت، وخرجت وإياه، وفرح الجماعة وأهلها، وتعلم التاجر حسن التدبير، وقعدوا في أسر الأحوال، إلى الممات.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وانتِ أيضاً، يا ابنتي لُبَابَة، اذ لم ترجعي، فعلت معك، مثل ذلك.

فلما سمعت ابنة الوزير، مقالة أبيها، قالت: إِنّي لآكُلُ الرَّأْسَ، وَأَنَا أَعْلَمُ ما فِيهِ (يضرب للأمر تأتيه، وأنت تعلم ما فيه، مما تكره)، وإذا ضَرَبْتَ فأَوْجِعَ، وَإِذَا زَجَرْتَ فَأَسْمِعْ (يضرب في المبالغة، وترك التَّواني، والعَجْز)، لا بد من ذلك، ولا تردني، عـن طلبي.

فأجابها أبوها، وفرحت لُبَابَة فرحاً عظيما، وأصلحت امرها، وما تحتاجه، وأقبلت الى أختها الصغيرة، عزيزة، وقالت لها: إذا توجهت إلى الملك، أرسل خلفك، فإذا جئت عندي، قولي: يا أختي، حدثينا حديثًا غريبًا، نقطع به السهر واليل، وأنا أحدثك حديثًا، يكون فيه خلاص العالم، من هذه المصيبة، إن شاء الله.

فقالت لها عزيزة: نعم.

ثم، إن أباها الوزير، جهزها، وطلع بها إلى الملك، فلما رآه، فرح وقال: أتيت بحاجتي؟

قال الوزير: نعم.

ثم، إن الليل قد أقبل، فبكت لُبَابَة، فقال لها الملك: ما بك؟

قالت لُبَابَة: أيها الملك، إن لي أختًا صغيرة، أريد أن أودعها، قبل الصباح.

فأرسل الملك إلى عزيزة، فجاءت إلى أختها، وعانقتها، وجلسوا يتحدثون، فقالت عزيزة: يا أختاه، بالله عليك، حدثينا من أحاديثك الحسان، نقطع سهر ليلتنا هذه، وأودعك قبل الصباح، فما أدري، ماذا يتم بك، غداة!

قالت لُبَابَة: حبًا وكرامة، إن أذن لي الملك.

قال شمسان، وكان به قلق، ففرح بسماع الحديث: تحدثي.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

إنَّ في الشَّرِّ خِيَاراً، أو حكاية: التاجر، مع الجِنِّيّ

ففرحت لُبَابَة، فرحاً عظيماً، وقالت: زعموا أيها الملك السعيد، وصاحب الرأي السديد، أن بعض التجار، كان غني، مُوسِر (غنيّ، ثريّ) الحال، كثير المال، صاحب نَوَال (عَطَاء)، وعبيد وغلمان، وله عدة نساء واولاد، وله معاملات ومَتَاجِر، في سائر البلاد.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وخرج يوما، طالبا السفر، إلى بعض البلاد، فركب دابته، وعمل خُرجاً من الزاد، وطوى الأَثْوَاب، وسافر على كفِّ الرَّحْمَن، أياماً وليالٍ، وليالٍ وأيامْ، فكتب الله له، بالسلام، فوصل أيها الملك السعيد، الى البلاد، وقضى عمله منها، ثم رجع مسافراً، إلى أهله وبلده.

فسافر اليوم الثالث والرابع، وقد حَمِيَ النَّهَار، واشتد عليه الحر، ورأَى بستاناً، فقصده، يستظل تحته، فأتى الى أصل (أسفل) شجرة جوز، عندها عين ماء تجري، فجلس على العين، وربط دابته، وحط خُرجه، وأخرج بعض

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

التمر من زوادته، وصار يأكل، ويرمي النوى، يميناً وشمالا، حتى اكتفى، ثم قام، فتوضَّأَ وصلى، فلما سلَّم، إذا هو بعفريت، طويل القامة، رجليه في التراب، ورأسه في السحاب، وفي يده سيف مَشْهور، فدنا من ذلك التاجر، وقال: قم حتى أقتلك، بهذا السيف، وصرخ عليه.

فلما سمع التاجر، كلام الجان، وأبصره، هابه، ودخل قلبه الرعب، وقال: يا سيدي، بأي ذنب، تقتلني؟

قال الجني: اقتلك، مثل ما قتلت ولدي.

قال التاجر: ومن قتل ولدك؟

اجاب الجني: أنت.

قال التاجر: أيُّ فَتىً، قَتَلَهُ الدُّخَانُ (يضرب للقليل الحيلة)، والله، أنا ما قتلت ولدك، متى وأين، وكيف قتلته؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قال الجني: أليس أنت جلست، واخرجت من جرابك تمر، وصرت تأكل، وترمي النوى، يمينا وشمالاً؟

قال التاجر: نعم، أنا فعلت ذلك.

قال الجني: بهذه الطريقة، قتلت ولدي، لما صرت تأكل، وترمي النوى، كان ولدي ماشياً، فجاءت نواة، في صدر ولدي، فقتلته، وانا لا بد لي من قتلك، كما قتلته، أليست الشريعة تقول، النفس بالنفس؟

قال التاجر: إِنَّا لِلّٰه، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، ولا حول ولا قوة الا بالله، العليّ العظيم، إن كنت قتلته، فما قتلته الا خطأً مني، وأريد، أن تعفوا عني، وخير الْعَفْوِ، ما كان عن القدرة.

قال الجني: لابد من قتلك، ثم، انه جذبه، وبطحه على الأرض، ورفع السيف ليضربه، فبكى التاجر، وندب اهله، وزوجته وأولاده، فجزم (جَزَمَ الأَمْرَ جَزْماً حَاسِماً: قَطَعَ فِيهِ، قَطْعاً، لاَ عَوْدَةَ فِيهِ) الجني حتى يضربه، فبكى التاجر حتى بل ثيابه، وقال: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وانشد يقول، هذه الابيات:

أَحسَنتَ ظَنَّكَ بِالأَيامِ إِذ حَسُنَت
وَلَم تَخَف سوءَ ما يَأتي بِهِ القَدَرُ
الدَّهْرُ يَوْمَانِ ذا أمن وذا حذر
وَالْعَيْشُ شطران ذا صفو وذا كدر
سالَمَتكَ اللَيالي فَاِغتَرَرتَ بِها
وَعِندَ صَفوِ اللَيالي يَحدُثُ الكَدَرُ
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ
وَتَسْتَقِرُّ بأَقْصى قَاعِهِ الدُّرَرُ
أما ترى الريح إن هبت عواصفه
فليس تعصف الا أعالي الشجر
وكم على الأرض من خضر ويابسة

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

من ذات زهر وأخرى ما لها زهـرُ
ما لا ثمار لها أو زهر قد سلمت
وليس يُرجم إلا ما له ثمر
فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا
ونالنا من تمادي بؤسه ضرر
ففِي السَّماءِ نُجُومٌ لا عِدَادَ لَهَا
وَلَيْسَ يُكْسَفُ إلاَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
نَعيبُ زَمانَنا وَالعَيبُ فينا
وَما لِزَمانِنا عَيبٌ سِوانا
وَنَهجو ذا الزَمانِ بِغَيرِ ذَنبٍ
وَلَو نَطَقَ الزَمانُ لَنا هَجانا
وَلَيسَ الذِئبُ يَأكُلُ لَحمَ ذِئبٍ
وَيَأكُلُ بَعضُنا بَعضاً عَيانا

قال الجني، بعد أن فرغ التاجر من شعره، وبكائه: والله، لا بد من قتلك.

قال التاجر: ولابد لك؟

أجاب الجني: ولا بد لي.

ثم، إنه رفع السيف ليضربه، ثم أدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث، واشتغل قلب الملك شمسان، الى بقية الحديث، ولما أن طلع الفجر، قالت عزيزة لأختها لُبَابَة: والله ما أحسن، وأعذب حديثك، وأغربه.

قالت لُبَابَة: أين هذا، مما أحدثكم به، الليلة القادمة، إن عشت وأبقاني سيدي الملك، فهو أعجب من هذا الحديث، واغرب.

فقال السلطان في نفسه: والله ما أقتلها، حتى أسمع بقية الحكاية، ثم أقتلها، غدا.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم أصبح الصباح، واشرقت الشمس ولاحت، وقام الملك، وخرج لملكه وحكمه، وطلع الوزير أبو لُبَابَة، بالكفن تحت إبطه، وحكم الملك، وولى وعزل إلى آخر النهار، ولم يخبر الوزير بشيء من ذلك، فتعجب الوزير غاية العجب، ولا زال الملك يحكم، الى الليل، ثم تَفَرَّق الديوان، ودخل بيته، وطلع إلى فراشه.

وقالت عزيزة لأختها لُبَابَة: بالله عليك يا أختاه، إن كنتي غير نائمة، فحدثينا بحديث من أحاديثك الحِسان، نقطع به، سهر ليلتنا هذه.

قال السلطان: وليكن تمام حديث التاجر مع الجن، لأني أحببته.

قالت لُبَابَة: حباً وكرامة، أيها الملك السعيد، وقالت: زعموا أيها الملك السعيد، وصاحب الرأي الرشيد، أن الجني، لما رفع يده بالسيف، قال له التاجر: ايها المارد، لا بد لك من قتلي؟

قال الجني: نعم.

قال التاجر: إنَّ فيِ الشَّرِّ خِيَاراً، (أي إن في الشر، أشياء خيارا، ويجوز أن يكون الخيار، الاسم من الاختيار، أي في الشر، ما يُخْتَار على غيره) ما تمهلني، حتى أودع اهلي، وزوجتي واولادي، وأُقَسِّم ميراثي بينهم، وأوصي عليهم، وأعطي كل ذي حق حقه، وأرجع اليك، فتقتلني.

قال العفريت: أخشى إن أطلقتك، تمضي، ولا تعود.

قال التاجر: لك عليّ، عهد وميثاق، إني أعود إليك، فتفعل بي ما تريد، وأُشهد عليّ، رَبُّ السماء والأرض، والله على ما أقول، وكيل.

فلما حلف، استوثق منه الجني، وأطلقه، فركب التاجر دابته، وسلك الطريق، وهو حزين، فما زال، حتى وصل الى بلده، ودخل عند اولاده وزوجته، وأظهر الأسف والحزن، فتعجبوا من حاله، وقالت له زوجته: أيها الرجل، ما هذا البكاء والحزن، ونحن اليوم، عندنا فرح بقدومك؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قال التاجر: بقي من عمري، سنة لا غير! ثم أعلم زوجته وأولاده، بما جرى له في سفره مع الجن، وأخبرهم، أنه حلف له، أن يرجع إليه، في السنة القادمة، حتى يقتله.

فلما سمعوا هذا الكلام، بكوا، ولطمت المرأة، وجهَها، وقطعت شعرها، وتَصارَخْت البنات، وتَنادَى الأولاد، الكبار والصغار، وقام العزاء، وأقام الأولاد حول أباهم ذلك النهار، وصار يودعهم، ويودعوه.

ثم، إنه قام التاجر في ثاني يوم، وشرع يقسم ميراثه، وأَعْطَى، ووهب وتصدق، وجعل عنده قُرّاء، يَقْرَأُونَ القرآن، ثم أحضر الشهود العُدول (من تُرضى شهاداتُهم)، وأعتق الجَوَارِي والعبيد، واعطى الاولاد الكبار، نصيبهم من المال، ووصى على الاولاد الصغار، وأوفى لزوجته، حقها وكتابها، ولازال على ذلك، حتى مضت السنة، وبقي منها، مسافة الطريق لا غير.

فقام التاجر وتَوَضَّأَ وصلَّى، وأخذ معه كفنه، وودع عائلته وأولاده، وقام الصراخ، وذرفت العيون، فقال التاجر: يا أولادي، هذا حكم الله، والانسان، ما خلق الا للموت، وإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ.

وخرج التاجر، رغمًا عن أنفه، وركب دابته، وسافر ليالٍ وأياماً، حتى وصل الى مكان البستان، وجلس في المكان، الذي أكل التمر فيه، وجلس ينتظر العفريت، وهو باكي العين، حزين القلب.

فبينما هو جالس، إذ أقبل عليه، شيخ كبير، معه غزالة، فسَلَّم على ذلك التاجر، فرد التاجر عليه السلام، وحياه، فقال له الشيخ: ما سبب جلوسك في هذا المكان، وهو موضع المردة الأباليس، وهذ بستان معمور (مسكون)، لا أفلح من كان فيه.

فأخبره التاجر، بما جرى له مع ذلك العفريت، وبسبب قعوده، في هذا المكان، فتعجب الشيخ، صاحب الغزالة، من وفاء التاجر، وقال: والله يا أخي، ما دينك إلا دين عظيم، وحكايتك، حكاية عجيبة، لو كتبت بالإبر، على

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

آماق (أَمْقٌ العين: طَرَفُها ممَّا يلي الأنف، وهو مجرى الدمع) البصر، لكانت عبرة، لمن اعتبر.

ثم، إنه جلس الشيخ، بجانب التاجر، وقال: والله يا اخي، لا ابرح من عندك، حتى انظر ما يجري لك، مع ذلك العفريت.

فبينما هم في الحديث، أدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث، وقالت عزيزة لأختها: ما أعجب حديثك، وأغربه.

قالت لُبَابَة: الليلة القادمة، أحدثكم بأعجب وأغرب، لو أبقاني سيدي الملك.

فلما كان الليل، قالت عزيزة لأختها: بالله عليك يا أُختاه، حَدِّثِينَا من أحاديثك الحسان، لكي نقطع، سهر ليلتنا هذه.

قال الملك: وليكن تمام حديث التاجر.

قالت لُبَابَة: حباً وكرامة، بلغني، أيها الملك السعيد، أن التاجر، جلس هو وصاحب الغزالة، يتحدثان، وحصل للتاجر، الخوف والفزع، والغم الشديد، والفكر المزيد، وصاحب الغزالة بجانبه، فبينما هما، إذا بشيخ ثان، قد أقبل عليهما، ومعه كلبان، من الكلاب السود، فسألهما بعد السلام، عن سبب جلوسهما، في هذا المكان، وهو مأوى الجان؟

فردوا عليه السلام، وأخبره صاحب الغزالة، عن التاجر، وما جرى له مع الجني، وأن التاجر حلف له، أن يأتي اليه، وهو الآن ينتظره، ليقتله، وأنا جئته، وسمعت خبره، فأقسمت أني لا أمضي من هنا، حتى أبصر، ما يجرى بين الاثنين.

فلما سمع، صاحب الكلبين هذا، تعجب من الذي جرى، ومن التاجر، بحفظه اليمين، وقال: لا أبرح من هنا، حتى انظر ماذا يجري، بينه وبين الجني.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلم يستقر به الجلوس، حتى أقبل عليهم شيخ ثالث، ومعه بغلة، فسلم عليهم، وردوا عليه السلام، فقال: مالي أراكما، أيها الشيخين، ههنا جالسين، ومالي أرى، هذا التاجر، جالساً حزيناً بينكما، وعليه أثر الحزن؟

فأخبروه بخبره، وجلوسهما، فلما سمع الشيخ، هذا الكلام، قال: وانا والله، كذلك لا عدتُ أبرح، حتى أنظر، ما لهذا الرجل، مع الجني!

فلم يكن الا قليلا، وإذا بغبرة قد هاجت، وزوبعة عظيمة قد أقبلت، من وسط تلك البرية، فانكشفت الغبرة، وإذا بذلك الجني، وبيده سيف مسلول، وعيونه ترمي بالشرر، فأتاهم، وجذب ذلك التاجر من بينهم، بيده الشمال، فأصبح أمامه، فقال له: قم حتى اقتلك، مثل ما قتلت ولدي، وحُشاشة كبدي (حُشاشة كبدي: أغلى شيء عندي).

فبكى التاجر، وبكى الشيوخ، واستغاثوا بالبكاء، وضجوا بالعويل، فأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث.

قالت عزيزة: ما أطيب حديثك يا أختي، وأغربه.

قالت لُبَابَة: أين هذا، مما أحدثكم به، الليلة القادمة، إن أبقاني سيدي الملك، وهو أغرب وألذ وأطرب.

فشغل الملك، سماع الحديث، وقال في نفسه: والله ما أقتلها، حتى أسمع، كُلّ الحديث، وما جرى للتاجر مع الجني، واعود فأقتلها، كعادتي مع غيرها.

ثم خرج إلى ملكه، وحكم، وأقبل على أبيها، فقربه، فتعجب الوزير من ذلك، وما زال في الديوان إلى الليل، فدخل قصره، وقالت عزيزة: بالله عليك يا أختي، حَدِّثِينَا من أحاديثك الحسان، لنقطع سهر ليلتنا هذه.

قالت لُبَابَة: حُبًّا وكرامة، زعموا، أيها الملك السعيد، إن الجني، لما أراد ان يضرب التاجر، وأعلن الشيوخ البكاء، إنتبه منهم، الشيخ الأول، صاحب

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

الغزالة، وتقدم الى الجني، وقبل يديه ورجليه، وقال له: أيها العفريت، وتاج ملوك الجان، إن حكيت لك حكايتي، وما جرى لي من هذه الغزالة، ورأيته غريب عجيب، أعجب مما جرى لك مع هذا التاجر، أتهب لي، ثلث جنايته، وذنبه، ومن تَصَدَّقَ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ.

قال الجني: نعم أيها الشيخ، إن أنت حكيت لي الحكاية، ورأيتها عجيبة، وهبت لك، ثلث دمه.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

بكيتك يا بني، بدمع عيني، أو حكاية: التاجر، وزوجته، وزوجته

قال صاحب الغزالة: إعلم أيها العفريت، إن هذه الغزالة، هي إبنة عمي، ولحمي ودمي، وهي زوجتي من صغري، وكانت إبنة عشر سنين، وما بلغت إلا عندي، وأقمت معها نحو ثلاثين سنة، فلم أرزق منها بولد قط، لا ذكراً، ولا أُنثى، ولا حبلت قط.

وفي كل هذا المدة، وأنا أحسن اليها، وأخدمها، وأكرمها، فأخذت لي سُرِّيَّةٌ (الجاريةُ المملوكَةُ)، فرزقت منها، ولداً ذكرا، كان فلقة قمر، كأنه البدر إذا بدا، فغارت ابنة عمي منها، ومن ابنها.

وكبر ولدي، شيئًا فشيئًا، إلى أن صار، ابن خمس عشر سنة، وحان لي سفر، فسافرت، ووصيت ابنة عمي هذه، في ولدي والسرية، وأكدت عليها بالوصية، وغبت عنهم مدة سنة.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فقامت هذه، إبنة عمي، وتعلمت الكهانة، والسحر في غيبتي، وأخذت ولدي، وسحرته عجلاً، ودعت بالراعي الذي لي، وأعطته إياه، وقالت له، اِرْعَ هذا مع البقر، فتسلمه الراعي، وأقام عنده مدة، وثم، سحرت أمه بقرة، وسلمتها أيضاً، إلى الراعي.

ثم جئت أنا، بعد مدة من السفر، فسألت عن زوجتي وولدي، إبنة عمي، فقالت: جاريتك ماتت، وابنك هرب، ولم أعلم أين ذهب، ولم اسمع له خبراً.

فلما سمعت كلامها، احترق قلبي على ولدي، وحزنت على زوجتي، وقلت:

أَلاّ إِنَّ عَيني بِالبُكاءِ تُهلِلُ
جُزوعَ (فهو جَزِع) صَبورٍ كُل ذَلِكَ تَفعَلُ
فَإِن تَعتَريني بِالنَهارِ كَآبَةٌ
فَلَيلي إِذا أَمسى أَمر وَأَطوَلُ
وإنّمـا أولادُنـا بيننـا

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

أكـبادُنا تمشــي علــى الأرضِ
لو هَبّـتِ الريحُ على بعضهم
لامتنعتْ عيني من الغَمْضِ
أمريضٌ لم تُعَد
أم عدُوٌّ ختَلَك (خدعه عن غفلة)
والمنايا رصدٌ
للفتى حيثٌ سلَك
كلٌّ شيءٍ قاتلٌ
حينَ تلقى أجلَك
إنَّ أمراً فادِحاً
عن جوابي شغَلَك
سأُعَزّي النفسَ إذ
لَم تُجِب من سَأَلَك
ليتَ قلبي ساعةً
صبرهُ عنكَ ملَك
ليتَ نفسي قُدِّمَت
للمَنايا بدَلَك
بكيتك يا بني بدمع عيني
فما أغنى البكاءُ عليك شيّا
وكانت في حياتك لي عظاتٌ
وأنت اليوم أوعظُ منك حيّا
كُلٌّ شَيءٍ مَصيرُهُ لِلزَوالِ
غَيرَ رَبّي وَصالِحِ الأَعمالِ
وَتَرى الناسَ يَنظُرونَ جَميعاً
لَيسَ فيهِم لِذاكَ بَعضٌ اِحتِيالِ

وأتى عيد الله الكبير، وارسلت الى الراعي، وأمرته، أن يحضر لي بقرة سمينة، لكي أضحي بها.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فأتى ببقرة سمينة، وهي زوجتي المسحورة، فلما ربطتها، وأخذت السكين بيدي، وتهيأت لذبحها، صاحت وبكت بكاء شديدًا، وسالت دموعها على خديها، فتعجبت، واخذتني الرأفة، ووقفت عنها، وقلت للراعي: آتني بغيرها.

فصاحت إبنة عمي: إذبحها، فما عنده أحسن، ولا أسمن منها، ودعنا نأكل لحمها.

فتقدمت إليها لأذبحها، فبكت، وصاحت: أنبو أنبو، فوقفت عنها، وقلت للراعي: إذبحها أنت عني.

فذبحها الراعي، وسلخها، فلم يجد بها لحماً ولا شحما، غير الجلد والعظم، فندمت انا على ذبحها، حيث لا ينفعني الندم، وقلت للراعي: خذها كلها، أو تصدق بها، الى أي من شئت، وأبصر لي بين البقر، عجل سمين.

فأخذها الراعي وغاب، ولم أعلم، ماذا صنع بها، ثم أتاني بولدي، ومهجة كبدي، في صورة عجل سمين، فلما رآني ولدي، قطع حبله، وجاءني وتمرغ علي، وولول وبكى، فتعجبت من ذلك، وأخذتني الرأفة، والرحمة، والحُنُوّ، وحنّ الدم على الدم، بالسر الرباني، وخفقت احشائي، لما نظرت دموع العجل ولدي، سائلة على خديه، وهو قد حفر في الأرض، فتركته، وقلت للراعي: دع هذا العجل بين الغنم، وأحسن اليه، وائتني بغيره.

فصاحت بنت عمي، وقالت: ما تذبح الا هذا العجل.

فاغتظت، وقلت لها: انا سمعت منك، في ذبح البقرة، وما انتفعنا منها بشيء، فلا اسمع منك، في ذبح هذا العجل، فاني عتقته من الذبح.

فألحت علي، وقالت: لا بد من ذبح هذا العجل، ثم، إنها اخذت السكين، وكتفت العجل.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وأدرك لُبَابَة الصباح، وسكتت عن الحديث، فقالت عزيزة، لأختها لُبَابَة: يا أختي، ما اطيب حديثك، وأغربه.

فقالت لها لُبَابَة: وأين هذا، مما أحدثكم به، الليلة القادمة، إن عشت وأبقاني سيدنا الملك، وهو أغرب، وألذ، وأطرب بكثير، مما حكيت الليالي السابقة.

وقد كان الملك، اشتعلت شهوته، لاستماع حديثها، ولإدراك تمام القصة، ثم إنه خرج الى ملكه، ودولته، وحكم إلى الليل، فدخل قصره وفراشه، وقالت عزيزة، لأختها لُبَابَة: يا أختي، حدثينا من أحاديثك الحسان، تنقطع، سهرة ليلتنا هذه.

قالت لُبَابَة: حباً وكرامة.

قالت عزيزة: لكن يا أختي، لا تفعلي، إلا إن أذن ملكنا، أطال الله بقائه.

فقال الملك: حدثي.

قالت لُبَابَة: بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد، أن الشيخ، صاحب الغزالة، يقول للجن: فأخذت السكين من يدها، فأردت أن أذبح ولدي، فصاح وبكى، ومرغ بوجهه على قدمي، واخرج لسانه، يشير به الي، فرجف فؤادي، وأطلقته، وقلت لزوجتي، إني أعتقت هذا العجل، توصي به، وأرضيتها حتى ذبحت غيره، ووعدتها بذبحه، الموسم الآتي.

كل ذلك، والجني يتعجب، ويا سيد ملوك الجان، النَّدَمُ تَوْبَةٌ، وكل ذلك جرى، وابنة عمي، تنظر وترى، وأخذه الراعي، وتوجه به، ثم بتنا تلك الليلة، فلما أصبح الصباح، وبنوره لاح، إذا بالراعي أقبل، سراً من زوجتي، وقال: يا مولاي، إني أخبرك شيئًا، تُسَرُّ به!

قلت: أخبرني.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قال الراعي: أيها التاجر، إن لي ابنةً، قد تعلمت صنعة الكهانة، والعزائم (هي ما يستعان به من كلام، لشفاء مريض، أو شفاء من أصابته عين، أو لطرد الأرواح الشريرة، وغير ذلك) والاقسام، في صغرها، من امرأة عجوز، كانت عندنا، ولما كان بالأمس، وأعطيتني العجل، ودخلت به إلى الدار، فنظرت إليه ابنتي، وبكت، ثم إنها ضحكت.

فقلت لها: ما هو سبب ضحكك، ولماذا بكيت؟

فقالت لي: إن هذا العجل، هو ابن سيدي التاجر، صاحب المواش، وهو مسحور، سحرته زوجة أبيه، وهذا ضحكي، وأما بكائي، فلأجل والدته، التي ذبحها ابوه.

فتعجبت من ذلك، غاية العجب، وما صدقت، الى أن أتى الفجر، حتى جئت إليك، لأعلمك.

فلما سمعت، أيها العفريت كلامه، غَشِيتْ، وصرخت، ثم أفقت، وخرجت معه، وأنا سكران من غير مُدام (الخَمْر)، من كثرة الفرح والسرور، الذي حصل لي، إلى أن أتيت إلى داره، فدخلت على ولدي، وارتميت عليه، وصرت اقبله وابكي.

ثم إن العجل، تمرغ علي، وذرفت عيونه الدموع، على خديه، واخرج لسانه، كأنه يشير الي، لكي أبصر كيف حاله، فالتفتت الى ابنة الراعي، وقلت لها: أيها الصبية، هل تقدري أن تخلصيه، ولك ما ملكته يديّ، من المواش، ومن المال؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

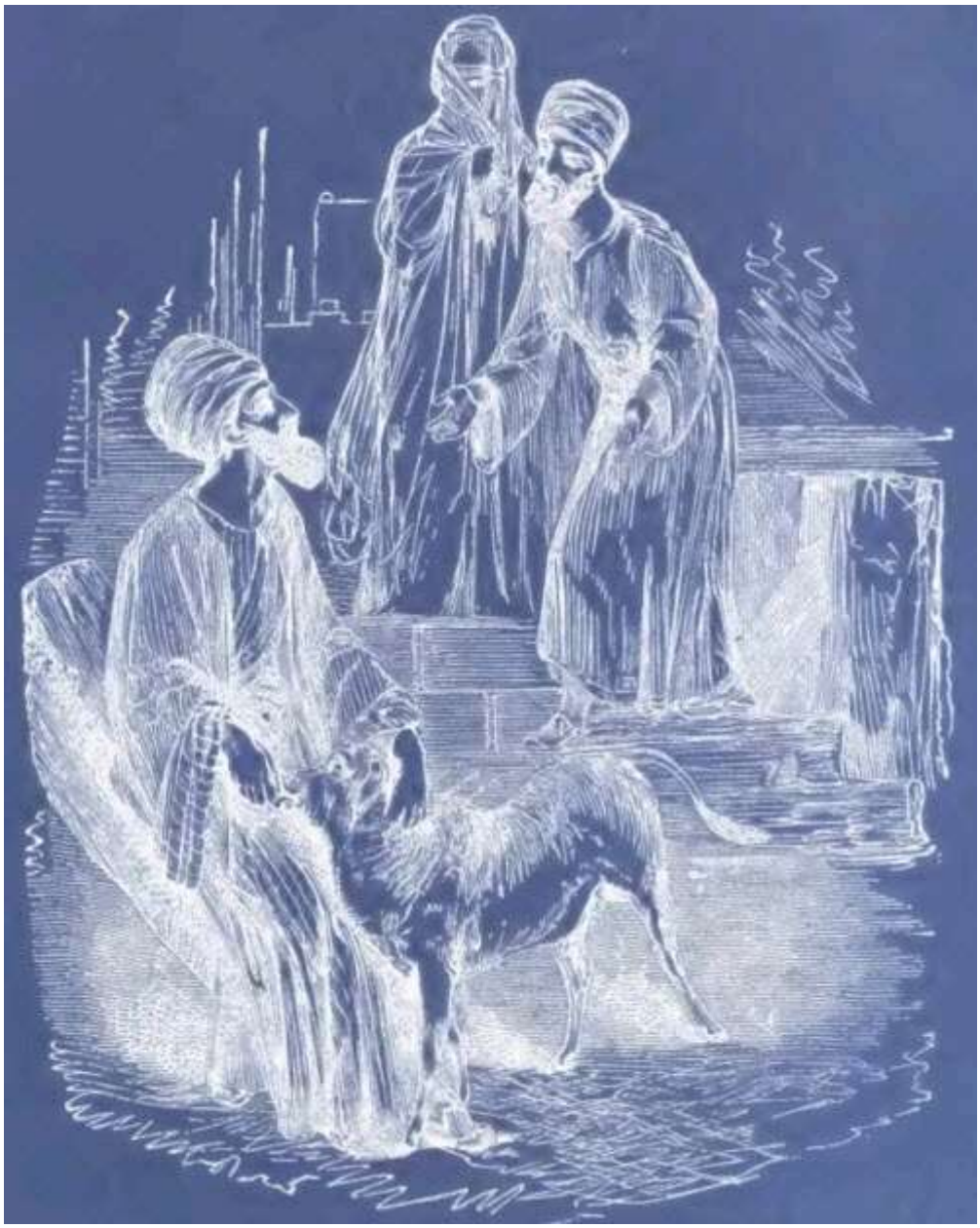

فتبسمت لي وقالت: يا مولاي، ما لي رغبة في مالك، ولا في مواشيك، ولكن بشرطين، الأول، ان تزوجني به، والآخر، ان اسحر من سحرته، وإلا فلست آمن مكرها وشرها.

فلما سمعت أيها الجني، كلام إبنة الراعي، قلت: نعم وزيادة، المال لك، ولولدي، وأما ابنة عمي، التي فعلت بولدي هذه الأفعال، وأمرتني حتى ذبحت أمه، زوجتي، أقدمها لك حلال، تفعلي بها ما تريدين.

فلما سمعت إبنة الراعي كلامي، أخذت طاسة، وملأتها ماء، ثم إنها عزمت (عزم الراقي: قرأ العزائم) عليها، وقالت لولدي: يا ايها العجل، ان كنت خِلقة

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

القادر القاهر، فدم على هذه الصفة، ولا تتغير، فلا تتغير، وان كنت مسحورا ومغدورا، فاخرج من هذه الصورة، الى صورتك الآدَميَّة، بإذن خالق البَرايا، ورشته بطاسة الماء، وإذا به انتفض، وصار إنسانًا.

فما تمهلت، فوقعت عليه، وقلت له: بالله عليك، احك لي، جميع ما صنعت بك وبأمك، بنت عمي.

فحكى لي، جميع ما جرى لهما، فقلت: يا ولدي، قد قيض الله لك، من خلصك، وخلص حقك، وحق والدتك، وحقي.

ثم، إني أيها الجني، زوجته ابنة الراعي، وكانت كالبدر، وهي شاطرة عالمة خبيرة، قرأت الاشعار، وعلمت الكهانة والسحر، وسحرت إبنة عمي، بصورة غزالة، وقالت لي: سحرتها بصورة جميلة، حتى لا تستشأم برؤيتها.

ثم، إنها اقامت عندنا، شهوراً وسنيناً، وسافر ولدي الى هذا البلد، فخرجت، أبصر خبر ولدي، واخذت معي، ابنة عمي، فانتهيت هنا، وجلست لأنظر ما يكون، وهذا حديثي، اما هو حديث، عجيب غريب؟

فقال الجني: هذا حديث عجيب، وقد وهبت لك، ثلث دمه.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وإنَّ الهَوَان، لِلَّئيمِ، مَرْأمَة، أو حكاية: الشيخ، وزوجته، وأخويه

فعند ذلك، أيها الملك العزيز، تقدم الشيخ الثاني، صاحب الكلبين السود، وقال: انا الآخر، أحكي لك، ما جرى لي، وقصتي تراها، أعجب وأغرب، من قصة هذا الرجل، فإذا حكيتها لك، تهبني ثلث جنايته.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قال العفريت: نعم.

فأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن حديثها، وقالت عزيزة، لأختها لُبَابَة، مثلما قالت لها، الليالي السابقة، وهل في الاعادة افادة؟

فلما كان الغد، قالت لُبَابَة: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشيخ الثاني، صاحب الكلبين، قال: أيها العفريت، يا سيد ملوك الجان، أما حكايتي وشرح قصتي، فإن هذين الكلبين، أشِقّاء لي، ونحن ثلاثة إخوة ذكور، وأنا ثالثهم، ومات والدنا، وخلف لنا، ثلاثة الاف دينار، ففتحت انا دكان، أبيع فيه واشتري، وكذلك أَخَواي، كل واحدٍ، فتح دكان.

فما مَكَثْت كثيرا، إلا وأخي الكبير، أحد هؤلاء الكلبين، باع مَتاع دكانه، بألف دينار، واشترى بضائع ومَتجَر، وسافر وغاب، وأنا يوماً في دكاني، أتى، فقلت: يفتح الله.

قال لي، وقد بكى: عند النازلة، تعرف أخاك، أخَسَّ قَدري عندك، أما بَقِيتَ تعرفني، أخي!

فحقَقْته، وإذا به شقيقي، فقمت ورحبت به، وأدخلته الى الدكان، وسألته عن حاله، فأجابني: لا تسأل، لأن المال مال، والحال حال.

فقلت له: يا أخي، أما أشرت عليك، بعدم السفر؟

فبكى وقال: أخي! إنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَعْثُرُ (يضرب، لمن يكون الغالبُ عليه، فعلَ الجميل، ثم تكون منه، الزَّلّة)، ولم يبق لهذا الكلام فائدة، قدر الله، عليّ هذا، ولست أملك شيئًا.

ثم، ذهبت به إلى الحمام، وألبسته حلة فاخرة، من ملابسي، وأكلت أنا وإياه، وقلت: يا أخي، إني أحسب ربح دكاني، من السنة إلى السنة، ثم أقسمه، بيني وبينك.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، إني عملت حساب الدكان، فوجدت روحي، قد كسبت ألف دينار، فحمدت الله عز وجل، وفرحت غاية الفرح، وقسمت الربح بيني وبين أخي، شطرين، فأخذها وهو فرحان، وفتح له دكان، وأقمنا مع بعضنا أيام، ثم بعد ذلك، قام اخي الثاني، وهو الكلب الاخر، وباع ما كان عنده، وجمع ماله، وأراد السفر، فمنعته، فلم يمتنع، واشترى تجارة، وسافر مع الاسفار.

وتمت ليالٍ وايام، ثم إنه أتاني، كما اتى، أخاه الكبير، فبكى وقال: أخي، ها انا فقير، لم أملك الدرهم، عريان، ما عليّ القميص، ولا ينفع حَذَرٌ، من قدر.

فأخذته أيها الجِنّ، فأدخلته الحمام، والبسته من ملابسي، وكشفت عن حسابي، وبيع دكاني، وقلت له: يا أخي، قد كسبت ألف دينار، وهو بيني وبينك، وسفر، ما سافرت، ولا تغربت.

فأخذها وهو فرحان، وفتح له دكان، وقعدنا جُملة أيام، ثم، إن أخوتي، طلبوا السفر أيضًا، وأرادوا أن أسافر معهم، فلم أَرْضَ، وقلت لهم: اعتَبِروا السَّفَرَ، بأَوَّلِه، أي شيء، كسبتم من سفركم، حتى أكسب أنا؟

فألحوا عليّ، ولم أطعهم، بل أقمنا في دكاكيننا، نبيع ونشتري، ست سنين، وهم يعرضون عليّ السفر، كل سنة، وأنا لا أرضى، ثم وافقتهم على السفر، وقلت لهم: يا إخوتي، انا مسافر معكم، فلننظر، ما عندنا من المال.

فما كان معهم من شيء، بلّ، وكل شيء بذروا، لأنهم، كانوا معتكفين، على الاكل والشراب والملذات، فما كلمتهم، ورُبَّ كَلِمَةٍ، أفادت نعمة، ورُبَّ كَلِمَةٍ، سلبت نعمة، وعملت حساب دكاني، فوجدت معي، ستة آلاف دينار، ففرحت، وقلت: ندفن نصفها، تحت الأرض، لينفعا إذا أصابنا أمر، ويأخذ كل واحد منا، ألف دينار، ونتسبب فيها.

قالوا: نَعِمَ الرأي.

فأخذت المال، وقسمته نصفين، ودفنت ثلاثة آلاف دينار، وأما الثلاثة آلاف الأخرى، فأعطيت كل واحد منهم، ألف دينار، وجهزنا بضائع، واكترينا مركبًا،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ونقلنا فيها حوائجنا، وسافرنا، على كف الرَّحْمَن، أياما ولياٍل، وليالٍ وايام.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث، وفي الغد، قالت: بلغني، أيها الملك العزيز، أن الشيخ الثاني، قال للجني: فسافرت، أنا وهذين الكلبين، أخواي، في البحر المالح، مدة شهر كامل، إلى أن دخلنا، مدينة عظيمة، وبعنا بضائعنا، فربحنا في الدينار، عشرة دنانير، وتسوقنا، بضائع غيرها.

ثم، أردنا السفر، فوجدنا على ساحل البحر، جارية، لها خِلقة، شِعْرِيّة، فقبلت يديّ، وقالت: يا سيدي، أتقبل الحسنة (التصرف، المستحق، ثواب

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

الله تعالى، في الآخرة)، أجازيك عليها، أَوَتَعْمَل المعروف، إلى أن قَدَّرَ الرَّحْمَن، ما.

فقلت لها: قيل لِلشَّقِيّ، هلم إلى السعادة، فقال حسبي ما أنا فيه. دعي عنك، ولا تجازيني، أنَا ابْنُ جَلاَ (الأَمْر الشَّرِيف)، وإن عندي، الإحسان والمعروف، ولو لم تجازيني.

فقالت: تزوج بي، بالمعروف، وخذني معك، إلى بلادك، فإني، قد وهبت نفسي لك، وأبقى زوجتك، وحِسْنُ عَمَل، وقَصْرُ أَمَل، وصُنعة حسنة، أجازيك عوضها، ولا يغرنك حالي.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلما سمعت كلامها، حَنَّ قلبي إليها، لما يريد الله به، فأخذتها إلى المركب، وفرشت لها، واقتربت وأكرمتها، وسافرنا، اياما وليال، وليالٍ وأيام، وقد أحبها قلبي، وسفَر (وضح وانكشف):

يا زوج عش بالحب في جنة
ما الحب إلا جنة عاجلة
اخرج من الوحدة لا ترضها
واحذر زواج المرأة الجاهلة
ما أضيق الدنيا على رحبها
إذا خلت من زوجة فاضلة
إذا لم نحمهن فلا بقينا
لشيء بعدهن ولا حيينا

فغاروا مني، وحسدوني على ما أنا فيه، واِشْرَأَبَّت عيونهم، إلى مالي، اخوتي، هذين الكلبين، فتحدثوا في قتلي، وقالوا: نقتل أخانا، ويصير المال، جميعه لنا.

وزين لهم الشيطان، قتلي، فيَخْلُونَ ليلة نائمين، أنا بجانب زوجتي، وحملونا، ورمونا في البحر، وفي الحال، لما استيقظت زوجتي، انتفضت، فصارت جنية عفريتة، وحملتني، وخَرَجَتْ بي من البحر، الى جزيرة، ولما أصبح الله، بالصباح، قالت لي: أنا زوجتك، التي حملتك وأنجيتك، من القتل، بإذن الله تعالى، واعلم، إني جنية، جئتك، بالذي نَظَرْتَنِي به، وإني من أهل بسم الله، مؤمنة، بالله ورسوله، رأيتك، على جانب البحر، فأحبك قلبي، وابدعت لك، بإذن الله محبتي، فقبلتني، وها قد خلصتك من الغرق، وقد غضبت على إخوتك، ولا بد، أن أقتلهم.

فلما سمعت كلامها، تعجبت من عملها، وشكرتها على فعلها، وقلت لها: أنْفُكَ مِنْكَ، وَإِنْ كانَ أذَنَّ (الَّذنِين: ما يسيل من الأنف، من المُخَاط)، فأما هلاك إخوتي، فلا ينبغي.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، إني حكيت لها، ما جرى لي معهم، من أول الزمان، إلى آخره، فلما علمت، قصتي معهم، غضبت، وقالت: إنَّ مَنْ لا يَعْرِفُ الوَحْيَ، أحْمَقٌ (يضرب، لمن لا يَعْرف الإيماء والتعريضَ، حتى يجاهر، بما يراد إليه)، وإنَّ الهَوَان، لِلَّئيمِ، مَرْأَمَة (المَرْأَمة: الرِّئْمَانُ، وهما الرأفة والعطف، يعني، إذا أكرمْتَ اللئيم، استخفَّ بك، وإذا أهنته، فكأنك أكرمته)، أنا الساعة أطير، أغرق مركبهم، وأهلكهم، عن آخرهم.

فقلت لها: بالله لا تفعلي، فيا محسنًا لمن أساء، كفى المسيء فعله، وهم إخوتي على كل حال.

قالت: لا بد من قتلهم.

فاستعطفتها، وهدئت من غضبها، ثم إنها حملتني، وطارت بي، فوضعتني على سطح داري، فنزلت، وفتحت الأبواب، وأخرجت، الذي خبأته تحت الأرض، وفتحت دكاني، بعد أن سلمت على أهل السوق، واشتريت بضائع.

فلما كان الليل، دخلت داري، فوجدت هذين الكلبين، مربوطين فيها، فلما رأياني، قاما إليّ، وبكيا وتعلقا بي، فلم أشعر إلا وزوجتي، قالت: هؤلاء إخوتك.

فقلت: من فعل بهم هذا الفعل؟

قالت: أنا أرسلت إلى أختي، ففعلت بهم ذلك، وما يتخلصون، إلا بعد عشر سنوات.

ثم، إنها فارقتني، ودلتني على موضعها، فأنا سائر إليها، تخلصهم، بعد إقامتهم عشر سنوات، وقد مضوا، فوجدت هذا التاجر، وهذا الشيخ، صاحب الغزالة، فأخبروني بما جرى، فقلت: أنظر ما يجري، وهذه حكايتي، اما هي عجيبة؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قال الجني: إنها حكاية عجيبة، وقد وهبت لك، ثلث دمه، في جنايته.

إن من البيان لسحرا، أو حكاية: الشيخ، والبغلة

فتقدم الشيخ الثالث، وقال: أيها الجنيّ، يا سيدي، لا تكسر خاطري، وانا، إذا حكيت لك حكايتي، مع هذه البغلة، التي هي أعجب وأغرب، من هاتين الحكايتين، تهب لي، باقي دمه وجنايته؟

قال العفريت: نعم.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت، وغداً قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشيخ الثالث، قال للعفريت: إسمع أيها الجني، إن هذه البغلة، كانت زوجتي، فسافرت وغبت عنها، سنة كاملة، ثم قضيت سفري، ورجعت، فكان وصولي لمنزلي، ليلاً، فدخلت عليها، فوجدتها، تدخل عليّ، الرجال الأجانب، تنادمهم، راقدة في الفراش، في كلام وغنج وضحك، فلما رأتني، عجلت، وقامت إلي، بكوز فيه ماء، فتكلمت عليه، ورشتني، وقالت: اخرج من هذه الصورة، إلى صورة كلب.

فصرت في الحال كلبًا، فطردتني من البيت، فخرجت من الباب، ولم أزل سائرًا، حتى وصلت، إلى دكان جزار، فتقدمت، وصرت آكل من العظام، فلما رآني صاحب الدكان، أخذني، ودخل بي بيته، فلما رأتني، بنت الجزار، غطت وجهها مني، وقالت لأبيها: أتجيء لنا، برجل غريب، وتدخل به علينا؟

فقال أبوها: وأين الرجل؟

قالت: إن هذا الكلب، سحرته امرأته، وأنا أقدر، أن أخلصه.

فلما سمع، أبوها كلامها، قال: بالله عليك، يا ابنتي، خلصيه، صدقة عن عافيتك.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فقامت بنت الجزار، وأخذت كوزًا فيه ماء، وقرأت عليه، ورشت عليّ منه قليلا، وقالت: اخرج من هذه الصورة، الى صورتك الأولى، بإذن الله تعالى.

فصرت إلى صورتي الأولى، فقمت، وقبلت يدها، وقلت لها: بالله عليك، أريد منك، أن تسحري لي زوجتي، كما سحرتني.

ثم، إنها أعطتني قليلاً من الماء، وقالت: إذا رأيتها نائمة، فرش عليها هذا الماء، وتكلم بالكلام، فإنها تصير، كما انت طالب.

فأخذت الماء، ودخلت على زوجتي، فوجدتها نائمة، غارقة في النوم، فرششت عليها الماء، وقلت لها: اخرجي من هذه الصورة، إلى صورة بغلة.

فصارت، في الحال بغلة، وهي التي تنظرها بعينك، أيها السلطان، ورئيس ملوك الجان، ثم، التفت إليها، وقال: أما هو صحيح؟

فهزت رأسها، وقالت بالإشارة: نعم، هذا صحيح.

وهذا حديثي، وما جرى لي.

فتعجب العفريت، واهتز من الطرب، وقال: إن من الْبَيَانِ لسحرا، قد وهبت لك، يا أيها الشيخ، ثلث الجناية، وأطلق لكم، هذا الرجل.

فأقبل التاجر على الشيوخ، وشكر فضلهم، فهنئوه بسلامته، وودعوه وتفارقوا، ورجع كل منهم، الى طريقه، والتاجر الى بلده، ودخل إلى عند زوجته، وأولاده، ففرحوا به، وعاش معهم، الى أن أدركه الممات، وما هذه بأعجب، من حكاية الصياد.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فَلا تَجزَع وَإِن أَعسَرتَ يَوماً، أو حكاية: الصياد، والعفريت

قالت عزيزة: بالله عليك يا اختي، وما حكاية الصياد؟

قالت لُبَابَة: بلغني أيها الملك السعيد، أنه كان رجل صياد، شيخاً، طاعنًا في السن، له زوجة وثلاثة أولاد، فقير الحال، لا يملك قوت يومه، من عادته، أن يرمي شبكته، أربع مرات، لا غير، في النهار.

ثم، أنه خرج يومًا من الأيام، وقَد حُمَّت (اشتدت) الحاجاتُ، واللَيلُ مُقمِرٌ، واتى الى شاطئ البحر، وحَطَّ معطفه، وشَمَّرَ ثَّوْبَه، وخاض في البحر الى وسطه، وطرح شبكته، وصبر إلى أن استقرت في الماء، فجذبها وجمع خيطها، قليلاً قليلاً، فوجدها ثقيلة تعلَّقَت، فسحبها اليه، فلم يقدر على ذلك، فورد البر، ودق وتدًا، وربط طرف الشبكة، ثم، خلَع ثيابه وتعرى، وغطس حول الشبكة، وعَاقَرَ (لاَزَمَ) وعالج، الى أن طلع بها، الى البر، ففرح، ولبس ثيابه، وأتى إلى الشبكة، فوجد فيها، حمارًا ميتًا، قد خرقها، فلما عاين الصياد ذلك، حزن وتأسف، وقال: لا حول ولا قوة، إلا بالله، العليّ العظيم، إن هذا الرزق، عجيب، وأنشد يقول:

يا راكبا في طِلابِ العيشة
يَا خَائِضًا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ وَالْهَلَكَةْ
هَوِّن عَلَيكَ وَلا تُبالِ بِحادِثٍ
يُشجيكَ فَالأَيّامُ سائِرَةٌ بِنا
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ وَالصَّيَّادُ مُنْتَصِبٌ
لِرِزْقِهِ وَنُجُومُ اللَّيْلِ مُحْتَبِكَهْ
قَدْ غَاصَ فِي لُجَّةٍ (ماء كثير تصطخب أمواجُه) وَالْمَوْجُ يَلْطِمُهُ
وَعَيْنُهُ لَمْ تَزَلْ فِي كَلْكَلِ (صَدْر) الشَّبَكَهْ

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

حتى إذا صار مسروراً ببغيته
بِالْحُوتِ قَدْ شَقَّ سَفّودُ (عُود من حديد يُنظَم فيه اللّحم ليشوى) الرَّدَى (هلاك) حَنَكَهْ
شَرَاهُ مِنْهُ الَّذِي قَدْ بَاتَ لَيْلَتَهُ
خِلْوًا مِنَ الْبَرْدِ فِي خَيْرٍ مِنَ الْبَرَكَهْ
فالأرض لم تؤت لولا حرثها اكلا
والصيد ما صيد لو لم تنصب الشبكه
ورب جامع مال غير منفقه
قد مات عنه وفي أعدائه تركه
امر من الله يعطي ذا بحيلة ذا
هَذَا يَصِيدُ وَهَذَا يَأْكُلُ السَّمَكَهْ
سُبْحانَ رَبِّي مُقسِطًا ومُنعِمَا
المُستَعانَ وَالوَفِيَّ المُطْعِمَا

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث، وفي الغد قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الصياد، لما فرغ من شعره، ورأى الحمار ميت، خلصه من شبكته، وجلس على الأرض، يخيط الشبكة ويربطها ويصلحها، فلما فرغ، قام فعصرها جيداً، فلما فرغ من عصرها، نشرها، ثم خاض في الماء، وسمَّى بِسْمِ الله، وطرح الشبكة فيه، وصبر عليها، حتى استقرت، وجذب خيطها، قليلاً قليلاً، فوجدها راسخه، أكثر من الأول، فظنَّ أنه سمك، ففرح، فربط الشبكة، فتعرى، فنزل فغطس، فعالجها إلى أن خلصها، فأطلعها إلى البر، فوجد فيها زيرًا (جرة ضخمة) كبيراً، وهو ملآن، برمل وطين، فلما رأى ذلك، بكى وتأسف، فقال: إن هذا، ليوم عجيب، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ثم انشد:

يَا حُرْقَةَ الدَّهْرِ كُفِّي
إِنْ لَمْ تَكُفِّي فَعِفِّي

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

خَرَجْتُ أَطْلُبُ رِزْقِي
وجدتُ رزقي تُوفي
فلا برزقي أحْظى
ولا بصنعةِ كَفّي
كم جاهلٍ في الثُّرَيَّا (مَجْمُوعَةٌ مِنَ النجوم في السماء)
وَعَالِمٍ في الثرى (التُّراب) مخفي
فَلا تَجزَع وَإِن أَعسَرتَ يَوماً
فَقَد أَيسَرتَ في الزَمَنِ الطَويلِ
أعْمِلْ لرِزْقِك كلَّ آلَهْ
لا تَقْعُدَنَّ بكلِّ حالهْ
وانْهَضْ بكلِّ عَظيمةٍ
فالمَرْءُ يَعجِزُ لا مَحالهْ
وَلا تَيأَس فَإِنَّ اليَأسَ كُفرٌ
لَعَلَّ اللَهَ يُغني عَن قَليلِ
وَلا تَظنُن بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوءٍ
فَإِنَّ اللَهَ أَولى بِالجَميلِ

ثم، إنه رمى الزير، وعصر شبكته ونشرها، واستغفر الله، وعاد إلى البحر، ثم رماها ثالث مرة، وصبر. حتى إذا استقرت، جذبها، فوجدها ملآنة، شَقَف (قطعة مكسورة من شي)، وحجارة، وقَوَاذير، وغير ذلك، فبكى الصياد، غُبنه (غُبن: ضررٌ يلحق بالمرء) وضعفه، وتذكر زوجته وأولاده، وأن لا قوت لهم في بيته، فلطم على وجهه، وأنشد:

تزول عن الدنيا فإنك لا تدري
إذا جنّ عليك الليل هل تعيش إلى الفجرِ
فلا تطلبِ الرزقَ بامتهانِ
ولا ترد عُرْفَ ذي امتنانِ
ولا تَخضَعَنَّ لِمَخلوقٍ عَلى طَمَعٍ
فَإِنَّ ذَلِكَ وَهنٌ مِنكَ في الدينِ
وَاستَرزِقِ اللَهَ مِمّا في خَزائِنِهِ

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فَإِنَّما الأَمرُ بَينَ الكافِ وَالنونِ
ففي الشجاعة نيل المجد قاطبة
وفي الجبانة كل الذم محتوم
وفي الشجاعة حصن لا انهدام له
وفي الجبانة إلقاء وتسليم
كم قادم عاش بالإقدام أزمنة
وناله في العلى عز وتكريم
ومحجم كان في الإحجام مهلكه
وناله منه في الدارين تحريم
فاختر لنفسك أي الحالتين ترى
إن الكريم عن الإذلال معصوم

ثم، إن الصياد، رفع طَّرْفُه (عَيْنُه)، الى السماء، وقد أشرق الفجر، ولاح الصباح، وقال: اللهم، سخِّرْ لي، كما سَخَّرْتَ البحر، لموسى.

ثم، أصلح الشبكة، وطرحها في البحر، رابع مرة، وصبر. حتى إذا استقرت، وتعلقت، وجذبها، فلم يطق جذبها، فاذا بها اشتبكت، فقال: لا حول ولا قوة، إلا بالله.

ثم، إنه رفع رأسه، إلى السماء، فتعرى وغطس، وجاهد فيها، حتى خلصها، وطلع بها، الى البر، وفتحها، فوجد فيها، قمقما من نحاس، أصفر ملآن، فمه مختوم برصاص، عليه نقش، خاتم سليمان، فلما رآه الصياد، فرح، وقال: هذا أبيعه، للنحاسين، لا بد أنه يساوي، إِردَبّين (إِرْدَبّ: مكيال لتقدير الحبوب، يسع، أربعة وعشرين صاعًا، ويزن، مائة وخمسين كيلو جرامًا) قمح.

ثم، إنه حركه، فوجده ملآناً ثقيلًا، فقال: لا بد أني أفتحه، وأنظر ما فيه، ثم أبيعه.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، إنه أخرج سكينا، وعالج بها الرصاص، إلى أن فكه من القمقم، وحطه على الأرض، وهزه لينكب ما في القمقم، فلم ينزل منه شيء، فتعجب الصياد، وبعد قليل، خرج من ذلك القمقم، دخان، صعد على وجه الأرض، وكبر، حتى غشي (غَطَّى) البحر، وتصاعد الى عنان السماء، فعجب الصياد، غاية العجب، وبعد ذلك، تكامل الدخان، واجتمع ثم انتفض، فصار عفريتًا، رأسه في السحاب، ورجلاه في التراب، برأس كالقِبَاب (ضخم، عظيم)، وفم كالمغارة، وأسنان كالحجارة، وحلق كالزقاق، ومنخرين كالأبواق، واذنين كالأُوَق (الأُوقَة: حُفْرة ينحدر فيها الماء)، وعينين كالحُباحِبِ (حُباحِبِ: حَشَرَةٌ، فِي ذَنَبِهَا، مَادَّةٌ مُضِيئَةٌ) ويدين كالدري (مدراة: قرن)، ورجلين كالصَوَار (الصاريَةُ: عمودٌ يقام في السفينة، يُشَدُّ عليه الشِّراع).

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

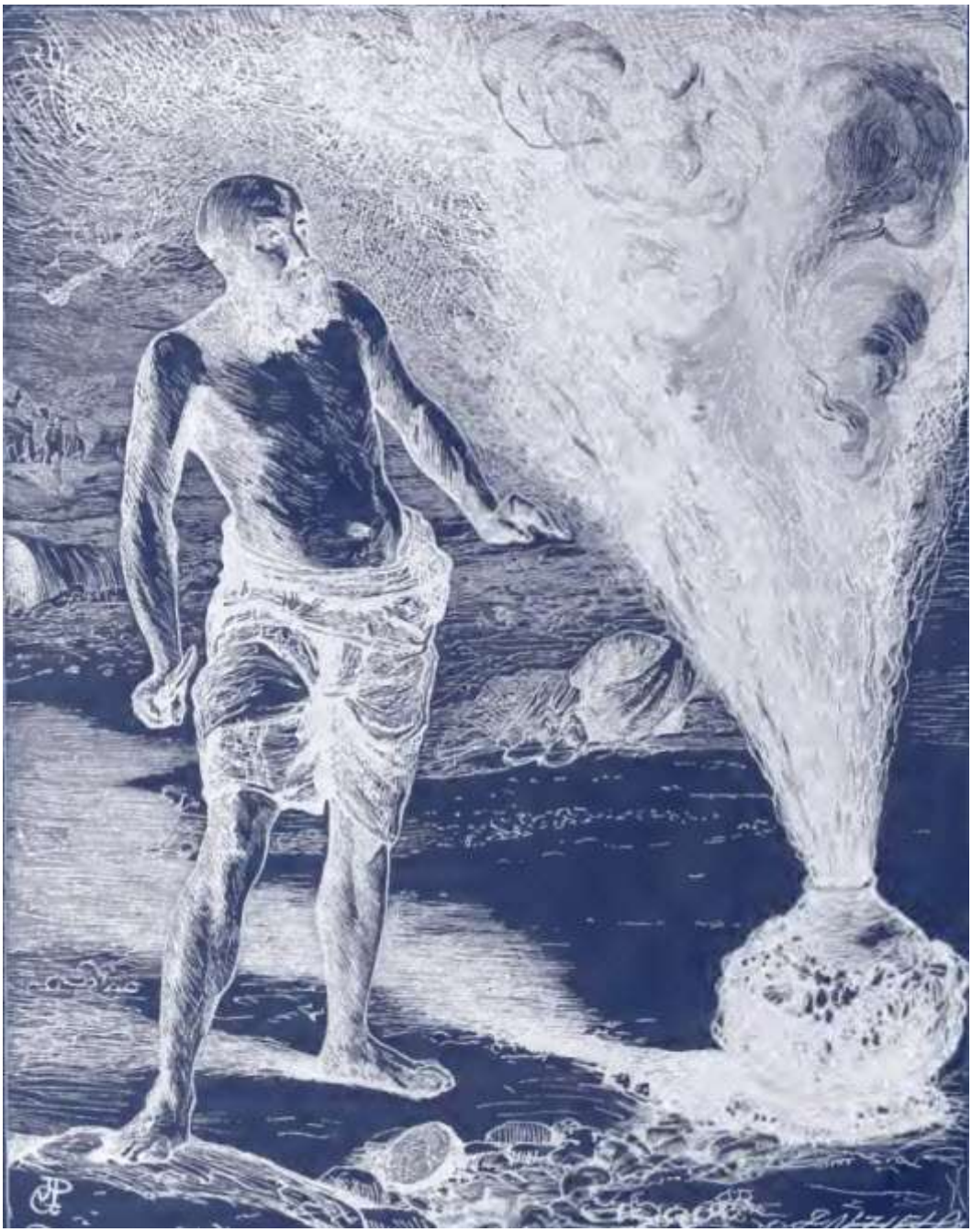

فلما رآه الصياد، ارتعدت فرائصه (العضلات الصَّدريَّة)، وتشبكت أسنانه، ونشف ريقه، وعمي عن طريقه، فلما رآه العفريت، قال: لا إله إلا الله، يا سليمان، يا نبيَّ الله، العفو العفو، لا بقيت أخالفك قولاً، ولا أعصي لك أمراً.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث، وفي الغد قالت: بلغني، أيها الملك العزيز، أن العفريت، لما قال هذا، قال له الصياد: أيها المارد، ماذا تقول؟ أتقول سليمان، نبي الله، وسليمان مات، وله ألف وثمانمائة سنة،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ونحن في آخر الزمان، فما قصتك، وما حديثك، وما سبب دخولك، في هذا القمقم؟

فلما سمع العفريت، كلام الصياد، قال له: ابشر.

قال الصياد في فكره: يا يوم السعادة.

ثم قال له العفريت: أبشر بقتلك، الساعة عَجَلاً.

قال له الصياد: عدمتك العافية، وأَراحَ اللّهُ مِنكَ، العالَمينا، جَزاكَ اللّهُ شَرّاً من عفريت، لأي شي، تقتلني، وأي شيء، يوجب قتلي، وقد خلصتك من القمقم، ونجيتك، من قرار البحر، وأطلعتك، إلى البر!؟

قال العفريت: تمنَّ علي.

ففرح الصياد، وقال: ما الذي أَتَمَنَّى عليك؟

قال العفريت: تمن علي، أي موتة تموتها، وأي قتلة، تقتلها.

قال الصياد: ما ذنبي، أهذا جزاء ما يكون، أني خلصتك؟

قال العفريت: اسمع حكايتي، يا صياد.

قال الصياد: قل، وأوجز في الكلام، فإن روحي، وصلت الْأَقْصَى.

قال الجني: إعلم، إني من الجنّ، المارقين (مارق: فاسد)، العاصين، عصيت، انا وصخر المارد، نبي الله، سليمان بن داوود، فأرسل لي، فأتى بي، كرها مني، على رغم أنفي، وأوقفني بين يديه، فلما رآني، عرض عليّ الإيمان، والدخول تحت طاعته، فأبيت، فطلب هذا القمقم النحاس، وحبسني فيه، وختم عليّ بالرصاص، وأمر الجن، فاحتملوني، وألقوني في وسط البحر، فأقمت مائة عام، وقلت في قلبي، كل من خلصني، أغنيته إلى الأبد، فمرت المائة عام، ولم يخلصني أحد، ودخلت عليّ، مائة أخرى،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فقلت، كل من خلصني، فتحت له، كنوز الأرض، فلم يخلصني، أحد، فمرت عليّ، أربعمائة عام أخرى، فقلت، كل من خلصني، أقضي له، ثلاث حاجات، فلم يخلصني أحد، فغضبت، غضبًا شديدًا، وزمجرت ونخرت (مَدَّ الصَّوْتَ وَالنَّفَسَ، فِي خَيَاشِيمِهِ)، وقلت في نفسي، كل من خلصني في هذه الساعة، قتلته، ومنيته كيف يموت، وها أنك قد خلصتني، ومنيتك، كيف تموت، فتمنَّ علي، كيف أقتلك؟

فلما سمع الصياد، كلام العفريت، قال: يا الله، العجب، أنا ما جئت أخلصك، إلا في هذه الأيام! ولكن، اعف عن قتلي، يعف الله عنك، ولا تهلكني، يسلط الله عليك، من يهلكك.

قال الجني: لا بد من قتلك، فتمنَّ علي، موتة تموتها.

فلما تحقق الصياد، قتله، حزن وبكى، وقال: لا أوحشَ (أوحش: جعله يجد الوحشة، أو يشعر بها) الله منكم، يا اولادي، ثم قال: بالله اعف عني، إكرامًا لما أعتقتك، وخلصتك، من هذا القمقم النحاس.

قال العفريت: وأنا، ما أقتلك، إلا جزاء، ما خلصتني.

قال الصياد: وكيف؟ وانا فعلت جميلا، تقابلني، طاعنا بالقبيح؟ كلا، إنَّ البُغَاثَ (ضربٌ من الطير)، بأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ (صار كالنسر)، ما كذبْ:

لا تَظلِمَنَّ إِذا ما كُنتَ مُقتَدِراً
فَالظُلمُ آخرُهُ يأتيك إِلى النَدَمِ
نامتْ عيونُكَ وَالمَظلومُ مُنتَبِهٌ
يَدعو عَلَيكَ وَعَينُ اللَهِ لَم تَنَمِ
فَعَلْنَا جَمِيلًا قَابَلُونَا بِضِدِّهِ
وَهَذَا لَعَمْرِي فِعلُ كلّ الفَوَاجِرِ
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
يَكُنْ حَمْدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وَإذا بُليتَ بِظالِمٍ كُنْ ظالِماٍ
وَإذا لَقيتَ ذَوي الجَهالَةِ فَاِجهَلِ

فلما سمع العفريت، كلامه، قال: لا تطل، ولا تطمع، فلا بد من موتك.

فقال الصياد في نفسه: هذا جنّي، وأنا إنسي، وقد أعطاني الله عقلًا، وفَضلّنِي، وها أنا أدبر أمرًا في هلاكه، بحيلتي وعقلي، وهو يدبر، بمكره وخبثه، ثم قال للعفريت: هل صممت على قتلي؟

قال الجني: نعم.

فقال الصياد: باسم الله عز وجل، المنقوش على خاتم سليمان، إذا سالتك عن شي، تصدقني؟

واهتز العفريت، واضطرب، وقال: اسأل، وأوجز.

وأدرك لُبَابَة الصباح، وسكتت عن الحديث، وفي الغد، قالت: بلغني، أن الصياد، قال للعفريت: بالله، انت كنت، في هذا القمقم، محبوس مسجون؟

أجابه العفريت: وحقٌّ، انا كنت، مسجوناً، في هذا القمقم.

قال له الصياد: كذبت! والله، هذا القمقم، لا يسع يدك، وليرَضَّ، (ينكسر) من رجليك، فكيف يسعك كلك؟

قال العفريت: والله، كنت فيه، وأنت، لا تصدق، أني كنت فيه!؟

قال الصياد: لا.

فلما قال الصياد، للعفريت، لا، انتفض العفريت، وصار دخانًا صاعدًا إلى الجو، ثم اجتمع، ودخل في القمقم، قليلاً قليلاً، حتى استكمل الدخان،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

داخل القمقم، فصاح العفريت: يا صياد، ها أَنا، في وسط القمقم، صَدَّقْتَني؟

وإذا بالصياد، أسرع، وأخذ سدادة الرصاص المختومة، وسد بها فم القمقم، ونادى: يا أيها العفريت، أنت تمن علي، أي موتة، تموتها! لأرمينك في هذا البحر، وأبني لي هنا بيتًا، وكل من أتى هنا، أمنعه أن يصطاد، وأقول له، هنا عفريت، وكل من أطلعه، يُمَنِّيه أنواع الموت، يخيره بينها.

فلما سمع العفريت، كلام الصياد، ورأى نفسه محبوسًا، أراد الخروج، فلم يقدر، ومنعه، ختم سليمان، وعلم، أن الصياد احتال عليه، وسجنه، ثم، أن الصياد، ذهب بالقمقم، إلى جهة البحر، فقال له العفريت: لا، لا، لا تفعل ذلك، انا كنت أمزح معك.

فقال الصياد: تكذب، يا أحقر العفاريت، وأقذرها وأصغرها، وإنَّ المَعَاذيرَ، يَشْوبُها الكَذِبُ، وإِنَّك، لَصِلٌّ أَصْلاَل (الصِلّ: حيَّة، من أخبث الحيَّات، أي، إنه داهية خبيث).

فرَقَّ (صارَ عَبْداً) العفريت، ذليلا، وتَخَضَّعَ (تضرَّع) وقال: ما تريد، أن تصنع بي، يا صياد؟

قال الصياد: ألقيك في البحر، وانت، إن كنت أقمت فيه، ألفًا وثمانمائة عام، فأنا أجعلك تقيم، إلى أن تقوم الساعة، أما قلت لك، أبقيني، يبقيك الله، ولا تقتلني، يقتلك الله، فأبيت قولي، وما أردت إلا غدري، فألقاك الله في يدي، فغدرت بك.

قال العفريت: يا صياد، افتح لي، حتى أحسن إليك، وأغنيك.

قال الصياد: تكذب تكذب، يا ملعون، فإن مثلي ومثلك، مثل الملك فامان، والحكيم رَوِيَان.

قال العفريت: وما هو مثله؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

إنَّ الطَّبيبَ لهُ عِلْمٌ يُدِلُّ به، أو حكاية: الملك فامان، والحكيم زَويَان

قال الصياد: إعلم، أيها العفريت، أنه كان في قديم الزمان، في مدينة الفُرس، وأرض الرومان، ملك، يقال له، الملك فامان، وكان ذا مال، وجنود وبأس وأعوان، وقد اُبْتُلِي بالبرص، وعجزت الأطباء، والحكماء، ولا السَّفُوفُ (كل دَوَاء يَابِس، غير معجون)، ولا الادهان، فهذا يوصِّي بأولادِهِ، وهذا يودِّعُ جيرانَهُ، وهذا يُغيِّرُ أخلاقَهُ، وهذا يُجهِّزُ أكفانَهُ.

وكان، قد رَحَلَ، الى مدينة الملك فامان، حكيمٌ، طاعن في السن، يقال له، الحكيم زَويَان، وكان، عارفًا بالكتب، تعلم كل علومها، عالمًا، بخواص النباتات والحشائش، والأعشاب المضرة والنافعة، وعِلْم الطب والنجوم، وكيف يكون، وعِلْمَ الفلاسفة، وحاز جميع العلوم.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، إن الحكيم، لما دخل مدينة الملك فامان، وأقام بها، أيامًا قلائِلَ، فسمع خبر الملك، وما جرى له في بدنه، من البرص، الذي ابتلاه الله به، وان الأطباء، قد عجزت عن مداواته، وعلاجه، فلما بلغ ذلك الحكيم، باتَ تلك الليلة، ولما أصبح الله، بالصباح، واضاء بكوكبه، ولاح، لبس الحكيم، افخر ثيابه، ودخل على الملك فامان، وعرفه بنفسه، وأحسن ما به تكلَّمَ، وقال: أيها الملك، قد بلغني خبر البرص، الذي على جسدك، وما اعتراك منه، وقد عالجته الأطباء، ولم يعرفوا الحيلة في زواله، وانا أداويك، أيها الملك، ولا أسقيك دواء، ولا أدهنك بدهن.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلما سمع الملك فامان، كلامَه، تعجَّبَ، وقال: كيف تفعل؟! وإن فعلت، أُغْنِيك لولد الولد، وأُنعِم عليك، واجعلك نديمي وجليسي، أتبرئني، من البرص، بلا دواء، ولا دهان؟!

قال رَويَان: نعم، بلا دواء، ولا دهان.

فتعجَّبَ فامان فقال: في أي الأوقات، وفي أي الأيام؟

قال رَويَان: يكون غدا، إِنْ شَاءَ اللَّه.

ثم، قام الحكيم رَويَان، ونزل المدينة، واكترى (استأْجر) بيتًا، أنْزَلَ فيه كتبه، واخرج الأدوية والعقاقير، وصنع كرة، وجعل صولجانًا، فيه قبضة مجوفة، اسقاها الادهان والعقاقير، التي عرفها واصطنعها، وأتقن الصولجان، بحسن حكمته، وصنعته، وأنشد:

نعم الإدام الخلّ، ما فيه ضرر
وكلُّ بيتٍ حل فيه، ما افتقر
يزيد في العقل، ودود البطن
يهلكه، محدِّد (شحذ) للذِّهن
وجاء في الكراث، فيما قد وردْ
قطع البواسير، وللرِّيح طرد
وينفع الثُفَّاح، في الرَّعاف (النزف الأنفي)
مبرّد، حرارة الأجواف
وفيه نفع للسّقام (مرض، هزال، ضعف) العارض
ويورث نسيان، أكل الحامض
وفي السفرجل، الحديث قد ورد
تأكله الحبلى، فيحسن الولد
وأهْدَتْ لَنَا الأيَّامُ، بَطِّيخَةً
مِنْ حُلَلِ الأرضِ، ودارِ السَّلامِ (الجنة)
ماءٌ، وحَلْواءٌ، ورَيحَانَةٌ (طيبة الرائحة)

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فاكِهَةٌ، حُرضٌ (أُشْنان، ما تغسل به الأيدي)، طعامٌ، إدامٌ (ما يُطَيِّب)
تُنَقِّي المثَانَةَ، وتُصَفِّي الوُجُوه
تُطَيِّبُ النَّكْهَةَ، عشرٌ (عشر خصال) تَمَامٌ

فلما صنع، وفرغ، طلع إلى الملك فامان، في اليوم الثاني، ودخل عليه، وتمنى له الخير، فأمره الملك فامان بالجلوس، وكان عنده الأمراء والحُجَّابُ، والوزراء وأرباب الدولة وكبارها، فلما استقر الديوان، ناوله الحكيم رَويَان، الصولجان، وقال: أيها الملك العزيز، خذ هذا الصولجان، واقبض عليه، مثل هذه القبضة، وانزل الميدان، واضرب به الكرة حتى تعرق، ويعرق كفك، فينفذ الدواء، فيسري في سائر جسدك، فإذا عرقت، وأَثَّرَ الدواءُ فيك، فارجع إلى قصرك، وادخل بعد ذلك الحمامَ، واغتسل ونَمْ، فقد بُرِئت، بإذن الله تعالى، والسلام.

فأخذ الملك فامان، ذلك الصولجان من الحكيم، وأمسكه بيده وركب الجواد، ورُمِيَتِ الكرة بين يدَيْه، وساق خلفها حتى لحقها، وضربها بقوة، وهو قابض بكفه، على قصبة الصولجان، وما زال يضرب به الكرة، حتى عرق كفه وسائر بدنه، وتشرب جسده الدواء.

وعرف الحكيم رَويَان، أن الدواء سرى في جسده، فأمره بالرجوع إلى قصره، وأن يدخل الحمَّامَ من ساعته، فرجع الملك فامان من وقته، وأمر أن يُخلُوا له الحمامَ، فأَخْلَوْه له، وتسارَعَ الفراشون، وتسابَقَ المماليك، وأعدُّوا للملك قماشه، ودخل الحمام، واغتسل غسلًا جيدًا، ثم خرج، ونظر إلى جسده، فلم يجد فيه شيئًا من البرص، وصار جسده نقيًّا، مثل الفضة البيضاء، ففرح بذلك، غاية الفرح، واتسع صدره، وانشرح، ولبس ثيابه، وركب إلى قصره، ونام.

فلما أصبح الصباح، دخل الديوان، وجلس على سرير ملكه، ودخلت عليه الحُجَّابُ وأكابر الدولة، هذا ما كان، من أمر الملك، فامان، وأما ما كان، من أمر الحكيم، رَويَان، فإنه، رجع إلى داره، وبات، فلما أصبح الصباح، طلع

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

إلى الملك، واستأذن عليه، فأذن له في الدخول، فدخل، وأشار إلى الملك، بهذه الأبيات:

إنَّ الطَّبيبَ لهُ عِلْمٌ يُدِلُّ به
ما دامَ في أجلِ الإنسان تَأخيرُ
حتّى إذا ما انقضتْ أيَّامُ مهلَتِهِ
حَارَ الطبيبُ وخَانتهُ العَقَاقيرُ
عجبتُ للطبيبِ يلحدُ في الخا
لقِ (الخالق) من بعدِ درسهِ التشريحا
دَوَاؤكَ فيكَ وما تَشْعُرُ
ودواؤكَ منكَ وما تبصرُ

ودخل عليه الحكيم رَويَان، فلما فرغ من شعره، نهض له الملك، قائمًا، وعانقه، وأجلسه بجانبه، وحدثه، وخلع عليه وأعطاه، وإذا، بموائد الطعام، قد مُدَّتْ، فأكل صحبتَه، وجعله نديمه وجليسه، وقال له: مثلك، حكيم الحكماء، معلمهم، يخدم الملوك، ويجالسهم.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت، وفي الغد قالت: بلغني، أيها الملك السعيد، وما زال الحكيم رَويَان، عند الملك فامان، والملك ينادمه، طول نهاره، فلما أقبل الليل، أعطى الحكيم، غير الخلع والهدايا، وأركبه جواده، والملك فامان، يتعجَّب ويقول: إن هذا الرجل، داواني، بغير دواء، والذي عجزت عنه الحكماء، فيجب عليَّ، أنْ أتخذه، جليسًا وأنيسًا، مدى الزمان، فواللهِ، ما يُستحق له، إلا كل اكرام.

وبات الملك فامان، مسرورًا فرحان، بصحة جسمه، وخلاصه من مرضه، فلما أصبح، خرج الملك، وجلس على سرير ملكه، ووقفت أرباب دولته، بين يدَيْه، وجلست الأمراء والوزراء، على يمينه ويساره، ثم طلب الحكيم رَويَان، فدخل عليه، فقام له الملك، وأجلسه بجانبه، وأكل معه وحيَّاه، وخلع عليه وأعطاه، ولم يزل يتحدَّث معه، إلى أن أقبل الليل، فانصرف الحكيم، إلى داره، وبات مع زوجته، وهو فرحان، شاكر، للملك فامان.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلما أصبح الصباح خرج الملك، إلى الديوان، وقد أحدقت به، الأمراء والوزراء والحجاب، وكان له، وزيرٌ من وزرائه، بَشِع المنظر، لئيم، بخيل، حسود، مجبول على الحسد والمقت، فلما رأى، قرب الحكيم رَوِيَان، من الملك فامان، ورأى، ما أعطاه الملك، من المال الجزيل، والجاه والشرف، وخاف، أن يعزله الملك، والحكيم قرَّبَ، فحسده، والحَسَدُ، هُوَ المَلِيلةُ (حُمَّى باطنة) الكُبْرَى، وأضمر له شرا، ولَيْسَ لِلحآسِدِ، إلاّ ما حَسَدَ.

وأن الوزير الحسود، تقدَّمَ إلى الملك فامان، وقبَّلَ الأرضَ بين يدَيْه، ودعا له، بالعز والنِعَم، وقال: يا ملك العصر، أيها الملك الجليل، والسيد الفضيل، أنت، الذي شمل الناسَ إحسانُك، وإنّي، قد نشأت في احسانك وبركتك، ولك عندي نصيحة، والصِّدْقُ، فِي بَعْضِ الأمُورِ، عَجْز (أي، ربما يضر الصدقُ، صاحبَه)، فإن أمرتني أن أبديها، أبديتها لجلالتك.

قال الملك، وقد أزعجه كلام الوزير: ويلك، ما نصيحتك؟

قال الوزير: أيها الملك الجليل، قد قالت القدماء، مَن لم ينظر في العواقب، فما الدهر له بصاحب، وإنّي، قد رأيتُ الملكَ، على غير صواب، حيث أنعم على عدوّه، وعلى مَن أتى، يطلب زوالَ ملكه، وقد أحسنت إليه، وأكرمته غاية الإكرام، وقرَّبتَه غايةَ القرب، وأنا أخشى على الملك، منه.

قال الملك: من تزعم، ولمن تعني، وعن من تشير؟

قال الوزير: أيها الملك، إن كنتَ نائمًا، فاستيقظ، فأنا أشير، إلى الحكيم رَوِيَان، الذي أتى، من بلاد الرومان.

قال الملك: هذا عدوي!؟ إن هذا صديقي، وهو أصدق الناس لي، وأعزهم عندي، لان هذا الحكيم، داواني، بشيء قبضته بيدي، وأبرأني من مرضي، الذي عجزت فيه الأطباء، وأعيا الحكماء، وهو لا يوجد مثله، في هذا الزمان، غرباً وشرقاً، بعداً وقرباً، وأنت تقول عنه هذا!؟ وأنا، من اليوم، أُجري عليه

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

الجرايات، الجرايات ولو قاسمته نعمتي، وملكي، كان قليلا في حقه، وما أظنُّ أنك تقول ذلك، إلا حسدًا.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث المباح.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

حيث لا ينفع الندم، أو حكاية: الببغاء، والزوج

وفي الغد، قالت لُبَابَة: بلغني، أيها الملك السعيد، أن الملك فامان، قال لوزيره: أيها الوزير، أنت دخلك الحسد، فتريد أن أقتل، الحكيم رَوِيَان، وبعد ذلك أندم، كما ندم الرجل، على قتل الببغاء.

قال الوزير: وكيف كان ذلك؟

قال الملك: ذُكِر، أنه كان رجلا، شديد الغيرة، وكان له امرأة، ذات حسن وكمال، وبهاء وجمال، وكانت تمنعه أن يسافر عنها، فوقعت له ضرورة الى السفر، فمضى الى سوق الطير، واشترى ببغاء، وجعله في بيته، يكون رقيبه في غيبته، ويحدثه ما جرى في بيته.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلما سافر، وقضى أعماله، ورجع من سفره، احضر الببغاء بين يديه، وسأله عن حال زوجته، في غيبته، فأخبره فيما فعلت مع صديقها، وما جرى بينهم في غيابه، يـوماً بيوم، فلما سمع ذلك، قام الى زوجته، وأشبعها ضرباً، وغضب غضبا شديداً، فظنت الامرأة، أن بعض جوارها، قد حدثت زوجها، وعرفته فيما جرى، بينها وبين محبها، فأخذت تُقِرّ الجَارِيَاتْ، جارية بعد جارية، وحلفوا لها، أن الببغاء، هو الذي أخبره بكل شي، ونحن قد سمعناه.

فلما سمعت الامرأة ذلك، وعند غياب زوجها، في ليلة في أعماله، أمرت جارية، ان تأخذ طاحُونَةٌ، تقلبها تحت القفص، وجارية غيرها، ترش الماء، من فوق القفص، وجارية تجري بالمرآة، طوال الليل، يميناً وشمالاً، تبرق ضوء شمعة، في وجه الببغاء.

فلما أصبح الصباح، احضر زوجها الببغاء بين يديه، وسأله عما جرى تلك الليلة، في غيابه، فقال له: اعذرني، فاني لا اسمع، ولا أبصر، من شدة الظلام، والمطر والرعد والبرق، طوال الليل، الى الصباح.

وكان ذلك الفصل، أوان الصيف، فقال الزوج: ويلك، ما هذا أوان المطر.

قال الببغاء: لقد كنت أبصرها، في هذه الليلة جميعها، ما ذكرت لك.

فعلم الزوج، أن الببغاء، قد كذب على امرأته، فيما ذكر له عنها، أول مرة، فغضب، فمد يده واخرجه من القفص، وضربه في الارض فقتله.

ومات الببغاء، ثم، انه بعد ذلك، علم الزوج، صحة كلام الببغاء، عن زوجته، من الجيران، والحيلة التي عملتها امرأته، فندم على قتله، حيث لا ينفع الندم، وهكذا أنا، أيها الوزير.

فلما سمع الوزير، كلام الملك فامان، قال له: أيها الملك العظيم الشأن، وما الذي فعله الحكيم رَويَان، من المضرة معي، حتى أريد قتله؟ إنما أنا،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

أنصحك، شفقة عليك، وخوفاً، أفعل معك هذا، وستعلم صحةَ ذلك، فإن قبلتَ مني، نجوتَ، وإلا، طلب هلاكك، كما طلب الوزير، هلاك ابن الملك.

قال الملك فامان: وكيف كان ذلك؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

أسرفت يا إبليس في الوسواس، أو حكاية: الوزير، وابن الملك

قال الوزير: زعموا أيها الملك السعيد، انه كان ملك، من الملوك، وكان له ولد، مولع بالصيد والقنص، وكان لذلك الملك وزير، فأمر الملك، ذلك الوزيرَ، أن يكون مع ابنه، اينما كان، واينما مضى.

وفي بعض الأيام، خرجوا وساروا، ونظر الوزير، إلى وحش كبير، فقال الوزير لابن الملك: دونك هذا الوحش، فاطلبه.

فاخذ الولد في طلبه، حتى أنه غاب عن الأثر، وتاه عن الطريق، وغاب عنه الوحش، في البَرِّيَّة، وتحيَّرَ ابن الملك، فلا علم له، اين يتوجه، ولا اين يذهب، وإذا بجاريةٍ، على رأس الطريق، وهي تبكي، فتقدم اليها، وقال لها ابن الملك: مَن أنت؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قالت الجارية: أنا بنتُ ملكٍ، من ملوك الاغريق، وكنت راكبة مسافرة في البرية، ومعي جملة من الناس، فادركني النعاس، فوقعت من فوق دابتي، وجماعتي تركوني، وبقيت في هذه الارض المنقطعة، فصرتُ لا اعلم، اين اذهب.

فلما سمع، ابن الملك كلامها، رَقَّ لحالها، وحملها خلفه، على ظهر دابته، وسار بها، حتى وصل إلى خرابة، فقالت له الجارية: يا سيدي، أريد أن أقضي حاجة هنا.

فأنزلها، ودخلت الى تلك الخرابة، ثم تعوقت، فاستبطأها، فدخل خلفها، وهي لا تعلم به، فإذا بها قد صارت غولة، تقول لأولادها: يا أولادي، قد

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

أتيتكم اليوم، بغلام سمين.

فقالوا لها: ائتينا به يا أماه، نأكله في بطوننا.

فلما سمع ابن الملك كلامهم، أيقن بالهلاك، وارتعدت فرائصه، وخشي على نفسه ورجع، فخرجت الغولة، فرأته كالخائف الوجل، وهو يرتعد، فقالت له: ما بالك خائفًا؟

قال ابن الملك: إن لي عدوًّا، وأنا خائف منه.

قالت الغولة: إنك تقول، أنا ابن الملك؟

قال ابن الملك: نعم.

قالت الغولة: ما لك، لا تعطي عدوك، شيئًا من المال، فترضيه به؟

قال ابن الملك: إنه لا يرضى بمال، ولا يرضى إلا بالروح، وأنا خائف منه، وأنا رجل مظلوم.

قالت الغولة: إن كنتَ مظلومًا، كما تزعم، فاستعِنْ بالله عليه، فإنه يكفيك شرَّه، وشرَّ جميع ما تخافه.

فرفع ابن الملك، رأسه إلى السماء، وقال:

أغويتني من بعد ما استدرجتني
مستحوذاً حتى على أنفاسي
ونفذت في اعماق نفسي فاتحا
حتى ملكت منافذ الإحساس
أسرفت يا إبليس في الوسواس
فأعوذ منك برب هذا الناس

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم قال: يا مَن يجيب، دعوةَ المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، انصرني على عدوي، واصرفه عني، إنك على ما تشاء، قدير.

فلما سمعَتِ الغولة دعاءه، انصرفت عنه، وانصرف ابن الملك، إلى أبيه سالماً، وحدثه بجميع ما جرى له، من حديث الوزير، حتى ما جرى مع الغولة، فاستدعى الملك الوزير، وقتله حالا.

وأنت أيها الملك، وإن كنتَ أحسنتَ إلى هذا الحكيم، وقرَّبته منك، فمتى آمنت له، قتلك أقبح القتلات، فإنه جاسوس، اتى من بلاد بعيدة، في طلب هلاكك، أَمَا ترى، أنه أبرأك من المرض، من ظاهر الجسد، بشيء أمسكته بيدك، فلا تأمن، أن يُهلِكَك، بشيء تمسكه أيضًا.

قال الملك فامان: صدقت يا أيها الوزير، وغضب.

قال الوزير: من الممكن أنه يعمل على هلاكك، في شيء تمسكه بيدك.

وغضب الملك فامان، وقال: صدقت يا أيها الوزير، قد يكون، كما ذكرتَ، أتى جاسوسًا، في طلب هلاكي، وإذا كان، أبرأني بشيء أمسكتُه بيدي، فإنه يقدر أن يهلكني، بسَمّه.

ثم، إن الملك فامان، قال لوزيره: أيها الوزير الناصح، وكيف العمل؟

قال الوزير: أيها الملك، أرسل الآن خلفه، واحضره بين يديك، فإنْ حضر، فاضرب عنقه، فتُكفَى شره، وتستريح منه، واغدر به، قبل أن يغدر بك، تكون، قد فزت بطلبك.

قال الملك فامان: هذا هو الصواب، والامر الذي لا يعاب.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث المباح.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

لَوْ أَنْصَفُوا أُنْصِفُوا، أو حكاية: كيف تكلمني رأسك

وفي الغد، قالت لُبَابَة: ثم، إن الملك، أرسل إلى الحكيم، فحضر وهو فرحان، لما أولاه الملك، من النعم والأموال، فلما حضر الحكيم، قال له الملك: اتدرى أيها الحكيم، لما احضرتك؟

قال الحكيم: لا أيها الملك.

قال الملك: أحضرتك لأقتلك، وأعدمك روحك.

فتعجَّبَ الحكيم، وقال: أيها الملك، لماذا تقتلني؟ وبأي ذنب، بَدَا مني؟

قال الملك: قد قيل، إنك جاسوس، وقد أتيتَ لتقتلني، وها أنا أقتلك، قبل أن تقتلني.

ثم، إن الملك، صاح على السياف، وقال له: اضرب رقبة هذا الغدار، وأَرِحْنا من شرّه.

فلما سمع الحكيم، هذا الكلام، علم، أنه قد حسد، لقربه من الملك، وكذبوا، حتى يقتل، وعلم، أن الملك، قليل المعرفة والرأي، وندم، حيث لا ينفعه الندم، وقال: لا حول ولا قوة، الا بالله، العلي العظيم، أنا عملت خيرا، وجازوني، بالقبيح.

هذا، والملك قد صاح على السياف، لضرب رقبته، وقال الحكيم: أَبْقِني، يُبْقِيك الله، ولا تقتلني، يقتلك الله.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، إنه كرَّرَ عليه القول، مثل ما قلت لك، أيها العفريت، وأنت لا تدعني، بل تريد قتلي، فقال الملك فامان: إني لا آمن، إلا إن قتلتك، فإنك أبرأتني، بشيء أمسكته بيدي، فلا آمن أن تقتلني، بشيء أشمه، أو غير ذلك.

قال الحكيم رَويَان: أيها الملك، أهذا جزائي منك، تقابل المليح بالقبيح؟!

قال الملك: لا تطل، فلا بد من قتلك اليوم، من غير مهلة.

فلما تحقَّقَ الحكيم، أن الملك، قاتِلُه لا محالةَ، لام نفسه، وانشد:

نَصَحْتُ فَلَمْ أُفْلِحْ وَغَشُّوا فَأَفْلَحُوا
فَأَوْقَعَنِي نُصْحِي بِدَارِ هَوَانِ
لكلّ داءٍ دواءٌ يُسْتَطَبُّ به
إلاَّ الحماقةَ أعْيَتْ من يداويها
أُداويهم إلاَّ من اللُّؤم إنَّه
ليُعيي علاجَ الحاذق الفطن الطِّبِّ

وبعد ذلك، تقدَّم السيَّافُ، وغمَّى عينَيْه، وشهر سيفه، وقال: ائذَنْ، والحكيم يبكي، ويقول للملك: أبقني، يُبْقِك الله، ولا تقتلني، يقتلك الله، أيكون هذا جزائي منك، فتجازيني، مجازاة التمساح؟!

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قال الملك: وما حكاية التمساح؟

قال الحكيم: لا يمكنني أن أقولها، وأنا في هذه الحال، فبالله عليك، أبقني، يُبْقِك الله، ولا تقتلني، يقتلك الله.

ثم، إن الحكيم، بكى بكاءً شديدًا، فقام بعض خواص الملك، وقال: أيها الملك، هَبْ لي، دمَ هذا الحكيم، ما رأيناه، فعَلَ معك ذنبًا، وما رأيناه، إلا أبرأك من مرضك، الذي أعيا الأطباء، والحكماء.

أجاب الملك: لم تعرفوا، سببَ قتلي لهذا الحكيم!؟ ذلك، أني إن أبقيته، فأنا هالك لا محالة، ومَن أبرأني من المرض، الذي كان بي، بشيء أمسكته بيدي، فيمكنه أن يقتلني، بشيء أشمه، فأنا أخاف أن يقتلني، ويأخذ عليَّ

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

جعالة (ما يُجْعلُ، على عملٍ، من أَجرٍ أَو رِشْوَةٍ)، لأنه ربما كان جاسوسًا، وما جاء إلا ليقتلني، فلا بد من قتله، وبعد ذلك، آمن على نفسي.

قال الحكيم رَويَان: بالله أيها الملك، أبقني، يُبْقِك الله، ولا تقتلني، يقتلك الله.

أجاب الملك: لا بد من قتلك.

فلما تحقَّقَ الحكيم، أيها العفريت، أن الملك، قاتِلَه لا محالةَ، قال: أيها الملك، إن كان ولا بد من قتلي، فأمهلني، حتى أنزل داري، أخلِّص نفسي، أوصي أهلي، أهِبُ كتبي، وعندي كتاب، خاص الخاص، أهبه لك هدية، تدَّخره في خزانتك.

قال الملك: وما سر هذا الكتاب؟

قال الحكيم: فيه شيء، لا يُحصَى، وأقل ما فيه من الأسرار، أنك إذا قطعتَ رأسي، وفتحته، وعددتَ ثلاث ورقات، ثم تقرأ ثلاثة أسطر من الصحيفة، التي على يسارك، فإن الرأس، يكلِّمك، ويجاوبك، عن جميع ما سألتَه عنه.

فتعجَّبَ الملك، غايةَ العجب، واهتزَّ من الطرب، وقال: إذا فتحت الكتاب، وقرأت ثلاثة أسطر، أكلم رأسك، ويكلمني!؟

قال الحكيم: نعم أيها الملك، وهذا أمر عجيب.

ثم، إن الملك، أرسله مع المحافظة عليه، فنزل الحكيم إلى داره، وقضى أشغاله، وفي اليوم الثاني، طلع الحكيم إلى الديوان، وطلعت الأمراء والوزراء، والحُجَّاب والنوَّاب، وأرباب الدولة جميعًا، وصار الديوان، كزهر البستان، وإذا بالحكيم دخل، ووقف أمام الملك، ومعه كتاب عتيق، ومكحلة (وعاء) فيها ذرور (مسحوق)، وجلس وقال: ائتوني بطبق.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فأتوه بطبق، وكبَّ فيه الذرور، وفرشه، وقال: أيها الملك، خذ هذا الكتاب، ولا تعمل به، حتى تقطع رأسي، فإذا قطعته، فاجعله في ذلك الطبق، وَأُمُر بكبسه على ذلك الذرور، فإذ فعلتَ ذلك، فإن دمه ينقطع، ثم، افتح الكتاب، وأسأل رأسي، فإنها تجيبك، ولا حول ولا قوة الا بالله، وبالله ابقيني، يبقيك الله، ولا تقتلني، يقتلك الله.

قال الملك: لابد من قتلك، ولما انظر، كيف تكلمني رأسك.

ثم، ان الملك، أمر بضرب رقبته، فاخذ الكتاب منه، وقام السياف، وضرب رقبته، فطاح الرأس، في وسط الطبق، وكبسها على الذرور، فانقطع دمها، ففتح الحكيم رَويَان عينيه، وقال: افتح الكتاب، ايها الملك.

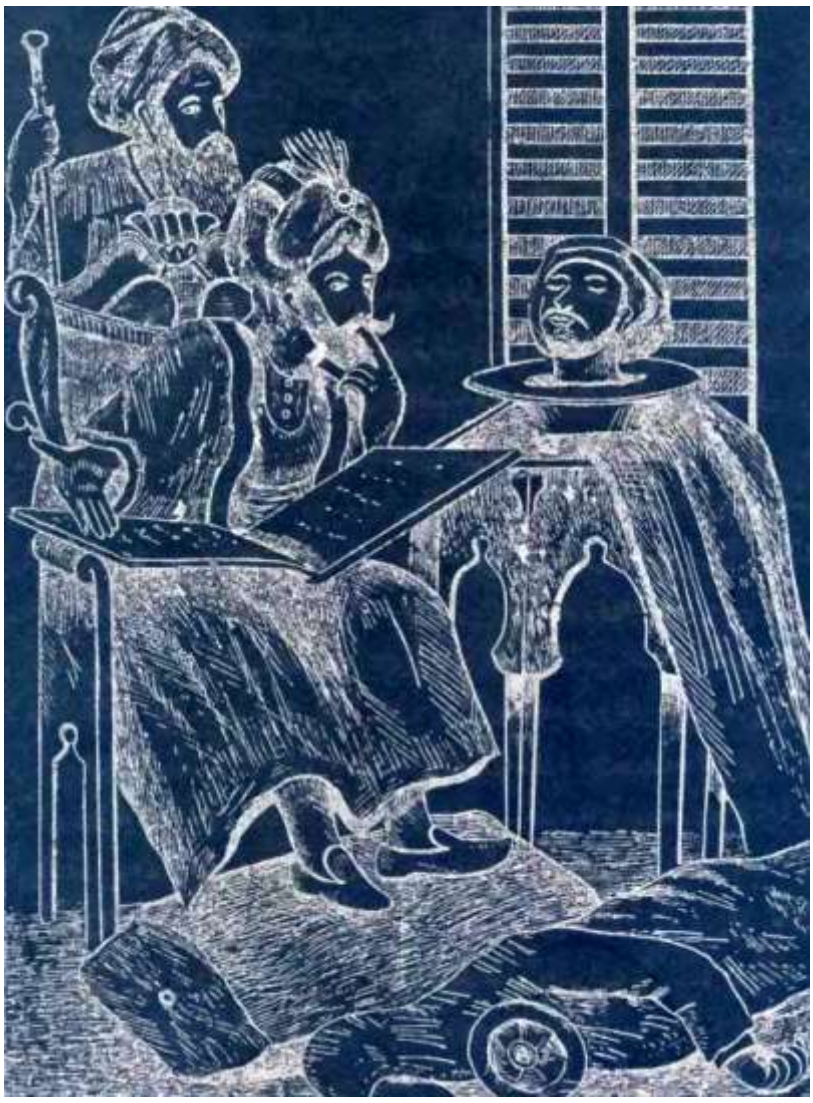

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ففتحه الملك، فوجده ملصوقًا، فحطَّ أصبعه في فمه، وبلَّه بريقه، وفتح أول ورقة، والثانية والثالثة، والورق ما ينفتح، إلا بجهد، ففتح الملك، ست ورقات، ونظر فيها، فلم يجد فيها كتابةً، فقال: أيها الحكيم، ما فيه شيء مكتوب.

قال الحكيم: قلِّب زيادة على ذلك.

فقَلَّبَ الملك زيادةً، فلم يكن إلا قليل من الزمن، حتى سرى السم، فإن الكتاب، كان مسمومًا، فعند ذلك، تزحزح الملك وصاح، وأنشد الحكيم:

تَحَكَّمُوا فَاسْتَطَالُوا فِي حُكُومَتِهِمْ
وَعَنْ قَلِيلٍ كَأَنَّ الْحُكْمَ لَمْ يَكُنِ
لَوْ أَنْصَفُوا أُنْصِفُوا لَكِنْ بَغَوْا فَبَغَى
عَلَيْهُمُ الدَّهْرُ بِالْآفَاتِ وَالْمِحَنِ
وَأَصْبَحُوا وَلِسَانُ الْحَالِ يُنْشِدُهُمْ
هَذَا بِذَاكَ فَلَا عَتْبٌ عَلَى الزَّمَنِ

فلما فرغ رَوِيَان الحكيم، من كلامه، سقط الملك ميتًا، من وقته، وماتت الرأس، فاعلم أيها العفريت، أن الملك فامان، لو أبقى الحكيم رَوِيَان، لأبقاه الله، ولكن، أَبَى وطلب قتله، فقتله الله، وأنت أيها العفريت، لو أبقيتني، لَأبقاك الله.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

هذا وقت المروءات، أو حكاية: الدَّمُ الدَّمْ، الهَدْمُ الهَدْمْ

وفي الغد، قالت لُبَابَة: بلغني أيها الملك السعيد، أن الصياد، لما قال للعفريت: لو أبقيتني، كنت أبقيتك، لكن، ما أردتَ إلا قتلي، فأنا أقتلك محبوسًا، في هذا القمقم، وألقيك في هذا البحر.

فصرخ المارد وقال: بالله عليك أيها الصياد، لا تفعل، وأبقني كرمًا، ولا تؤاخذني بعملي، فإذا كنتُ أنا مسيئًا، كن أنت مُحسِنًا.

أجاب الصياد: لا بد من إلقائك في البحر، ولا سبيل، إلى إخراجك منه، فإني كنتُ أستعطفك، وأتضرَّع إليك، وأنت لا تريد إلا قتلي، من غير ذنب، استوجبتُه منك، ولا فعلتُ معك سوءًا قطُّ، ولم أفعل معك إلا خيرًا، لكوني أخرجتك من السجن، فلما فعلتَ معي ذلك، علمت أنك رديء الأصل، تقابل الجميل بالقبيح، واعلم، أنني ما رميتك في هذا البحر، إلا لأجل، أن كل مَن طلَّعك، أخبره بخبرك، وأحذِّره منك، فيرميك فيه ثانيةً، فتقيم في هذا البحر، إلى آخِر الزمان، حتى ترى، أنواع العذاب.

قال العفريت: أطلقني، فهذا وقت المروءات، وأنا أعاهدك، أني لن أسوءك أبدًا، بل أنفعك بشيء، ينفعك دائمًا.

فأخذ الصياد، عليه العهد، أنه إذا أطلَقَه، لا يؤذيه أبدًا، بل يعمل معه الجميل، فلما استوثق منه، بالأيمان والعهود، وحلَّفه باسم الله، فتح له الصياد، فتصاعد الدخان، حتى خرج وتكامل، فصار عفريتًا، مشوَّه الخلقة، ورفس القمقم، فرماه في البحر.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلما رأى الصياد، أن العفريت، رمى القمقمَ في البحر، أيقن بالهلاك، وقال: هذه ليست علامة خير. ثم، إنه قوَّى قلبه، وقال: أيها العفريت، قال الله تعالى: وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا، وأنت قد عاهدتني، وحلفتَ أنك لا تغدر بي، فإن غدرت بي، يُجْزِكَ الله، فإنه يمهل ولا يهمل، وأنا قلت لك، مثل ما قال الحكيم رَوِيَان، للملك فامان: أبقني، يبقك الله.

فضحك العفريت، ومشى أمامه، وقال: أيها الصياد، اتبعني.

فتبعه الصياد، وهو مرعوب، لا يصدق بالنجاة، وطلعا على جبل، ونزلا إلى بَرِّيَّةٍ متسعة، وإذ في وسطها بركة ماء، بين أربعة جبال، فوقف العفريت عليها، وأمر الصياد، أن يطرح الشبكة ويصطاد.

فنظر الصياد، إلى البركة، وإذا فيها، السمك ألوانًا: الأبيض، والأحمر، والأزرق، والأصفر، فتعجَّبَ من ذلك، ثم، إنه طرح شبكته، وجذبها، فوجد فيها، أربع سمكات، كل سمكة بلون، فلما رآها الصياد، فرح، وقال له العفريت: ادخل بها إلى السلطان، وقدِّمها إليه، فإنه يعطيك ما يغنيك، وبالله، اقبل عذري، فإنني في هذا الوقت، لم أعرف طريقًا، وأنا في هذا البحر، مدة ألف وثمانمائة عام، ما رأيت ظاهر الدنيا، إلا في هذه الساعة، ولا تصطد منها كلَّ يوم، إلا مرة واحدة، واستودعتك الله، ثم، دَقَّ الأرض بقدمَيْه، فانشقَّتْ وابتلعته.

ومضى الصياد إلى المدينة، وهو متعجِّب ممَّا جرى له، مع هذا العفريت، وقصد قصر الملك، وقدَّمَ له السمك، فنظر إليهم الملك، وتعجَّبَ غاية العجب، وقال لوزيره: أعطيه للطباخة، التي أهداها لنا، ملك الروم.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فأخذهم الوزير، ودفعهم للجارية، وقال: اشْوِهم، اليومَ يوم طهيك، وحسن طبيخك.

ثم رجع الوزير، بعدما أوصاها، فأمره الملك، أن يعطي الصياد، أربعمائة دينار، فأخذهم الصياد، وتوجَّهَ إلى منزله، وهو فرحان مسرور، واشترى لعائلته، ما يحتاجون إليه.

فهذا ما كان، من أمر الصياد، وأما ما كان، من أمر الجارية، فإنها أخذت السمك، فنحتت قشره، وشقت جوفه، وغسلته غسلا جيدا، ثم نشفته من الماء، ونثرت عليه، شيئا من الكزبرة الناعمة، والقرفة الناعمة، والكمُّون الناعم، والمستكة المسحوقة ناعمًا، وعجنته بزيت السمسم الطري، وطلته بزيت السمسم، وبالزعفران المداف بماء الورد، باطنه وظاهره، وحشت جوفه، بجوز مدقوق، مخلوط، مع الثوم، والزعتر اليابس، والسماق، وربطته بخيوط كتان، وجعلته في سيخ حديد، وحطته على التنور، على نار هادئة، غير ملتهبة.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، إنها تركت السمك، حتى استوى وجهه، وقلبته على الوجه الثاني، وإذا بحائط المطبخ، قد انشقّ، وخرجت صبية، رشيقة القد، أسيلة الخد (أسل الخد: ملس، واستوى، ولان)، كاملة الوصف، كحيلة الطرف (من العيون: التي جعل فيها الكحل)، لابسة جلباب أطلسي (الأطلَسُ: نسيج من حرير) مطرز بنوار (زهور) مصري، في أذنيها حلق، وفي زنودها (موصل طرف الذراع في الكتف) أساور، وفي يدها قضيب من الخيزران، فغرزت القضيب في السمك، وقالت بلسان فصيح: الدَّمُ الدَّمْ، الهَدْمُ الهَدْمْ.

فلما رأت الجارية هذا، غشي عليها، وقد أعادت الصبية القول، ثانيًا وثالثًا، فرفع السمك رأسه، وقال: حَيْصٍ بَيْصٍ (ضيق وشدة)، حَيْصٍ بَيْصٍ.

فعند ذلك، قلبت الصبية السمك، وخرجت من الموضع، الذي دخلت منه، والتحم حائط المطبخ.

وأفاقت الجارية، فرأت الأربع سمكات، محروقة، مثل الفحم الأسود، فخافت، وحزنت وقالت: أَوَّلُ الْغَزْوِ، أَخْرَقُ (يضرب، في قلة التجارب). فبينما هي تعاتب نفسها، وإذا بالوزير، على رأسها، وقال: هاتي السمك.

فبكت الجارية، وأعلمت الوزير بالحال، وبالذي جرى، فتعجَّبَ الوزير من ذلك، وقال: ما هذا، إلا أمر عجيب.

وأرسل الوزير، إلى الصياد، فأتوا به إليه، فقال: أيها الصياد، لا بد أن تأتي لنا، بأربع سمكات، مثل التي أتيت بها، أولًا.

فخرج الصياد إلى البركة، وطرح شبكته، وجذبها، وإذا بأربع سمكات، فأخذها، وجاء بها إلى الوزير، فدخل بها الوزير، إلى الجارية، وقال: اشْوِهم أمامي، حتى أرى، هذه القضية.

فقامت الجارية، وأصلحَتِ السمكَ، ووضعته على النار، فما استقر إلا قليلًا، وإذا بالحائط قد انشقَّ، والصبية قد ظهرت، وهي لابسة ملبسها، وفي يدها القضيب، فغرزته في السمك، وقالت: الدَّمُ الدَّمْ، الهَدْمُ الهَدْمْ.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فرفع السمك رأسه، وقال: حَيْصٍ بَيْصٍ، حَيْصٍ بَيْصٍ.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت، وفي الغد قالت: بلغني، أيها الملك السعيد، أنه، لما تكلّمَ السمك، قلبته الصبية، بالقضيب، وخرجت من الموضع الذي جاءت منه، والتحم الحائط، فعند ذلك، قام الوزير وقال: هذا أمر، لا يمكن إخفاؤه، عن الملك.

ثم، إن الوزير، تقدَّمَ إلى الملك، وأخبره بما جرى، فقال الملك: لا بد أن أنظر، بعيني.

وأرسل الملك إلى الصياد، وأمره، أن يأتي بأربع سمكات، مثل الأولى، وأمهله، ثلاثة أيام، فذهب الصياد إلى البركة، وأتاه بالسمك، في الحال، فأمر الملك، أن يعطى أربعمائة دينار، ثم التفت إلى الوزير، وقال: اشْوِ أنت السمكَ، ها هنا أمامي.

فقال الوزير: سمعًا وطاعة، وأصلح السمك، ووضعه على النار، وإذا بالحائط قد انشقَّ، وخرج عبد أسود، كأنه طود (الجبلُ العظيم، الذاهبُ صُعُداً في الجوّ) من الاطواد، أو من بقية قوم عاد، وفي يده، فرع من شجرة خضراء، وقال بكلام فصيح: الدَّمُ الدَّمْ، الهَدْمُ الهَدْمْ.

فرفع السمك رأسه، وقال: حَيْصٍ بَيْصٍ، حَيْصٍ بَيْصٍ.

ثم، أقبل العبد، على السمك، وقلبه، إلى أن صار، فحمًا أسود، ثم، ذهب العبد، من حيث أتى، فذُهل الملك، وقال: لا يمكنني الرقاد (النَوْم)، دون أن أَبَانَ، هذا الامر، إن هذا السمك له شأن غريب.

وأمر الملك، بإحضار الصياد، فلما حضر، قال له: من أين هذا السمك؟

أجاب الصياد: من بركة، بين أربعة جبال، وراء هذا الجبل، الذي بظاهر مدينتك.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فقال الملك، للوزير: أأنت على علم بها؟

أجاب الوزير: لي ثلاثين سنة، وانا اصطاد، واخرج الى البراري والجبال، فما رأيتها.

فالتفت الملك إلى الصياد، وقال: وكم تبعد، هذه البركة؟

قال الصياد: مسيرة ساعتين.

فتعجَّبَ الملك، وأمر بخروج العسكر، حالا مع الصياد، فصار الصياد، يلعن العفريت، وساروا إلى أن طلعوا الجبل، ونزلوا منه إلى بَرّيَّةٍ متسعة، لم يروها مدةَ أعمارهم، والملك وجميع العسكر، يتعجبون، من تلك البَرّيَّةِ، التي نظروها بين أربعة جبال، وفيها بركة، والسمك فيها، على أربعة ألوان: أحمر، وأبيض، وأصفر، وأزرق، فوقف الملك متعجبًا، وقال للعسكر، ولمَن حضر: هل أحد منكم، رأى هذه البركة، في هذا المكان؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فقالوا كلهم: لا.

فقال الملك: واللهِ، لا أدخل مدينتي، ولا أجلس على تخت ملكي، حتى أعرف، حقيقة هذه البركة، وسمكها.

ثم، أمر بالنزول، ثم، دعا بالوزير، وكان وزيرًا خبيرًا، عاقلًا لبيبًا، عالمًا بالأمور، فلما حضر بين يدَيْه، قال الملك: إني أردتُ، شيئًا، أن أنفرد، وأبحث عن خبر هذه البركة، وسمكها، فاجلس على باب خيمتي، وقُلْ للأمراء،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

والوزراء والحجاب، إن السلطان، أمرني، أنْ لا آذَن لأحد، في الدخول عليه، ولا تُعلِمْ أحدًا، بقصدي.

قال الوزير: السمع والطاعة.

ثم، إن الملك، تقلَّدَ سيفه، وانسلَّ من بينهم، ومشى بقية ليله، إلى الصباح، فلم يزل سائرًا، حتى اشتد عليه الحر، فاستراح، ثم، مشى بقيةَ يومه، وليلته الثانية، إلى الصباح، فلاحَ له سوادٌ من بُعْد، ففرح وقال: لَعَلِّي، أجد مَن يخبرني، بقضية البركة، وسمكها.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث المباح.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وَجَدتُ الْهَوَى، نيراناً تَلَظّى، أو حكاية: الملك، والسمك المسحور

وفي الغد، قالت لُبَابَة: فلما قرب الملك، من السواد، وجده قصرًا، مبنيًّا بالحجارة السود، مصفَّحًا بالحديد، وأحد شِقَّيْهِ مفتوح، والآخر مغلوق، ففرح الملك، ووقف على الباب ودقَّ دقًّا لطيفًا، فلم يسمع جوابًا، فدقَّ ثانيًا وثالثًا، فلم يسمع جوابًا، فدقَّ رابعًا، دقًّا مزعجًا، فلم يُجِبْهُ أحدٌ، فقال: لا شكَّ أنه خالٍ.

فشَجَّعَ نفسه، ودخل من باب القصر، إلى دهليزه، ثم صرخ وقال: يا أهل القصر، إني رجل غريب، وعابر سبيل، هل عندكم شيء، من الزاد، تربحوا الاجر والثواب، من ربِّ العباد؟

وأعاد الملك القول، ثانيًا وثالثًا، فلم يسمع جوابًا، فقوَّى عَزِيمَتَه، وثبَّت نفسه، ودخل من الدهليز، إلى وسط القصر.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث، وفي الغد قالت: فلما دخل القصر، لم يجد فيه أحدًا، ورأى القصر، مفروش بالحرير، وفي وسطه فسقية، عليها أربعة سباع، من الذهب الأحمر، يُلقى الماء من أفواهها، كالدُرّ (جمع دُرّة) والجوهر، وفي دائر القصر طيور، وعليه شبكة من ذهب، تمنعها من الخروج، فتعجَّبَ الملك من ذلك، وتأسَّفَ، حيث لم يَرَ فيه أحدًا، يستخبر منه، عن تلك البركة، والسمك، والجبال والقصر، ثم، جلس بين الأبواب يتفكَّر، وإذا هو بأنينٍ، من كبد حزين، فسمعه يترنم بهذا الشعر:

يا دَهرُ ما أَقساكَ يا دَهرُ
لَم يَحظَ فيكَ بِطائِلٍ حُرٌّ
أَمّا اللّئامُ فَأَنتَ صاحِبُهُم

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وَلَهُم لَدَيكَ العَطفُ وَالنَصرُ
تَصفُو لَهُ الدُنيا بِلا كَدَرٍ
وَيُطِيعُهُ في عَيشِهِ اليُسرُ
وَعَلى الكَريمِ يَدٌ يُسَلِّطُها
مِنكَ الجَفاءُ المُرُّ وَالقَسرُ
مَرعاهُ جَدبٌ وَالحُظوظُ لَهُ
حَربٌ وَجانِبُ عَيشِهِ وَعرُ
وَجَناهُ شَوكٌ وَالبُحورُ لَهُ
وَشَلٌ (ماء قليل) وَحَشوُ فُؤادِهِ جَمرُ
قد كنتُ أطمعُ بالفضائل في العُلا
فالآن جُلُّ منايَ أن أتخلَّصا

فلما سمع الملك، ذلك الشعر والأنين، نهض قائمًا، وتبع الصوت، فوجد سترًا مسدولًا (سَدَلَ السَّتَائِرَ: أرْخَاهَا، أنْزَلَهَا)، على باب مجلس، فرفعه، فاذا خلف الستر، شابًّا جالسًا، على كرسي مرتفع عن الأرض، مقدار ذراع، وهو شاب مليح، بقَدٍّ رجيح، ولسان فصيح، وجبين أزهر، ووجه اقمر، وخَدٍّ أحمر، عليه شامة، كنقطة عنبر.

ففرح الملك، وسلَّمَ عليه، والصبي جالس، وعليه قباء (ثوبٌ، يُلبَسُ فوق الثياب) حرير، مُطرَّز بذهب مصريّ، وفوق رأسه، تاج مصري، وعليه، أثر حزن وبكاء، فلما سلم عليه الملك، رد عليه، بأحسن سلام، وقال: اعذرني، ولي المعذرة، في عدم القيام، وانت اعز.

قال الملك: قد عذرتك أيها الفتى، وانا ضيف، عندك، واتيتك، في شيء مهم، أيها الشاب، أخبرني عن هذه البِركة، وعن سمكها الملون، وعن هذا القصر، وسبب وحدتك فيه، وما سبب بكائك؟

فلما سمع الشاب، كلام الملك، جرت دموعه على خده، ثم، انه انشد:

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

لعمرك قد تَشابهت اللّيالي
فَما في عودها شيء جَديد
أعللٌ النفسَ بالآمال أرقُبُها
ما أضيقَ العيشَ لولا فُسحةُ الأمل

ثم، إنه بكى بكاءً شديدًا، فتعجَّبَ الملك، وقال: يا فتى، ما بكاؤك؟

فقال الشاب: يا سيدي، كيف لا أبكي، وهذه الحال، حالتي! ثم مدَّ يده، إلى أذياله فرفعها، فإذا نصفه السفلي، إلى قدمَيْه، حجر، ومن سُرَّتِهِ، إلى شعر رأسه، بَشَر.

وأدرك لُبَابَة الصباح، وسكتت عن الحديث، وفي الغد قالت: بلغني، ايها الملك السعيد، أن الملك، لما رأى الشاب بهذه الحال، حزن حزنا عظيما، وتأسف وتأوه، وقال: يا فتى، لقد زدتني، هما على همي، كنت أطلب السمك وخبره، وصرت اسأل، عن خبرهم وخبرك، فلا حول ولا قوة، الا بالله، العليّ العظيم، عجل يا فتى، بالحديث.

قال الشاب: إعلم أيها الملك، أنَّ لهذا السمك، ولي، أمرًا غريباً عجيبًا، وذلك، أنه كان يا سيدي، والدي، ملك هذه المدينة، وكان اسمه محمود، صاحب جزائر هذه الجبال الأربعة، أقام في المُلك، سبعين عامًا، ثم تُوُفِّيَ، وتسلطنتُ بعده، وتزوَّجْتُ بابنة عمي.

وكانت ابنة عمي، تحبني، إلى يوم من الأيام، محبة عظيمة، حتّى، أني إذا غبت عنها، يوماً واحداً، لا تأكل ولا تشرب، حتى تراني، عندها.

وذهبت ابنة عمي، يومًا من الأيام، إلى الحمَّام، وأمرت الطباخ، أن يجهز لنا طعامًا، لأجل العشاء، وإني دخلت هذا القصر، ونمت في الموضع، الذي أنام فيه، وأمرتُ جاريتَيْن، أن يروّحَا علي.

فجلسَتْ واحدة عند رأسي، والأخرى عند رجلي، وقد قلقت لغياب ابنة عمي، ولم يأخذني نوم، غير أن عيني مغمضة، ونفسي يقظانة، فسمعت

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

التي عند رأسي، تقول، للتي عند رجلي: يا مسعودة، إن سيدنا، مسكين شبابه، ويا خسارته، مع سيدتنا، الخبيثة الزانية.

قالت مسعودة: لعن الله، النساء الزانيات، ومثل سيدنا، وأخلاقه، لا يصلح لهذه، التي كل ليلة، تبيت، في غير فراشه.

قالت الجارية الأخرى: إن سيدنا، مغفَّل، حيث، لم يسأل عنها، أهو أبكم، لما يستيقظ في الليل، ولا يجدها، بجانبه؟

قالت مسعودة: ويلك، وهل عند سيدنا، عِلْم بحالها؟! بل، تعمل له عملًا، في قدح الشراب، الذي يشربه كلَّ ليلة، قبل المنام، فتضع فيه البنج، فينام، وتلبس ثيابها، وتخرج من عنده، فتغيب إلى الفجر، وتأتي إليه، وتبخره عند أنفه بشيء، فيستيقظ من منامه، ولم يشعر بما جرى، ولم يعلم، أين تذهب، ولا ما، تصنع.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلما سمعتُ، كلامَ الجواري، صار الضياء، في وجهي ظلامًا، وما صدَّقتُ، أن الليل أقبَلَ، وجاءت بنت عمي، من الحمام، فمددنا السماط (نَسِيجٌ، يبسط، ليوضع عليه الطعام)، وأكلنا، وجلسنا ساعة، نتنادم كالعادة، ثم دعوت، بالشراب الذي أشربه عند المنام، فناولتني الكأس، فجعلت أني أشربه مثل عادتي، وأهرقته، ورقدت في الوقت والساعة، وإذا بها قالت: نَمْ ليتك، لا تقم ابدا، واللهِ كرهتك، وكرهت صورتك، وملَّتْ نفسي، من عشرتك.

ثم، انها قامت، ولبست أفخر ثيابها، وتبخَّرَتْ، وأخذت سيفي، وتقلدته، وفتحت بابَ القصر، وخرجت، فقمتُ وتبعتها، حتى خرجت من القصر، وشقت في أسواق المدينة، إلى أن انتهت إلى أبوابها، فتكلَّمَتْ، بكلام لا أفهمه، فتساقطت الأقفال، وانفتحت الأبواب، وخرجَتْ، وأنا خلفها، وهي لا تشعر، حتى انتهت، إلى ما بين الكيمان (جمع كَوم)، وأتَتْ خُصّا (بيتٌ من شَجَر، أَو قصب)، له قبة مبنية بطين، فدخلته هي، وصعدتُ أنا، على سطح القبة، وأشرفت.

وإذا، بابنة عمي، قد دخلت، على عبدٍ أسود، راقد، على قليل من قش القصب، لابس هِدْمة (ثَوْبٌ بالٍ)، فقبَّلت الأرض، بين يدَيْه، فرفع ذلك العبد، رأسه إليها، وقال لها: ويلك! أي شيء، كان قِعَادك، والساعة، كان عندنا السودان، والمزرُ (نَبِيذ الشعير، والحنطة والحبوب)، في اِصْطِبَاب، كل واحد، وصبيته فرحا، وأنا، ما رضيت، أن أشرب شيئا، لغيابك.

قالت ابنة عمي: يا سيدي، وحبيب قلبي، أَمَا تعلم، أني متزوجة، بابن عمي، وأنا أكره الخلق، في صورته، وأبغض نفسي، في صحبته، ولولا أني أخشى، خاطرك، ماكنت تركت الشمس تطلع، الا ومدينته خراب، يزعق فيها، البوم والغراب، ومأواها، الثعالب والذئاب، وأنقل حجارتها، إلى خلف جبل، قاف.

قال العبد: تكذبين يا ساقطة، وأنا أحلف، وحق فتوَّة (حميَّة) السودان، إن بقيتِ، تقعدين إلى هذا الوقت، لا أصاحبك، أتنقلبين عليَّ، من أجل

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

شهوتك، يا منتنة، يا أخس البيضان؟

فلما سمعت كلامه، وانا أنظر وأرى، واسمع ما جرى، صارت الدنيا، في وجهي ظلاماً، وما عرفت روحي، في اي موضع انا، وبنت عمي، واقفة، تبكي عليه وتتذلل، وتقول للعبد: يا حبيبٌ قلبي، وثمرة فؤادي، إذا غضبت عليّ، من يبقى لي، وإذا طردتني، من يؤَاويني، يا ويلي، يا حبيبي، يا نور عيني، ما أحد غيرك، بقي لي.

وما زالت تبكي، وتتضرَّع، حتى رضي عليها، ففرحت، وقامت، وخففت من لباسها، وقالت: يا سيدي، ما عندك شي، تأكله جاريتك؟

قال العبد: اكشفي الوعاء، فإن فيه، عظام فئران مطبوخة، فكليها، وقومي لهذا الإناء، فيه بقية مزر، فاشربيها.

فقامت، وأكلت وشربت، وغسلت يديها وفمها، وجاءت، ورقدت مع العبد، على قش القصب، فلما نظرتْ، إلى هذه الفعال، التي فعلَتْها بنتٌ عمي، تأكدت انها خائنة، وغبتْ عن الوجود، فنزلت من فوق أعلى القبة، ودخلت، وانا متلثم، وأخذت السيفَ، الذي جاءت به بنت عمي، وهممت أن أقتل الاثنين، فضربت العبد أولًا، على رقبته، فظننت، أني قد قضيت عليه.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث، وفي الغد قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشاب المسحور، قال: وأتَتِ المدينة، بنت عمي، ودخلَتِ القصر، ورقدَتْ في فراشي، إلى الصباح، ورأيتُ، بنتَ عمي، في ذلك اليوم، قد قطعت شعرها، ولبست ثياب الحزن، وقالت: يا ابن عمي، لا تلُمْني، فيما أفعله، فإنه بلغني، أن والدتي توفيت، وأن والدي، قُتِلَ في الجهاد، وأن أخويَّ، أحدهما مات ملسوعًا، والآخَر رديمًا (مُغَطًّى تَحْتَ التُّرَابِ)، فيحقُّ لي، أن أبكي وأحزن.

فلما سمعت كلامها، سكتُّ عنها، وقلتُ: افعلي، ما بَدَا لك، فإني، لا أخالفك.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فمكثتْ، في حزن وبكاء وعويل، سنة كاملة، اثني عشرة شهرا، وبعد السنة، قالت لي: أريد، أن أبني لي، في قصرك، مدفنًا مثل القبة، افرده للأحزان، وأسميه، بيت الأحزان.

فقلتُ لها: افعلي، ما بَدَا لك.

فقامت وأمرت، فبَنَتْ لها، بيتًا للحزن، وبَنَتْ في وسطه، قبة ومدفنًا، مثل الضريح، وإنه، لما ضربت العبد، لم أقطع الوريدين، بل قطعت الحلقوم، والجلد واللحم، ثم، نقلت ابنة عمي، العبد، وأنزلته فيه، وهو ضعيف جدًّا، لا ينفعها بنافعة، لكنه يشرب الشراب، ومن اليوم الذي جرحتُه فيه، ما تكلَّمَ، إلا أنه حي، لأن أجله، لم يفرغ، وصارت كل يوم، تأتيه بكرة وعشيًّا، وتبكي عنده، وتعدد (ذكرت مناقِبَه ومحاسِنَه) عليه، وتسقيه الشراب والمساليق، ولم تزل على هذه الحال، صباحًا ومساءً، إلى ثاني سنة، وأنا أطول روحي عليها، لا التفت.

ودخلتُ عليها، يومًا من الأيام، على غفلة، فوجدتها تبكي، وتلطم وجهها وتقول: لما تغيبت عن ناظري، يا نزهة خاطري، حدثني يا روحي، كلمني يا صديقي، وانشدت تقول، هذه الأبيات:

بِحَقِّ الهَوى لا تَعذِلوني (تلوموني) وَأَقصِروا
عَنِ اللَومِ إِنَّ اللَومَ لَيسَ بِنافِعِ
وَكَيفَ أُطيقُ الصَبرَ عَمَّن أُحِبُّهُ
وَقَد أُضرِمَت نارُ الهَوى في أَضالِعي
هُمُ الأَحبَّةُ إِنْ خانُوا وإِنْ نَقَضوا
عَهدي فما حُلْتُ عَنْ وَجْدي ولا فِكري
أَشكُو منَ الـهَجر في سِرٍّ وفي عَلَنٍ
شكْوَى تُؤَثرُ في صلْدِ منَ الحجر

فلما فرغت من كلامها وبكائها، قلت لها: يا بنت عمي، يكفيك من الحزن، فما بقي ينفع البكاء.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قالت: لا تتعرض لي، وان اعترضت، قتلت روحي.

فسكتت عنها، فلم تزل في حزن وبكاء، سنة أخرى، ثم، السنة الثالثة، دخلت يوما، وانا مغتاظ، لحادث عرض لي، فوجدتها نحو الضريح، وهي تقول: يا سيدي، لا اسمع منك، ولا كلمة، يا سيدي، ثلاث سنين، ولا جواب، وانشدت تقول شعرا:

حَامِلُ الْهَوَى تَعِبٌ
يَسْتَخِفُّهُ (حمله على الخِفّة والطَّيش) الطَّرَبُ
إِنْ بَكَى فَحُقَّ لَهُ
لَيْسَ مَا بِهِ لَعِبُ
أَقولُ وَلَيلَتي تَزدادُ طولا
أما لِلِيل بَعدُهُم نهار
وَجَدتُ الْهَوَى نيراناً تَلَظّى
قُلوبُ العاشِقينَ لَها وَقودُ
فَلَو كانَت إِذا اِحتَرَقَت تَفانَت
وَلَكِن كُلَّما اِحتَرَقَت تَعودُ
كَأَهلِ النارِ إِذ نَضِجَت جُلودٌ
أُعيدَت لِلشَقاءِ لَهُم جُلودُ
عَمْرَك اللَهُ (نَشَدْتُك اللهَ) أَما تَرحَمُني
أَم لَنا قَلبُكَ أَقسى مِن حَجَر

فلما فرغَتْ من شعرها، اخذت سيفي، وقلتُ لها، وسيفي مسلول في يدي: هذا كلام الخائنات، اللاتي ينكرن العِشرة، ولا يحفظن الصحبة.

فلما سمعت كلامي، وثبت قائمة، وقالت: ويلك، انت الذي فعل معي، هذا الفعل، وجرح صديقي، واوجعني، وله ثلاث سنين، لا هو ميت، ولا هو حي.

فقلت لها: نعم، انا فعلت ذلك.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وأردتُ أن أضربها، فرفعت يدي في الهواء، فلما سمعت كلامي، ورأتني مصمماً على قتلها، ضحكت وقالت: تخسأ، هيهات، ان يرجع ما فات، او تجيء الأموات، لقد كان في قلبي، لهيب لا يخفى، ونار لا تطفأ، وقد أمكنتني منك.

ثم، وقفَتْ على قدمَيْها، وتكلَّمَتْ، بكلامٍ لا أفهمه، وقالت: اخرج بسحري، نصفك حجرًا، ونصفك الآخر، بشرًا.

فصرتُ كما ترى، وبقيتُ، لا أقوم ولا أقعد، ولا أنا ميت ولا أنا حي، فلما صرتُ هكذا، سحرَتِ المدينة، وما فيها من الأسواق والغيطان (حقول)، وكانت مدينتنا، أربعة أصناف: عربي، فارسي، روماني، اغريقي، فسحرتهم سمكًا، فالأبيض عرب، والأحمر فُرس، والأزرق رومان، والأصفر اغريق، وسحرَتِ الجزائرَ الأربع، أربعةَ جبال، محيطة بالبِركة.

ثم، أنه لم يكفها ذلك، وما صارت حالتي اليه، ولكن، كلَّ يوم، تعذِّبني، وتضربني بسوطٍ من الجلد، مائةَ ضربة، حتى يسيل دمي، وتتفسخ اكتافي، ثم، تلبسني من تحت هذه الثياب الفاخرة، ثوبًا من الشوك، على نصفي الفوقي، ثم، إن الشاب بكى، وأنشد:

وَإِنَّ العُسرَ، يَتبَعُهُ يَسارٌ
وَقَولُ اللَهِ، أَصدَقُ كُلَّ قيلِ
وَكَم مِن مُؤمِنٍ، قَد جاعَ يَومًا
سَيُروى، مِن رَحيقٍ سَلسَبيلِ
كان لي، قلبٌ أعيشُ به
فاصطلى (عانى شدّة)، بالحُبِّ فاحترقا
جاروا علينا، واعتدوا وتجبروا
فلعلَّ بالفردوس، أن نتعوَّضا
صَبْرًا لِحُكْمِكَ، يَا إِلَهِي وَالْقَضَا
أَنَا صَابِرٌ، إِنْ كَانَ فِيهِ لَكَ الرِّضَا

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فعند ذلك، التفت الملك إلى الشاب، وقال: أيها الشاب، زدتني همًّا، على همي، بعد أن فرّجت، عنى غمي، ولكن، يا فتى، أين هي، وأين العبد المجروح؟

قال الشاب: ان العبد، في القبة، في مدفنه راقد، وهي في ذلك المجلس، الذي يحاذي الباب، وهي تجيء له، كل يوم مرةً، عندما تشرق الشمس، وعند مجيئها، تأتي إليَّ، وتجرّدني من ثيابي، وتضربني بالسوط، مائةَ ضربة، وأنا أبكي وأصيح، ولا ليَّ حركة، ولا قوة، حتى أدفعها عن نفسي، ثم، بعد أن تعاقبني، تذهب إلى العبد، بالشراب والمسلوقة، بكرة النهار.

قال الملك: والله يا فتى، لَأفعلن معك معروفًا، أُذكَر به، وجميلًا، يؤرّخونه، سِيَرًا من بعدي.

ثم، جلس الملك، يتحدَّثَ معه، إلى أن أقبل الليل، ثم، قام الملك، وصبر إلى أن جاء وقت السحر، فتجرَّدَ من ثيابه، وتقلَّدَ سيفه، ونهض إلى المحل، الذي فيه العبد، فنظر إلى الشمع والقناديل، ورأى البخور والأدهان، ثم، قصد العبد، وضربه فقتله، ثم، حمله على ظهره، ورماه في بئر، كانت في القصر، ثم، نزل ولبس ثياب العبد، ورقد داخل الضريح، والسيف معه، مسلول في طوله.

وبعد ساعة، أتَتِ الملعونة الساحرة، وعند دخولها، جرَّدت ابن عمها من ثيابه، وأخذت سوطًا، وضربته، فقال: أواه، يكفيني ما أنا فيه، يا بنت عمي، ارحميني، يا بنت عمي.

فقالت: كنت أنت رحمتني، وأبقيتَ لي، معشوقي!

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث، وفي الغد قالت: بلغني يا ملك الزمان، أن الساحرة، ضربت ابن عمها، حتى تعبت، وسال الدم من جنبيه، فألبسته ذلك اللباس الشوكي، ومن فوقه ذاك القباء، ثم، أنها نزلت للعبد، ومعها قدح الشراب، وطاسة المسلوقة، على عادتها، ودخلت الى القبة،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وبكت وصرخت وعددت، وقالت: يا سيدي كلمني، يا سيدي، حدثني، وأنشدت:

حتى متى هذا الصدود وذا الجفا
فلقد جرى من أدمعي ما قد كفى

ثم، إنها بكت وقالت: يا حبيبي كلمني، يا حبيبي حدثني، يا روحي جاوبني.

فخفض الملك صوته، وعوج لسانه، وتكلم بكلام السودان وقال: أواه، أواه، لا حول ولا قوة إلا بالله.

فلما سمعت كلامه، صرخت من الفرح، وغشي عليها، ثم إنها استفاقت، وقالت: يا سيدي، أحقاً كلمتني، أصحيحاً حدثتني!

فخفض الملك صوته، وقال: يا ساقطة، أنت لا تستحقين، أن أكلمك.

فقالت: وما السبب، يا حبيبي، يا روحي، جاوبني.

قال الملك: سببه، أنك طول النهار، تعاقبين زوجك، وهو يصرخ ويستغيث، حتى أحرمتِني النومَ، من العشاء إلى الصباح، وزوجك يتضرع، ويدعو عليّ وعليك، حتى أقلقني صوته، وأضرني، ولولا هذا، لكنتُ تعافيتُ، فهذا، الذي منعني، عن جوابك.

فقالت: يا سيدي، عن إذنك، أخلصه مما هو فيه.

قال الملك: خلِّصيه، وأريحينا.

فقالت: سمعًا وطاعة.

فقامت، وخرجت من القبة، إلى القصر، وأخذت طاسة، ملأتها ماء، ثم تكلمت عليها، فصار الماء، يغلي كما يغلي القدر، ثم رشته منها، وقالت:

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

بحقّ ما تلوته، إن صرت هكذا، بسحري ومكري، فاخرج، من هذه الصورة، الى صورتك الأولى، وإن كنت هكذا، خلقك الله، أو سخط عليك، فلا تتغير.

فانتفض الشاب، وقام على قدمَيْه، وفرح بخلاصه، فقالت له: اخرج، ولا ترجع إلى هنا، وإلا قتلتك. وصرخت في وجهه، فخرج من بين يديها، وعادت إلى القبة، ونزلت وقالت: يا سيدي، اخرج إليَّ، حتى أنظر، الى صورتك الجميلة، وأفرح بسلامتك.

قال الملك، بكلام ضعيف، يشبه كلام السودان: أي شيء فعلتِه، أرحتِني من الفرع، ولم تريحيني، من الأصل.

فقالت: يا حبيبي، يا سيدي، وما هو الأصل؟

قال الملك: ويلا لك، يا ملعونة، أهل هذه المدينة، والأربع جزائر، كل ليلة، إذا انتصف الليل يرفع السمك رأسه، ويدعو عليَّ وعليك، فهذا هو، سبب منع عافيتي، فخلِّصيهم، وتعالي خذي بيدي، وأقيميني، فقد توجَّهت إلى العافية.

فلما سمعت، كلام الملك، وهي تظنه العبد، قالت له، وهي فرحانة: يا سيدي، يا قلبي، على رأسي وعيني.

ثم، نهضت وقامت، وهي مسرورة تجري، وخرجت إلى البركة، وأخذت من مائها قليلًا.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث، وفي الغد قالت: بلغني، أيها الملك السعيد، أن الصبية الساحرة، لما أخذت شيئًا، من ماء البركة، وتكلَّمت عليه، بكلام لا يُفهم، فتراقص السمك، ورفع رأسه، وقام في الحال، وانفكَّ السحر، عن أهل المدينة، وصارت المدينة عامرة، والأسواق منصوبة، وصار كل واحد في صناعته، وانقلبت الجبال جزائر، كما كانت.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، إن الصبية الساحرة، رجعت إلى الملك في الحال، وهي تظن أنه العبد، وقالت: يا حبيبي، ناولني يدك الكريمة، أقبّلها.

فقال الملك، بكلام خفي: تقربي مني.

فدَنَتْ منه، فسل الملك سيفه، وطعنها به في صدرها، حتى خرج من ظهرها، ثم ضربها، فشقَّها نصفين، ورماها على الأرض، شطرين، وخرج، فوجد الشاب المسحور، واقفًا في انتظاره، فهنَّأه بالسلامة، وقبَّل الشابُّ يدَه وشكره، ودعا له، فقال له الملك: أتقعد في مدينتك، أم تأتي معي إلى مدينتي؟

فقال الشاب: يا ملك الزمان، أتدري ما بينك، وبين مدينتك؟

فقال الملك: يومان ونصف.

فعند ذلك، قال له الشاب: أيها الملك، إن كنتَ نائمًا، فاستيقظ، إن بينك، وبين مدينتك، سنة للمُجِدِّ، وما أتيتَ في يومين ونصف، إلا لأن المدينة كانت مسحورة، وأنا، أيها الملك، لا أفارقك لحظة عين.

ففرح الملك بقوله، ثم قال: الحمد لله، الذي مَنَّ عليَّ بك، فأنت ولدي، لأني طول عمري، لم أُرزَق ولدًا. ثم، تعانَقَا، وفرحَا فرحًا شديدًا، ثم، مشيا حتى وصلا إلى القصر، وأخبر الملك، الذي كان مسحورًا، أربابَ دولته، أنه مسافر، فقدم له الامراء، وتجار المدينة، ما يحتاج اليه، وشرعوا في التجهيز، مدة عشرة ايام، ثم، انهما سافرا، ومعهما خمسون مملوكاً، وهدايا عظيمة، وقلب السلطان، ملتهب على مدينته، كيف يغيب عنها.

ولم يزالَا، مسافرين ليلًا نهارًا، سنة كاملة، وكتب الله لهم بالسلامة، حتى أقبلَا، على مدينة السلطان، وأرسلا، فاعلما الوزير، بوصول السلطان وسلامته، فخرج الوزير والعساكر لمقابلته، بعدما قطعوا الرجاء، وأقبلت العساكر، وهنَّئُوه بالسلامة، فدخل، وجلس على الكرسي، ثم أقبل على الوزير، وأعلمه بكل ما جرى، على الشاب، فلما سمع الوزير، ما جرى على الشاب، هنَّأه بالسلامة، ولما استقر الحال، أنعم السلطان، على أناس كثيرين، ثم قال للوزير: عليَّ بالصياد، الذي أتى بالسمك.

فأرسل الوزير، إلى ذلك الصياد، الذي كان سببًا، لخلاص أهل المدينة، فأحضره، وخلع عليه، وسأله عن حاله، وهل له أولاد، فأخبره الصياد، أن له ابنًا، وابنتين، فأرسل الملك واحضرهم، فتزوَّجَ الملك، بإحدى ابنتيه، وتزوَّجَ الشاب، بالأخرى، وأخذ الملك، الابنَ عنده، وجعله صاحب ديوان النفقات، ثم أرسل الوزير، إلى مدينة الشاب، التي هي الجزائر السود، وقلَّده سلطنتها، وحلفه ان يزوره، وأرسل معه، الخمسين مملوكًا، الذين جاءوا معه، وأرسل معه، كثيرًا من الخلع، لسائر الأمراء، فقبَّلَ الوزير يدَيْه، وخرج

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

مسافرًا، واستقر السلطان والشاب، وأما الصياد، فإنه قد صار، أغنى أهل زمانه، وبناته زوجات الملوك، إلى أن أتاهم، الممات، وما هذا بأعجب، ممَّا جرى للحمَّال.

المُحِبّ الوامِق، أو حكاية: حمَّال بغداد، والفتيات

قالت عزيزة: بالله عليك يا اختي، وما حكاية الحمَّال؟

قالت لُبَابَة: بلغني، أيها الملك السعيد، أن انسانا، من مدينة بغداد، صنعته حمال، في يوم من بعض الأيام، كان واقفاً في السوق، متكئا على قفصه، إذ وقفَتْ عليه امرأة، بإزار موصلي (كانت الموصل، مَعرُوفة بتصنيعها، للقطن الفاخر، ومن هنا جاءت، كلمة، Muslin)، أرضيته بيضاء، تحليه، رسوم متنوعة، ينسدل من الرقبة، بفتحة ضيقة مستديرة، ويتسع، ويحيط بالجسد، ضيق عند الوسط، إلى أسفل القدمين، وله أكمام طويلة واسعة، وشدته المرأة، على وسطها زنار، وقطعة، من قماش سوداء، تغطي الرأس، وبانت عيون سود، وأهداب (شَعْرُ أجْفَانِ العَيْنِ) أجفان طوال، ناعمة الأطراف، كاملة الأوصاف، فالتفتت الى الحمال، وقالت، بعذوبة مَنْطِق (كلام)، ورقة حديث: هات قفصك يا حمال، واتبعني.

فما صدّق الحمال، الكلام، واخذ القفص، وأسرع، وقال في نفسه:

زنارها في خصرها يطرب
وريحها من طيبها أطيب
ووجهها أحسن من حليها
ولونها من لونه أعجب

وتبعها الحمال، إلى أن وقفت، على دكان شراب، فنزل لها رجل، فأعطته دينارًا، وأخذت منه، شراب مصنوع، من عسل نحل، ومثله ماء، ومثليهما عصير عنب أبيض، فيغلى الجميع، ويجعل فيه، شيء من سنبل وقرنفل، وأخذت، شراب مصنوع، من حليب الغنم، والسكر وماء الورد، تُدق فيه

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

المَصطَكى والزعفران، ويغلى غلية خفيفة، ووضعتهم في القفص، وقالت: يا حمال، هات قفصك، واتبعني.

فقال الحمَّال: يا يوم السعادة، يا نهار الافراح، هذا نهارٌ مبارك.

ثم، حمل الحمَّال القفص، وتبعها، فوقفت على دكان فكهاني، واشترت منه، تفاحًا شاميًّا، وسفرجلًا، وخوخًا عمانيًّا، وخيارًا نيليًّا (النيل)، ورماناً، وليمونًا مصريًّا، وأترجًّا (ترُنج، كُبّاد) سلطانيًّا، وياسمينًا حلبيًّا، وآساً ريحانيًّا، وأُقحوانًا، وبنفسجًا، ونسرينًا (وردٌ عطريٌّ)، ووضعت الجميع، في قفص الحمَّال، وقالت له: يا حمَّال، خذ قفصك، واتبعني.

فحمل الحمَّال القفص، وتبعها، حتى وقفت على جزار، وقالت له: اقطع، عشرة أرطال، لحم ضأن (خروف)، طيباً.

فقطع لها الجزار ما اشتهت، ولفَّت اللحم، في ورق موز، ووضعته في القفص، وقالت: يا حمَّال، خذ قفصك، واتبعني.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فحمل الحمَّال القفص، وتبعها، ثم، وقفت على دكان، واشترت منه، زيتون وجبن شامي، ووقفت على دكان آخر، واشترت، فستق، ولوز، وبندق وجوز، وزبيب تهامي (منسوب إلى تهامة، وهي مكة، أو بلاد شرقي الحجاز، إلى الجنوب)، وقالت للحمَّال: يا حمَّال، خذ قفصك، واتبعني.

فحمل الحمَّال القفص، وتبعها، إلى أن وقفت، على دكان الحلواني، واشترت طبقًا، وملأته، من جميع ما عنده من مشبك، وقطائف بالمسك محشية، وصابونية، وأقراص ليمونية، وميمونية، وأمشاط، وأصابع،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ولقيمات القاضي، ووضعت، جميع أنواع الحلاوة، في الطبق، ووضعته في القفص، وقالت للحمّال: يا حمّال، خذ قفصك، واتبعني.

قال الحمال: كنتِ أعلمتِني! لجئتُ معي، ببغل، او جمل، يحمل هذه الأمور.

فتبسَّمَتْ، ثم وقفت على العطَّار، واشترت منه، عشرة أنواع مياه، من ماء ورد، وماء زهر، وغير ذلك، وأخذت قدرًا من السكر، وأخذت مرش ماء ورد مُمَسَّك (فيه مِسك)، وحصى لبان ذكر (لُبَانٌ: نَبَاتٌ، مِنْ فَصِيلَةِ البُخُورِيَّاتِ، يُفْرِزُ صَمْغاً، وَيُسَمَّى الكُنْدُرَ)، وعودًا وعنبرًا ومسكًا، وأخذت شمعًا إسكندرانيًّا، وضعت الجميع في القفص، وقالت: يا حمّال، خذ قفصك، واتبعني.

وتعجب الحمال، وحمل القفص وتبعها، إلى أن أتت، دارًا حسن، عالية البنيان، مشيدة الأركان، بابها، بشقتين من الأبنوس (شَجَرٌ، مِنْ فَصِيلَةِ الآبنُوسِيَّاتِ، يَنْبُتُ، فِي الحَبَشَةِ وَالهِنْدِ، خَشَبُهُ، ثَمِينٌ أسْوَدُ، صُلْبُ العُودِ، ثَقِيلٌ)، مصفَّح، بصفائح الذهب الأحمر، وأمام الدار، رحبة فسيحة، فوقفت الصَبيّة على الباب، ودقَّتْ، دقًّا لطيفًا.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث، وفي الغد قالت: بلغني، يا ملك الزمان، ان الصَبيّة، لما دقت على الباب، والحمال، واقف ورائها بالقفص، وهو لم يزل، يفتكر في حسنها وجمالها، وما رزقته، من الملاحة والفصاحة والسماحة، ويقول:

فَدَيْتُكَ يا أتَّم الناسِ حُسناً
وأصلَحَهم لمتَّخِذٍ حبيبا
فوجهُكَ نزهةٌ الأبصارِ حُسْناً
وصوتُكَ متعَةٌ الأسماعِ طيبا

وإذا، بالباب قد انفتح، فنظر الحمال، من فتح لها الباب، وإذا بها، صَبيّة، رشيقة القد، بارزة النهد، ذات حسن وجمال وبهاء، وكمال وقَدّ واعتدال، وجبين، كغُرَّة الهلال (غُرَّة الهلال: طلعته)، وعيون، تحاكي المها (نجوم)

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

والغزلان، وحواجب، كهلال شعبان، وخدود، كشقائق النعمان (زهرة، برية حمراء جميلة)، وفم، كخاتم سليمان، وشفاه حمر، كالمرجان، وأسنان، كاللؤلؤ المنضد (مُصَفَّف) في مرجان، وعنق، كأنه للغزلان، ونهدَيْن، مثل فحليّ رمان، وبطن وسرة، يا زين، تحت الثياب، ووجه، كالبدر في الإشراق، فلما نظر الحمال إليها، سلبت عقله ولبه، وكاد، أن يقع القفص عن رأسه، وقال في نفسه: ما رأيت عمري، أبرك، من هذا النهار..

دَعَوتُ إِبليسَ ثُمَّ قُلتُ لَهُ
في خَلوَةٍ وَالدُموعُ تَنهَمِرُ
أَما تَرى كَيفَ قَد بُليتَ وَقَد
أَقرَحَ جَفني البُكاءُ وَالسَهَرُ
إِن أَنتَ لَم تُلقِ لي المَوَدَّةَ في
صَدرِ حَبيبي وَأَنتَ مُقتَدِرُ
لا قُلتُ شِعراً وَلا سَمِعتُ غِناً
وَلا جَرى في مَفاصِلي السَكَرُ
وَلا أَزالُ القُرآنَ أَدرُسُهُ
أَروحُ في دَرسِهِ وَأَبتَكِرُ
وَأَلزَمُ الصَومَ وَالصَلاةَ وَلا
أَزالُ دَهري بِالخَيرِ آتَمِرُ
فيا لها منةً لقد عَظُمَت
عندي لإبليس ما لها خطر

ولاحظت الأنثى، التي فتحت الباب، اضطراب الحمال، واِسْتَبْصَرت سبب ذلك، وأسعدها، واستمتعت، بتَصَفَّح محَيا الحمال، فقالت الصَبيّة، بالإزار الموصلي: يا اختي، ماذا تنتظرين، ألا تري، أن هذا الرجل المسكين، محمل بشدة، وبالكاد، يستطيع، رَفع حمولته؟

فقالت الصَبيّة، التي فتحت الباب: مرحبًا، ادخلوا، وحطي عن هذا المسكين.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فدخل الجميع، ومشوا، حتى انتهوا، إلى قاعة فسيحة، مبنية بشكل جميل، مزينة، بألوان مختلفة، وأعمال خشبية منحوتة، وفيها، مقاعد من أنواع مختلفة، ومصاطب (بِناء غير مرتفع، يُجْلَسُ عليه)، وخزائن، عليها ستائر مرخيَّات، وفي وسط القاعة، بركة ونوافير، وفي الطرف العلوي، أريكة من المرمر، مرصَّعة بالدر والجوهر، لها أربع قوائم من العرعر (شجر، من فصيلة الصُّنوبريّات، يصْلُحُ، لِلصِّنَاعَةِ الْخَشَبِيَّةِ، وَالتَّزْيِينِ)، عليها ناموسية (نسيج رقيق، يوضع وقايةً من الذُّباب، والنّاموس)، من الأطلس (نسيج من حرير) الأحمر، و برزت من داخلها صبية، بطَلّة مضيئة، ووجه، يُخجِل الشمسَ الساطعة، محمرة الوَجَنات، يخبر حسنها، وعيون بابلية (سَاحِرَة)، وقامة ألفية (شكل الألف، طويل ونحيف)، وشفاه عقيق أحمر سكرية، ونكهة عنبرية، ونهدَيْن من الحرير، كأنها بعض الكواكب العلوية، أو قبة من ذهب مبنية، أو حور عربية.

ونهضت الصَبيّة الثالثة، وكان اسمها زبيدة، وتمايلت، فضحكت أردافها، وخطرت، قليلا قليلا، إلى أن صارت، في وسط القاعة، عند أختَيْها، صافية، التي فتحت الباب، وأمينة، وعلى الرغم، من أن الحمال كان مثقلاً، إلا أن هذا، لم يمنعه من الإعجاب، بروعة المنزل ونظافته، ودقة وانتظام، ترتيب كل شيء فيه، لكن، انتباهه، اجتذب بشكل خاص، من قبل الصَبيّة الثالثة، التي بدت أجمل من الثانية، وقال في نفسه:

مَنْ قَاسَ قَدَّكَ بِالْغُصْنِ الرَّطِيبِ فَقَدْ
أَضْحَى الْقِيَاسُ بِهِ زُورًا وَبُهْتَانَا
الْغُصْنُ أَحْسَنُ مَا نَلْقَاهُ مُكْتَسِيًا
وَأَنْتَ أَحْسَنُ مَا نَلْقَاكَ عُرْيَانَا
بِاللَهِ يا ذاتَ الجَمالِ الفائِقِ
لا تَصرِمي حَبلَ المُحِبِّ الوامِقِ

وقالت زبيدة، وهي دنت من أختيها: ما وقوفكم؟ ألا ترون، أخواتي العزيزات، أن هذا الرجل، كاد أن يغمى عليه؟ حطوا، عن رأس هذا الحمال المسكين.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فجاءت صافية من أمامه، وأمينة من خلفه، وساعدتهما زبيدة، وحططن عن الحمَّال، وفرَّغن ما في القفص، وصفوا كل شيء في محله، وأعطين الحمَّال دينار، وقلن له: توجَّهْ يا حمَّال.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث، وفي الغد قالت: بلغني يا ملك الزمان، أن الحمال، بعد ما أخذ الدينار، وكاد أن يأخذ سلته، والذهاب، نظر إلى البنات، وكانت أمينة، قد خلعت حجابها، وما هن فيه، من الحسن والجمال، فلم يَرَ أحسن منهن، ونظر ما عندهن، من الفواكه، واللحوم، والحلوة، وغير ذلك، فتعجب غاية العجب، ووقف عن الخروج.

ورأت زبيدة في البداية، أن الحمال، أخلد إلى الراحة، لكنها لاحظت، أنه ظل لفترة طويلة، فسألته: يا حمّال، ما لك لا تبرح؟! ثم، التفتت الى اختها أمينة، وقالت: أعطه، شيئًا أكثر.

سيداتي، أجاب الحمال، ما استقلّلْتُ الأجرة، وليس هذا ما يحتجزني، ولقد حصلت بالفعل، على أجر جيد، وأعلم، أني مذنب، بارتكاب فظاظة، في البقاء، حيث لا ينبغي لي ذلك، لكن، آمل، أن تتفضلوا بالطيبة والعفو، وأن تنسبن ذنبي، إلى الدهشة التي أشعر بها، وكيف حالكن، وأنتن وحدكن، واشتغل قلبي بكن، وما عندكن رجال، وإِلَى أُمِّه، يَلْهَفُ اللَّلهْفَانُ (يُقَالُ ذَلِكَ، لِمَنِ اضْطُرّ، فَاسْتَغَاثَ بأَهل ثِقَته)، وأضاف إلى ذلك، بعض المجاملات، لإثبات ما قدمه، ولم ينسى الحمال، أن يكرر ما يقولونه في بغداد:

وَالدَهرُ في غَفلَةٍ نامَت حَوادِثُهُ
وَنَبَّهتنا إِلى اللِذّاتِ أَوتارُ
أَما تَرى أَربَعاً لِلَّهوِ قَد جُمِعَت
جُنكٌ (آلة طرب، تشبه عودا، ذا رقبة طويلة) وَعودٌ وَقانونٌ وَمِزمارُ
فَخُذ بِحَظٍّ مِنَ الدُنيا فَلَذَّتُها
تَفنى وَيَبقى رِواياتٌ وَأَخبارُ

وقال: أنتن ثلاثة، فتفتقرن إلى رابع، يكون، رجلًا عاقلا، لبيبًا حاذقًا، وللأسرار، كاتمًا.

وضحكت الفتيات بحرارة، من حُجّة الحمال، غير أن زبيدة خاطبته بجدية: أنت تَحْمَقْ، يا صاحبي، وعلى الرغم من أنك لا تستحق أي تفسير، سأخبرك، أننا ثلاث أخوات، يرتبن كل شؤونهن سراً، بحيث لا يعرف أي شيء أحدا، ونحن لا نظهر على سرنا أحد، نخشى اكتشافًا، وقد قرأنا في الأخبار شعرًا:

صُنْ عَنْ سِوَاكَ السِّرَّ لَا تُودِعْهُ
مَنْ أَوْدَعَ السِّرَّ فَقَدْ ضَيَّعَهُ

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فصدرك بسرك إن لم يسع
فكيف يسع صدر مستودعه

فلما سمع الحمال كلامهن، قال: سيداتي، من سِيمَائكن، ظننت أنكن تمتلكن الفضيلة، وأدرك، أني لست مخطئًا، وعلى الرغم من طالِعي، بحيث، لم تتوفر لي، مهنة أفضل، فقد حرثت عقلي، قدر ما استطعت، وقرأت كتب العلم، وطالعت التواريخ، أُظهِر الجميلَ، وأُخفِي القبيح، رجل عاقل أمين، وأعمل بقول الشاعر:

السِّرُّ عِنْدِيَ فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ
ضَاعَتْ مَفَاتِحُهُ وَالْبَابُ مَخْتُومُ

فلما سمعت الفتيات الشعرَ، وما أبداه الحمال من الكلام، اِسْتَشَفّت زبيدة فِطنَته، فأجابت بظرافة: أنت تعلم، أننا نستعد، للهو والتسلية، وخاطرك، أن تجلس عندنا، وتصير نديمنا، وتَطَلّع، على وجوهنا الصِّباح، الملاح، وتعلم، أننا غَرِمْنَا على هذا المقام، جملة من المال، ولن يكون الأمر عادلاً، أن تشارك في المأدبة، دون أن تحمل، جزءاً من التكلفة، فنحن، لا ندعك تجلس عندنا، حتى تغرم، مبلغنا من المال، فهل معك شيئًا، تجازينا به؟

وقالت صافية الجميلة: إذا كانت بغير المال، محبة، فلا تساوي، حبة، وإن لم يكن معك شيئاً، رُحْ، بلا شيءٍ.

وعلى الرغم من خطابه، كاد الحمال أن ينسحب، في حيرة من أمره، لولا أمينة، التي أخذت جانبه، وقالت: يا اختاه، أناشدكم، السماح له بالبقاء معنا، فما قصَّرَ اليومَ، فلولا استعداده، وسرعته وشجاعته في تَعَقّبي، ما كنت أتممت ما اشتريته من السلع، في وقت قصير، وإنه رجل ذكي، سيؤانسنا، وإذا كررت لكما، كل الأشياء المسلية، التي قالها لي في الطريق، فلن تَتَفَاجَآ كثيرًا، أني نصيرته، وأنا، أوفي عنه.

ففرح الحمال، بخطاب أمينة، وسقط على ركبتيه، وقبل الأرض عند قدميها، وقال، وهو ينهض: سيدتي العزيزة، ما كان استفتاحي الا انتِ،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

بَدَأْتِ سعادتي، ووَضَعْتِها في قمة، توارت تحت هذه المحاماة الكريمة، والتي، لا يمكنني أبدًا، التعبير عن امتناني الكافي لها، وسأعتبر نفسي، أكثر العبيد تواضعا، حاشَ أسيء، يا نهار السعادة، يا نهار التوفيق، جمع الجَمال، مخاطبا نفسه، وجهها وشاح من حرير، مخاطبا الأخوات، عندي ديناركم، ها هكم.

لكن، قالت: ويطلب الود والوصال، على أفضل ما كان، وإن ما قدمناه كجزاء، لاَ يَبْقَى لَهُ أَثَر، ولا نستعيده أبدًا، عَصَبَة.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث المباح.

إلامَ التَواني، عَن قِيامٍ، بِواجبْ، أو حكاية: الفتيات، وضرب السوط

وفي الغد، قالت لُبَابَة: بلغني أيها الملك السعيد، أن زبيدة، قالت للحمّال: لكن، بالموافقة على أن تبقى معنا، فإننا، لا نضع فقط شرط، أن تحافظ على السر، ولكن، نطلب أيضًا، أن تراعي، قواعد الأدَب، واللياقة.

وبينما كانت أختها تتحدث، اصلحت صافية الطاولة، ووضعت أنواعًا مختلفة من الاكل، وجلست هي وأختيها، وجلس الحمال بينهن، يظن، انه في المنام، ولم يزالوا كذلك، تعابير مختلفة، يَوْمٌ مِنْ حَبِيبٍ قَلِيل، شطرنج ونرد، وأشعار، إلى أن أقبل الليل عليهم، فقلن للحمال: قمّ، حان وقت الذهاب.

لهذا، أجاب الحمال، الذي لم يكن قلبه، يطاوعه على الرحيل: آه سيداتي، أين تأمرنني بالذهاب، وخروج الروح، أهون من الخروج من عندكن،

ما لمن تَمَّت مَحاسِنُهُ
أَن يُعادي طَرف من نظرا
لَكَ أَن تُبدي لَنا حُسناً
وَلَنا أَن نُعمِلَ البصرا

وإلى اين أذهب، ولن أجد الطريق، إلى منزلي أبدًا، اسمحوا لي، أن أبرئ، أقضي الليلة، أينما شئتم، وغدا، أترك نفسي، خلفي.

وأخذت أمينة، جانب الحمال، وتَأَوّهت: أنا مقتنعة، بصَوَاب مطلبه، بحياتي عندكن، تدعنه ينام، فإنه ظريف، ذُو فُكَاهَة.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

أجابت زبيدة: يأبى مِنْكِ الرَفض، أختاه، وأضافت، مخاطبة الحمّال: نحن على استعداد، لمنحك هذا الجميل، لكن، يجب أن نفرض، شرطًا جديدًا، كل ما قد نفعله في وجودك، ومهما رأيت، ما تَبِتْ تسأل، ولا تتكلم فيما لا يعنيك، تسمع ما لا يرضيك، لذلك احترس، ولا تكن فضوليًا، في محاولة اكتشاف، دوافع أفعالنا.

سيدتي، رَدَّ الحمال، أَعِدْ، بموَاظَبة إطاعة الشروط، بكل دقة، بحيث، لا يكون لديكِ، سبب، لعِتابي، ناهيكِ، عن معاقبة طّيشي وفُضُولي، نعم، نعم، نعم، فانا، بلا اذان، وبلا عيون.

قالت زبيدة: احذر، من طرح أي أسئلة علينا، وقُمْ واقرأ، ما على الباب، مكتوبًا.

فقام الحمال، وأتى الباب، فوجد مكتوبًا عليه، بماء الذهب: لا تتكلَّمْ، فيما لا يعنيك، تسمع، ما لا يرضيك.

وعاد الحمَّال، فقال: اشهدوا، أني لا أتكلم، فيما لا يعنيني.

وبعد حسم هذه المسألة، قامت أمينة، وغرست في الشموع، العنبر والعود، ينثر عطره، كلما أوقدت الشموع، وأضاء الغرفة، وهج مُتَلألِئ، وجهَّزَتْ أمينة العشاء، وقعدوا في أكل وغناء، وإذ، هم سمعوا، دقَّ الباب.

ونَهَضْت صافية على الفور، ورَكَضْت، لفتح الباب، وانتظروا، حتى عادت لتخبرهم، من الذي يمكن أن يكون، في وقت متأخر، وقالت: أخواتي، هذه فرصة، لقضاء، جزء من الليل، بمرح.

هنالك، ثلاثة غرباء، عند الباب، ولكن، ما سيفاجئكم بلا شك، هو، أنهم جميعًا، عميٌ العينِ اليمنى، وحليقي، الرؤوس واللِّحَى والحواجب، ويقولون، إنهم وصلوا للتو إلى بغداد، ولم يزوروها من قبل، وأدركهم المساء، وأنه ظلام، وهم غرباء، ولا يعرفون أحد يلتجئون اليه، ولا يعرفوا، أين يباتون، وقد طرقوا بابنا، بالصدفة، عسى، صاحب الدار، يعطيهم

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

مفتاح الاسطبل، أو أي مكان، يباتون فيها الليلة، وإنهم شبان، ولطيفون، ولا يمكنني، التفكير في مظهرهم، بدون الضحك.

ولم تستطع، صافية بالفعل، الامتناع عن الضحك بحرارة، ولم يمكن لأخواتها والحمال، الامتناع من الانضمام اليها، وقالت صافية: ويا أخواتي، ولكل واحد منهم، صورة وشكل يضحك، فهل لكم أن ندخلهم، نتنادم واياهم في هذه الليلة، وغدا، كل منهم، ينصرف مكانه.

ولم تزل صافية، تتلطَّف بأختيها، للموافقة على طلبها، وهي تعلم سبب ترددهما، حتى قالتَا لها: اذهبِ، وادْخَلِيهم، وحذيرهم، أنّ يتكلموا فيما لا يعنيهم، فيسمعوا، ما لا يرضيهم، واجعليهم، يقرأون النقش الموجود، على الباب.

ففرحت وراحت، ثم عادت، ومعها الثلاثة العور، فسلَّموا، وقامت لهم البنات، وأقعدوهم، ورحبوا بهم، وأعلنوا عن سعادتهم، في التقليل، من إرهاقهم، فشكروا، محل ظريف ومقام نظيف، وشموع توقد، وبخور متصاعد، وفواكه، وأنواعًا مختلفة، من الاكل.

ونظر الثلاثة رجال، إلى الحمَّال، فظنوا أنه منهم، وقالوا: هو مثلنا، يؤانسنا.

فلما سمع الحمال، هذا الكلام، قام وقلب عينيه، وقال: اقعدوا بلا فضول، أما قرأتم، ما على الباب؟ لا تتكلَّمْ، فيما لا يعنيك، تسمع، ما لا يرضيك.

فضحكت البنات، ثم جلسوا يتنادمون، فضيلة تبدو، نادرة تسلو، حكاية اسْتَوْسَقَت (اجْتَمَعَتْ)، موسيقى دبَّتْ، دفًّا موصليًّا، عودًا عراقيًّا، جنكًا فارسيًّا، وغنَّت البنات، وصار لهم صوت عالٍ، فبينما هم كذلك، وإذا بطارق يطرق الباب، فقامت صافية، لتنظر مَن بالباب.

وكان السبب في دقّ الباب، قالت لُبَابَة، أن في تلك الليلة، نزل الخليفة هارون الرشيد، لينظر، ويسمع ما يتجدَّد من الأخبار، هو، وجعفر وزيره،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ومسرور، كاتبه، وكان من عادته، أن يتنكَّرَ في صفة التجَّار، فلما نزل تلك الليلة، ومشى في المدينة، جاءت طريقهم على تلك الدار، فسمعوا صوت عالٍ، فقال الخليفة لجعفر: إني أريد أن ندخل هذه الدار، ونشاهد، صاحب هذه الأصوات.

قال جعفر: نخشى، أن يصيبنا منهم شر.

قال الخليفة: لا بد من دخولنا، وابْتَدع خطة، حتى ندخل.

قال جعفر: أسمع وأطيع.

ثم، تقدَّمَ جعفر، وطرق الباب، فخرجت صافية، وفتحت الباب، فقال لها: سيدتي، نحن تجار، من قرية الشيخ مؤنس، ولنا في بغداد عشرة أيام، ومعنا تجارة، ونحن نازلون في خان التجار، وعزم علينا تاجر في هذه الليلة، فدخلنا عنده، وقدَّمَ لنا طعامًا، فأكلنا، ثم تنادمنا عنده ساعة، ثم أذن لنا بالانصراف، فخرجنا بالليل ونحن غرباء، فتهنا عن الخان الذي نحن فيه، فنرجو من مكارمكم، أن تدخلونا هذه الليلة، نبيت عندكم، ولكم الثواب.

فنظرت البوابة إليهم، فوجدتهم، بهيئة التجار، وعليهم الوقار، فدخلت لأختيها، وشاورتهما، فتأسفوا عليهم، وقالتا لها: أدخليهم.

فرجعت صافية، وفتحت لهم الباب، فقالوا: أندخل بإذنك؟

قالت صافية: ادخلوا.

فدخل الخليفة، وجعفر ومسرور، فلما رأتهم البنات، أقبلن عليهم، وقلن لهم: مرحبا بكم، على الرحب والسعة، واسرِّ مقدم، لكن، يا ضيوفنا، لنا عليكم شرط.

قالوا: ما شرطكم؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قالت البنات: تكونوا، عيون بلا لسان، ومهما رأيتم، لا تسألوا عنه، ولا تتكلموا، فيما لا يعنيكم، تسمعوا، ما لا يرضيكم.

قالوا: نعم، لكم ذلك، وما لنا في الفضول حاجة.

فخدمنهم البنات، وجلسوا إلى المحادثة، ونظر الخليفة، فرأى ثلاثة عور، بالعين الشمال، فتعجَّبَ منهم، ونظر إلى البنات، وما هم فيه، من الحُسْن والجمال، والقد والاعتدال، والفصاحة والظرافة والكرم، والانتظام والترتيب، في كل مكان، فتحيَّر وتعجَّب.

ولا زالوا في المنادمة والحديث، ثم قامت زبيدة، وأخذت بيد أمينة وقالت: يا أختي، قومي لنقضي دَيننا.

وفهمت أمينة، ما تعنيه أختها، فنهضت، وأخذت الأطباق والطاولات، وعند ذلك، قامت صافية، وكنَست القاعة، ووضعت كل شيء في مكانه المناسب، وغَيَّرَت الشموع وأضافت البخور، وطلبت من الغرباء الثلاثة، الجلوس، على أريكة، في جهة من القاعة، والخليفة ورفاقه، أخذ أماكنهم، على الجهة الأخرى، وأخلت، وسط القاعة، ونادت الحمال: كن مستعدًا لمساعدتنا، في كل ما نريدك أن تفعله، رجل مثلك، قوي، يجب ألا يظل عاطلاً.

وبعد فترة قليلة، دخلت أمينة، ووضعت في وسط القاعة كرسي، وذهبت إلى باب، وبعد أن فتحته، صرخت للحمال: تعال وساعدني.

فقام الحمال، وغادر الغرفة معها، وعاد بعد لحظة، يقود كلبان أسودان، بسلسلتين، مثبتتين على طوقين، في رقاب الكلبان، إلى وسط القاعة، وبدا، أن هذه الكلاب، أسيئت معاملتها، وتعرضت لضرب مبرح، بسوط.

ونهضت زبيدة، التي كانت جالسة، بين الغرباء والخليفة، واقتربت من الحمال، وقالت بتنهد عميق كالِح:

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

إلامَ (إلى ما) التَواني عَن قِيامٍ بِواجبْ
وَفيمَ (في ما) الأَماني وَالتَلاهي بِواجبْ

ثم، رفعت زبيدة أكمامها، وكشفت ذراعيها إلى الكوع، وأخذت سوطًا، قدمته صافية، وقالت: يا حمّال، قد أحد هذه الكلاب، إلى أختي أمينة، وتعال إلي، بالآخَر.

وفعل الحمال، ما أمر به، وعندما اقترب من زبيدة، بدأ الكلب، الذي كان يجره، في العواء، ورفع رأسه، نحو زبيدة، صُورَة تَوَسُّل، يحرّك رأسه.

ودون النظر، لصرخات الكلب الآهْ (آهَ، تعبيرًا عن توجّع، أو شكوى)، التي ملأت المنزل، جلدته زبيدة، حتى كلَّتْ سواعدها، وعندما لم يعد لديها قوة، رمت السوط، ونظرت بنسيم اِبتِئاس (حُزْنٍ وَغَمٍّ وَسُوءِ حالٍ)، لا لا ...

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

لا تحسَبنَّ الحُزنَ يَبقَى فإنَّهُ
شِهابٌ حَرقٍ، واقدٌ ثُمَّ خامدُ
ستألَفُ فِقدانَ الَّذي قدْ فقدتَهُ
كإلْفِكَ وِجْدان الَّذي أنتَ وَاجِدُ
علَى أنَّه لابُدَّ مِن لذْع لَوعةٍ
تَهبُّ أحايينا كَما هَبَّ رَاقدُ
ومَن لَم يَزَل يَرعَى الشَّدائدَ فِكرهُ
عَلى مَهلٍ هَانت عَليهِ الشَّدائدُ

قال الحمال، فقالت للحمَّال: رُدَّه، وهات الثاني.

فساقه الحمال، وأخذ الآخر، من يديّ أمينة، وقدمه لزبيدة، وفعلت زبيدة به، مثل ما فعلت، بالأول، وبكت، وأعادت أمينة، الكلب.

فعند ذلك، اشتغل قلب الخليفة، وضاق صدره، وغمز جعفر، أن يسأل ويعرف خبر الكلبين، فقال له جعفر بالإشارة، أن الوقت، لم يحن بعد.

وبقيت زبيدة، لبعض الوقت، في منتصف الغرفة، ثم، قالت صافية: أختي العزيزة، ألن تعودي إلى مكانك، لقضاء ما عليّ.

نعم، أجابت زبيدة، وجلست على الأريكة، والخليفة وجعفر ومسرور، عن يمينها، والغرباء والحمّال، عن شمالها، والشموع مشتعلة، والبخور متصاعدة، وتَدَلَّى الصمت، وكَدِر (اِشْتَدَّتْ وَطْأَتُهُ) وأطال، وقالت صافية، التي جلست على المقعد، في منتصف الغرفة: أمينة، أختي، اِنْهَضِي، أنت تفهمين، ما أعنيه.

فقامت أمينة، ودخلت الى غرفة مختلفة، عن حيث تم إحضار الكلاب، واقبلت، ومعها علبة مغطاة، بأطلس أصفر، مزينة بالذهب، واخرجت عودًا، وأصلحت أوتاره، وقدمته لأختها، فدغدغته بأناملها، وحركت اوتاره، وانشدت قصيدة، كان وكان.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

أختي، صوتي يخذلني، هل تأخذيها، و ... نعم، أنتم مرادي ... وقصدي، بكم جنوني، وبكم تولهي، جرت دموعي، على خدي، و ... الغناء، بدلاً مني.

واخذت أمينة العود، وحركت اوتاره، بقدر كبير من العاطفة، وغنت لبعض الوقت:

فَإِلَى مَتَى هَذَا الصُّدُودُ وهذا الْجَفَا
أفما جَرَى مِنْ أَدْمُعِي مَا قَدْ كَفَى
ولكم تطيل الْهَجْرَ لِي مُتَعَمِّدًا
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ حَاسِدِي فَقَدِ اشْتَفَى
رفقا عليَّ فقد أضر فيَّ الجَفا
يا مالكي ما آن لي ان تعطفا

فلما سمعت صافية ذلك، صرخت: ثوب الضنى قد لبسته، فيه النعيم الدائم، والبعد عنكم ظَلِيم، وما على إذا ما، ووقعت على الأرض، مغشيًّا عليها، وبان من بين ثيابها، ندوب ضرب، كضرب السياط.

بينما ركضت زبيدة وأمينة، لمساعدة أختهما، رأى الخليفة، أثر ضرب السياط، فتعجَّبَ من ذلك، غاية العجب، ورشَّت أمينة الماءَ على وجه أختها، وقال الخليفة لجعفر: أَمَا تنظر إلى هذه المرأة، وما عليها من أثر الضرب، فأنا لا أقدر أن أسكت على هذا، ولا أستريح، إلاّ إن وقفتُ على حقيقة خبر هذه الصبية، وحقيقة خبر، هاذين الكلبين، الذين تعرضوا، والصبية، لسوء المعاملة.

صرخ أحد الغرباء: كنت أفضل النوم، في الهواء الطلق، ليتنا ما دخلنا هذه الدار، ليتنا ما تكدَّرَ مبيتنا، مشاهدة هنا، مثل هذا المشهد.

قال جعفر: يا مولانا، قد شرطوا علينا شرطًا، وهو، ألَّا نتكلَّم فيما لا يعنينا، فنسمع، ما لا يرضينا.

فالتفت الخليفة إلى الغريب، وقال: ماذا يعني، كل هذا؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

لا أعرف أكثر منك، أجاب الغريب.

قال الخليفة: أَمَا أنتم من هذا البيت؟ ألا يمكنكم إخباري، عن الكلبين، والسيدة؟

قال الغرباء: لم نكن في هذا المنزل قبل الآن، ودخلناه، قبل بضع دقائق، منك.

ربما، الرجل الذي معكم، يعرف خبرهم، قال الخليفة.

وأومأ أحد الغرباء، للحمال، ليقترب، وسأله الخليفة، عما إذا كان يعرف، سبب تعرض، الكلاب للضرب، ولماذا، أثر ضرب السياط، على صافية؟

فقال الحمَّال: ما رأيتُ هذا الموضع، إلا هذه الليلة، وليتني، لم أبت فيه.

فقال الجميع: نحن سبعة رجال، وهنّ، ثلاث نساء، وليس لهن رابعة، فنسألهن عن حالهن، فإن لم يُجِبْنَنَا طوعًا، أجبننا، كرهًا.

واتفق الجميع على ذلك، فقال جعفر: ما هذا، رأي سديد، دعوهن، فنحن ضيوف عندهن، وقد شرطن علينا شرطًا، فنوفي به، ولم يَبْقَ من الليل إلا القليل، وكلٌّ منَّا، يمضي إلى حال سبيله.

قالوا: ومَن يسألهن؟

قال بعضهم: نكلف الحمَّال.

وسمعتهم زبيدة يتحدثون، وكانت صافية، تعافت من إغماءها، فاقتربت منهم، وقالت: ما بكم، وفي أي شيء، تتكلمون؟

فتقدم الجمال، وقال: يا سيدتي، هؤلاء السادة، قد كثر بينهم، السؤال، أي سبب، ضرب الكلبين، وخبر اختك، وندوبها.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

والتفتت زبيدة منزعجة، وسألت: أحقاً أيها الغرباء، أنكم كلفتم هذا الرجل، الاِستِعلام؟

فقال الجميع: نعم، إلا جعفر.

فلما سمعت الصبية كلامهم، ردت عليهم بنبرة، أظهرت، مدى الإساءة اليهم: لقد آذيتمونا يا ضيوفنا، الأذيةَ البالغة، وهبناكم، من ذات أنفسنا، وادخلناكم، منزلنا، واطعمناكم، زادنا، وأعلمناكم، شرطنا، من يتكلم، فيما لا يعنيه، يسمع، ما لا يرضيه، فتَعَرَّضتم لنا، وأَخْلَفتم عهدكم، وأنشدت:

لا يكتمُ السرَّ إلاّ من لَهُ شرفٌ
والسرُّ عِندَ كِرامِ النَّاسِ مكتومُ
وَمَا شَرَفُ الإنْسَانِ إِلَّا بنفسِهِ
وَإِنْ خَصَّهُ جَدٌّ شَرِيْفٌ وَوَالِدُ
إِذَا كَانَ كُلُّ النَّاسِ أَبْنَاءَ آدَمٍ
فَأَفْضَلُهُمْ مَنْ فَضَّلَتْهُ المَحَامِدُ

ثم، ضربت زبيدة الأرض، ثلاثَ ضربات، وقالت: عجّلوا. وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت عن الحديث المباح.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

مَا كُلُّ نُطْقٍ، لَهُ جَوَابٌ، أو حكاية: الملك، والغزالة

وفي الغد، قالت لُبَابَة: بلغني أيها الملك السعيد، أن زبيدة، قالت عجِّلوا، وإذا بباب قد فُتِح، وخرج منه سبعة عبيد، وبأيديهم سيوف مسلولة، فقالت زبيدة: كتِّفوا هؤلاء، الكثير كلامهم،

وزنِ الكلامَ إذا نطقَتَ ولا تكنْ
ثرثارةً في كلِ نادٍ تخطبُ
واحفظْ لسانكَ واحترزْ مِن لفظِهِ
فالمرءُ يسلمُ باللِّسانِ ويَعْطبُ

واربطوا، بعضهم ببعض.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وفي لحظة، كتف العبيد، الضيوف السبعة وربطوهم، بعضهم ببعض، وأنزلوهم الى وسط القاعة، ووقف كل عبد، على رأس واحد منهم، والسيف بيده، وقالوا: أيتها السيدة الرفيعة، إئذني لنا، في ضرب رقابهم.

قالت زبيدة: من الواجِب أن نسألهم أولا، قبل ضرب رقابهم.

سيدتي! بكى الحمال المرعوب: لا تقتليني، بذنب غيري، أنا بريء، وهم وحدهم، دخلوا في الذنب. واهٍ! تابع الحمال وهو يبكي، لقد كانت ليلتنا، مُتَنَاغِمة بَهيّة! ما سلمنا من هؤلاء الغرباء، ذوو العين الواحدة، هم سبب هذه البَلِيَّة! الذين، لو دخلوا مدينة، خربت، وافشلت، وافتتنت، واهٍ

بِحُرْمَةِ الْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا
لَا تَقْتُلِ الْأَوَّلَ بِالْآخِرِ

فلما فرغ الحمال من كلامه، وعلى الرغم من غضبها، ضحكت زبيدة، واقبلت على الآخرين: أَجِيبُوني، وأخبروني من أنتم، ولا أستطيع أن أصدق، أنكم رجال شرفاء، أو عزيزين في أنفسكم، أو أكابر قومكم، ولا أنتم اصحاب امر ونهي، والا ما كنتم تجرئتم علينا، ولكنتم أوليتم، مزيدا من الاهتمام لمطلبنا، ومزيدا من الاحترام، لنا، أَجِيبُوني! فما بقي، غير ساعة، من أعماركم.

قال جعفر: من بعض ما نستحق، و

لسانُكَ لا تذكرْ به عَورَة امرئٍ
فَكُلُّكَ عَوراتٌ وللنَّاسِ أَعْيُنْ
وَعَينُكَ إنْ أَبْدَت إليكَ مَعَايِباً
فَصُنْها وقُلْ يَا عَينُ للنّاسِ أَعْيُنْ

ثم، إن الصبية، خاطبت الغرباء، وفَطِنت، أنهم الثلاثة، بعين واحدة: هل أنتم إخوة؟

قالوا لها: لا.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قالت لواحد منهم: هل أنت وُلِدت أعور؟

قال: لا، وإنما قد جرى لي جازف عجيب.

فسألت الثاني والثالث، فقالا لها، مثل الأول، ثم قالوا: إنَّ كلَّ واحد مِنَّا من بلد، وإن حديثنا عجيب، وأمرنا غريب.

فالتفت زبيدة إلى العبيد، وطلبت منهم، إطلاق سراح السجناء، والبقاء في الغرفة، وقالت: كلّ من يروي مغامرته، ويوضح الدوافع، التي أوصلته إلى هذا البيت، لن يتعرض لأي أذى، ويكون، له الإذن بالذهاب، إلى حيث يحلو له، ومن أَبَى، فلن يسلم.

فأوَّلُ مَن تقدَّمَ، الحمَّالُ، فقال: يا سيدتي، أنا رجل حمَّال، حملتني ذات النعال المنسوجة، والعصائب المرصعة، أمينة، من دكان الى دكان، وأتت بي إلى هنا، وجرى لي معكن ما جرى، ومَا كُلٌّ نُطْقٍ لَهُ جَوَاب، وما هذا إلا مثل الملك والغزالة.

قالت زبيدة: وما حكاية الملك والغزالة؟

قال الحمال: ذُكِر، أنه كان ملك من ملوك الفرس، يحب الفرجة، والتنزُّه والصيد والقنص، وكان له باز ربَّاه، لا يفارقه ليلًا ولا نهارًا، ويبيت طول الليل، حامله على يده، وإذا طلع إلى الصيد، يأخذه معه.

فبينما الملك جالس ذات يوم، وإذا بالوكيل على طير الصيد يقول: يا ملك الزمان، هذا أوان الخروج، إلى الصيد.

فاستعد الملك للخروج، وأخذ البازي على يده، وساروا، إلى أن وصلوا إلى وادٍ، ونصبوا شبكةَ الصيد.

وإذا بغزالة وقعت في تلك الشبكة، فقال الملك: كلٌّ مَن فاتت الغزالة من جهته، قتلتُه.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فضيَّقوا عليها حلقةَ الصيد، وإذا بالغزالة، أقبلت على الملك، وشَبَّت على رجلَيْها، وحطت يديها على صدرها، كأنها، تُقَبِّلُ الأرضَ للملك، فطأطأ الملك للغزالة، ففرَّت من فوق دماغه، وراحت إلى البر، فالتفت الملك إلى العسكر، فرآهم يتغامزون عليه، فقال: يا وزير، ماذا يقول العساكر؟

قال الوزير: يقولون، إنك قلتَ، كل مَن فاتت الغزالة من جهته، يُقتَل.

قال الملك: لأتبعنها، حتى آتي بها.

ثم، طلع الملك، في إثر الغزالة، ولم يزل وراءها، وصار البازي يلطشها على عينيها، إلى أن أعماها ودوَّخها، فسحب الملك دبوسًا، وضربها فقلبها، ونزل، فذبحها وسلخها، وعلَّقها في حِنْوُ (قسمه المقوس المرتفع) السرج.

وكانت ساعة حَرٍّ، وكان المكان قفرًا، لا يوجد فيه ماء، فعطش الملك، وعطش الحصان، فالتفت الملك، فرأى شجرةً، ينزل منها ماء، فأخذ طاسة، وملأها من ذلك الماء، ووضع الماء أمامه، وإذا بالبازي، لطش الطاسة، فقلبها، فأخذ الملك، الطاسة ثانيًا، وملأها، وظن، أن البازي عطشان، فوضعها أمامه، فلطشها البازي ثانيًا، وقلبها، فغضب الملك من البازي، وأخذ الطاسةَ ثالثًا، وقدَّمها للحصان، فقلبها البازي بجناحه، فقال الملك: يا أشأم الطيور، حرمتني من الشرب، وحرمت نفسك، وحرمت الحصان.

ثم ضرب الملك، البازي بالسيف، فرمى أجنحته، فصار البازي يقيم رأسه، ويقول بالإشارة: انظر، الذي فوق الشجرة.

فرفع الملك عينه، فرأى فوق الشجرة، حية، والذي يسيل سمها، فندم الملك، على قصِّ أجنحة البازي، ثم قام، وركب حصانه، وسار ومعه الغزالة، حتى وصل إلى مكانه الأول، فألقى الغزالة إلى الطبَّاخ، وقال: خذها واطبخها.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، جلس الملك على الكرسي، والبازي على يده، فشهق البازي ومات، فصاح الملك حزنًا:

قَدْ أَفْلَحَ السَّاكِتُ الصَّمُوتُ
كَلامُ راعي الكَلامِ قُوْتُ
مَا كُلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوَابٌ
جَوَابُ مَا تَكْرَهُ السُّكُوتُ

قالت زبيدة: قم، ورُحْ.

أتوسل إليك، رد الحمال، السماح لي، بالبقاء، لفترة أطول، سيكون من الظلم، ألا أسمع، مغامرة هؤلاء الرجال، بعد أن كان من دواعي سرورهم، سماع، حكايتي.

قائلا هذا، أخذ الحمال مكانه، في نهاية الأريكة، مسرورًا، بأن يجد نفسه، طليقاً، وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت، عن الحديث المباح.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وامرِئٍ، وَمَا اخْتَار، أو حكاية: الأمير والقبر

وفي الغد، قالت لُبَابَة: بلغني، أيها الملك السعيد، أن، بعد ذلك، تحدث أحد الغرباء، وخاطب زبيدة: يا سيدتي، اعلمي، أن سبب حلق ذقني، وتلف عيني، أن والدي، كان ملكًا، وله أخ، وكان أخوه، ملكًا على مدينة أخرى، واتفق، أن أمي ولدتني، في اليوم الذي وُلِد فيه، ابن عمي.

ومضت سنون، وأعوام وأيام، حتى كبرنا، وعندما أنهيت تعليمي، وسمح لي والدي الملك، بالدرجة المناسبة من الحرية، كنت أذهب بانتظام، كل عام، لرؤية عمي، وأمضي شهر أو شهرين، في بلاطه، وبعد ذلك، أعود إلى المنزل.

أنتجت هذه الزيارات، صداقة حميمة، بين الأمير ابن عمي، وأنا، وفي المرة الأخيرة، التي رأيته فيها، استقبلني، بفرح ومودّةً، والواقع، أنه كان أكثر إكراما، مما كان عليه، في أي وقت مضى.

وذات يوم، باغٍ، أن يرَوّح عني بتَسالِي، قام، بإجرَاءَات غير عادية، وبقينا، وقتا طويلا على الطاولة، وبعد أن تناولنا الطعام، قال لي: ابن عمي العزيز، لا يمكنك أبدًا، تخيل، ما الذي شغل تفكيري، منذ رحلتك الأخيرة، لقد وظفت عددًا كبيرًا من العمال، في تنفيذ، التصميم، الذي فكرت مليا فيه، لقد أقمت مبنى، انتهى للتو، وسأتمكن قريبًا، من الإقامة فيه. لن تأسف لرؤيته، ولكن، بالأمانة، يجب عليك أن تكون، دَفِيناً مخلصًا، هذان الأمران، اللذان، يجب أن أطلبهما منك.

قلتُ له: صداقة وألفة، حبًّا وكرامة،

أَخِلّاءُ الرَخاءِ هُمُ كَثيرٌ
وَلَكِن في البَلاءِ هُمُ قَليلُ

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فَلا يَغرُرْكَ خُلَّةٌ مَن تُؤاخي
فَما لَكَ عِندَ نائِبَةٍ خَليلُ
وَكُلُّ أَخٍ يَقولُ أَنا وَفِيٌّ
وَلَكِن لَيسَ يَفعَلُ ما يَقولُ
سِوى خِلٍّ لَهُ حَسَبٌ وَدينٌ
فَذاكَ لِما يَقولُ هُوَ الفَعولُ

قال ابن عمي: انتظرني، ونهض، وفي الواقع، لم يستبقني طويلاً، وغاب قليلًا، ثم عاد، وخلفه امرأة مُزَيَّنَة، سروال أبيض فضفاض أعلاه، ضيق يلتصق بالساق قرب نهايته، قميص مشقوق عند الرقبة، كمان يهبطان إلى المعصم، مطيبة، ذات جمال عظيم.

لم يخبرني ابن عمي، من هي، ولم أعتقد، أنه من الصواب، الاستفسار، وجلسنا مرة أخرى، على الطاولة مع السيدة، وبقينا هنالك بعض الوقت، نتحدث، عن أشياء مختلفة، ثم قال لي، ابن عمي الأمير: ليس لدينا، وقت نضيعه، خذ هذه السيدة معك، وادخل بها التربة، ادخلا إلى هنالك معًا، وانتظراني، وأنا سأنضم إليكما، مباشرة.

أَمِين، لم أسعى لمعرفة المزيد، وقدمت يدي للسيدة، وبناءً، على التعليمات التي أعطاني إياها الأمير، ابن عمي، أوصلتها بأمان، إلى الوُجهَة المقصودة.

فما استقر بنا الجلوس، حتى جاء ابن عمي، ومعه طاسة فيها ماء، وكيس فيه طين، وآلة حَفْر. ثم، إنه جاء إلى قبر، في وسط التربة، ففَكَّه، ونقض أحجاره، إلى ناحية التربة، ثم، حفر بآلة الحَفْر، في الأرض، حتى كشف عن باب، وبان من تحت الباب، سلَّمٌ معقود، فالتفت إلى المرأة، وقال:
سيدتي، هذه هي الطريق، التي تؤدي، إلى المكان، الذي ذكرته لك، فما تختارين؟

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

عِندَ هذه الكلمات، اقتربت السيدة، ونزلت على ذلك السلَّم، واستعد الأمير، لاتباعها، لكنه، التفت إليّ أولاً، وقال: هذا واجب علي، أنا ملزم لك، تَقَبَّل أفضل شكري، يا ابن عمي، وإذا نزلتُ أنا، فرُدَّ الترابَ كما كان، وهذا الطين الذي في الكيس، وهذا الماء الذي في الطاسة، ردّ القبر كما كان، حتى لا يعرفه أحد، وهذه حاجتي عندك.

فلما غاب عن عيني، فعلت ما أمرني به، حتى صار القبر كما كان، ثم رجعت إلى قصر عمي، فنمتُ تلك الليلة.

فلما أصبح الصباح، تذكرتُ الليلةَ الماضية، وما جرى فيها، بيني وبين ابن عمي، وندمت على ما فعلت معه، حيث لا ينفع الندم، ثم خرجت إلى التربة، وفتَّشْتُ عن القبر، فلم أعرفه، ولم أزل أفتش، حتى أقبل الليل، فرجعتُ إلى القصر، ولم آكل، ولم أشرب.

واشتغل خاطري بابن عمي، من حيث لا أعلم له حالًا، فاغتممتُ غمًّا شديدًا، وبِتُّ ليلتي مغمومًا إلى الصباح، فجئتُ ثانيًا إلى التربة، وأنا أفكِّر فيما فعله ابن عمي، وندمتُ على سماعي منه، وفتَّشْتُ في الترب جميعًا، فلم أعرف تلك التربة، ولازمتُ التفتيشَ سبعةَ أيام، فلم أعرف له طريقًا.

ومن الضروري، أن أبلغكِ، أن الملك، عمي، كان غائبًا طوال هذا الوقت، في الصيد، وزاد بي الوسواس، ولم أكن مستعدًا، لانتظار عودة عمي، الملك.

وبعد أن طلبت من وزرائه، الاعتذار عن مغادرتي، ارتحلت إلى مملكة والدي، وتركت وزراء عمي، قلقين، بسبب الاختفاء غير المعلل، للأمير، ولأنني، لم أستطع نقض الامانة، لم اقوى، على التقليل من قلقهم، من خلال الكشف لهم، عن أي جزء، مما أعرفه، وامرِئٍ، وَمَا اخْتَار.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ووصلت إلى عاصمة والدي، وخِلَافا، للعرف المعتاد، أَبَان عند بوابة القصر، حرسًا غَفِيراً، أحاط بي على الفور، وطالبت، بمعرفة السبب وراء ذلك، لَمّا، أجاب أحد أرؤُس السيف: اعترف الجيش، بالوزير، بأنه الملك.

قلت: وما جرى، على والدي؟!

أجاب: قتله الوزير، ونحن نترقَّب، ظهورك، وأعتقلك كسجين، باسم الملك الجديد.

أيتها القاضية! سيدتي! وما كانت دهشتي، وحزني!

فأخذوني، وأنا غائب عن الوجود بسبب هذه الأخبار التي سمعتها عن أبي، و

الرزءُ (لْمُصِيبَةُ) أَفجع لو أَطلت بكائي
والخطب أَوجع لو شققت حشائي
من لائمي في لوعتي وتفجعي
وتوجعي وترجعي وأَسائي (أسَى)
بصري وسمعي والفؤاد ومهجتي
ذهب الجَميع وقد سلبت عَزائي

فلما تمثَّلْتُ، بين يدي الوزير، الذي قتل أبي، وقد حمل هذا الوزير المتمرد، كراهية راسخة ضدي، منشودة لفترة طويلة، وكان سبب عداوته، أني كنت مولعًا، بضرب القوس، فاتفق، أني كنتُ واقفًا يومًا من الأيام، على الجزء العلوي، من القصر، وإذا بطائر نزل على الشرفة، فأردتُ أن أضرب الطيرَ، وإذا بالسهم أخطأَتْ، وأصابت عين الوزير، فأتلفَتْها، وبمجرد إحاطتي بهذا الحادث، ذهبت، وقدمت اعتذاري، للوزير، ومع ذلك، حمل كراهية قوية ضدي، وآتى، أدلة على سوء نيته، في كل فرصة، ولم يقدر، لأن والدي، كان ملك المدينة، فهذا سبب العداوة، التي بيني وبينه، فلما وقفتُ أمامه، في سلطته، أظهر كراهيته بأبشع طريقة، وأتلف عيني الشمال، فصرتُ من ذلك الوقت، أعور كما تروني، ولم تقتصر قسوته، وسوء

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

معاملته، على هذا العمل المشين الدنيء، وأمر، بسجني في قفص، ونقلي بهذه الطريقة، إلى مكان بعيد، حيث الجلاد، يقطع رأسي، ويترك جسدي، لتلتهمه الطيور الجارحة.

فذهب بي السياف، وسار، حتى خرج من المدينة، وأخرجني من القفص، وأنا مكتوف اليدين، مقيَّد الرجلين، وأراد أن يغمض عينيَّ، ويقتلني، فأنشدت هذه الأبيات:

وَإِخْوَانٍ تَخَذْتُهُمُ دُرُوعًا
فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخِلْتُهُمُ سِهَامًا صَائِبَاتٍ
فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ
لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وِدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ
لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِي

فلما سمع السياف شعري، وكان سيَّاف أبي، ولي عليه إحسان، قال: يا سيدي، كيف أفعل، وأنا مأمور؟! ثم، قال لي: اذهب، ولا تَعُدْ إلى هذه الأرض، فتهلك، وتهلكني معك، وإِنَّكَ، لا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ، العِنَبَ (أي، لا تجد عند ذي المَنْبِتِ السوء، جميلاً)، و

أَلا إِنَّما الإِخوانُ عِندَ الحَقائِقِ
وَلا خَيرَ في وُدِّ الصَديقِ المُماذِقِ (غير مخلص)
وَنَفْسُكَ فُزْ بِهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا (الظُّلْمُ، الإِذْلاَلَ)
وَخَلِّ الدَّارَ تَنْعِي مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ
وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يَعِيشُ بِدَارِ ذُلٍّ
وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ فَلَاهَا

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فشكرته، على الرحمة التي أظهرها، وعندما وجدت نفسي وحدي، عزيت نفسي، على فقدان عيني، بتَأَمُّل، أنني نجوت للتو، من مصيبة أكبر، نجاتي من القتل.

وفي الحالة التي صرت، لم أستطع السفر، بسرعة كبيرة، فخلال النهار، أخفيت نفسي، في الأماكن المهجورة والخافية، وسافرت ليلاً، بقدر ما تسمح لي، قوتي، وأخيرا، وصلتُ الى بلد الملك، عمي، وتوجهت مباشرة إلى عاصمته، فدخلت عليه، وأعلمته بما جرى لوالدي، وشرحت، الحالة البائسة، التي رآني فيها.

واهٍ، صرخ ألما عمي، ألم يكن كافياً، أن أفقد ابني، ولكن، يجب أن أعلم أيضا، وفاة أخ، أحببته كثيرا، وأجدك، في الحالة المؤسفة، التي أراك فيها الآن!

وأبلغني عمي بالضيق، الذي عانى منه، "إن ابن عمك، قد فُقِدَ منذ أيام، ولم أعلم بما جرى له"، بسبب عدم حصوله، على أي أخبار، عن ابنه، على الرغم من جميع الاستفسارات، التي أجراها، وكل الاجتهاد، الذي بذله، وانسابت الدموع، من عيون هذا الأب المَنكُوب، وبدا لي مَفجُوعا، ولا أمكنني السكوت، عن حزنه، و

أدِّ الأمانةَ والخيانةَ فاجتَنِبْ
واعدِلْ ولا تَظلِمْ يَطيبُ المَكسَب

باختصار، أعلمتُ الملك، بكل ما حدث.

هذا عزاء، قال الملك، ابن أخي العزيز، القصة التي أخبرتني بها، تمنحني القليل، من الأمل، وأعلم جيدًا، أن ابني، بنى هذا القبر، وشبه أعرف، في أي مكان، تم نصبه، وإذ تستذكر، أخدع نفسي، ربما، سنكون قادرين، على اكتشافه.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ولكن، بما أنه فعل كل هذا سرًا، وطلب منك أيضًا، عدم الكشف عن الحقيقة، فأنا أرى، أنه يجب علينا نحن الاثنين فقط، إجراء البحث، وأن التفصيل، لا يكن معروفًا في العُمُوم، ويجري على الالسن.

وكان لدى الملك، أيضًا، سبب آخر، أخفاه عني، لرغبته، في إبقاء هذا سرًا، وكان هذا السبب، كما ستظهر خاتِمَة قِصتّي، سببًا مهمًا، للغاية.

وقمت، أنا والملك خفية، من غير أن يعلم بنا أحد، ووصلنا التربة، فنظرت يمينًا وشمالًا، وأقْبَلَتْ عَليْنا الدّنْيَا، فتعرفت على القبر على الفور، ففرحت أنا وعمي فرحًا شديدًا، وأزحنا التراب، حتى كشفنا عن باب.

وبان من تحت الباب، سلَّم، وكان عمي، أول من نزل، وتبعته، مقدارَ خمسين درجة، أوصلتنا إلى أسفل الدرج، إلى نوع من غرفة انتظار، كانت مليئة، بدخان كثيف، كريه الرائحة، حجب الضوء، الذي أُرْسِلَ، من مصباح لامع.

ومن هذه الغرفة، مررنا، إلى غرفة أكبر بكثير، تم دعم سقفها، بأعمدة كبيرة، وأضاءتها، العديد من المصابيح، وعلى جانب من الغرفة، كان هنالك بئر، وعلى كل جانب آخر، لاحظنا أنواعًا مختلفة من المؤن.

وفوجئنا، بعدم العثور على أحد، ثم، مشينا، وإذا نحن بقاعة، وكان هنالك أريكة، ذات ارتقاء بضع درجات، وظهر سرير كبير جدًا، ستائره مسدلة.

وصعد الملك إلى السرير، وفتح الستائر، فنظر، فوجد، ابنه هو والمرأة التي قد نزلَتْ معه، صارَا فحمًا أسودَ، وهما متعانقان، و

سَألتُ المحبّين الّذي تحمّلوا
تَباريحَ هَذا الحبّ في سالف الدهرِ
فَقُلتُ لَهم ما يُذهب الحبّ بعدما
تَبوّأ ما بينَ الجَوانحِ والصدرِ
فَقالوا شفاء الحبّ حبٌّ يُزيلهُ

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

مِن آخر أو نأيٌ طويلٌ على هجرِ
أَو اليأس حتّى تذهل النفسُ بَعدما
رَجت طَمعاً واليأس عونٌ على الصبرِ

وحزنت على ابن عمي، وقلتُ: يا عمي، خفِّفِ الهمَّ، عن قلبك، وبكى، وبكيتُ، وقال لي: أنت ولدي، عوضًا عنه.

ثم، إني تفكَّرْتُ ساعةً، في الدنيا وحوادثها، مِن قتْلِ الوزير لوالدي، وأخذه مكانه، وتلَفِ عيني، وما جرى لابن عمي، من الحوادث الغريبة، ومقولة

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

عمي، فاسترعى الدمع، فبكيت.

ثم، إننا صعدنا، ورددنا التراب، وعملنا القبر كما كان، سترا، وحجابا منيع، ثم، رجعنا إلى منزلنا، ولم يشعر بنا أحد، فلم يستقر بنا الجلوس، حتى سمعنا دقّ طبول، وبوقات، ورمحت (جرت، ضربت) الأبطال، وامتلأت الدنيا، بالعجاج والغبار، فحارت عقولنا، ولم نعرف الخبر، فسأل الملك، فقيل: إن وزير أخيك قتله، وجمع العسكر والجنود، وجاء بعسكره، ليهجموا على المدينة، في غفلة، وأهل المدينة، لم يكن لهم طاقة بهم، فسلَّمُوا إليه.

فقلت في نفسي: متى وقعت أنا في يده، قتلني. وتراكمت عليّ الأحزان، وتذكرت الحوادث، التي حدثت لأبي وأمي، ولم أعرف كيف العمل، فإن ظهرتُ، عرفني أهل المدينة، وعسكر أبي، فيسعون في قتلي وهلاكي، فلم أجد شيئًا أنجو به، إلا حلق ذقني، فحلقتها، وغيَّرْتُ ثيابي.

بعد ذلك، لم يكن من الصعب، أن أخرج من المدينة، وعن طريق، الطرق المَهجُورة، وتجنب المدن، وصلت إلى مملكة أمير المؤمنين، هارون الرشيد، فسقط الخوف، وفكرت في الخطة، التي يجب أن أتبناها، وقررت، أن آتي إلى بغداد، وألقي بنفسي، تحت رحمة هذا الملك العظيم، الذي يحظى كرمه، بالإعجاب في كل مكان، وأحكي له قصتي، وما جرى لي، ولا شك، أنه سيتعاطف معي، ولن أطلب مساعدته، عبثا.

فوصلت إلى بغداد، بعد رحلة، من عدة أشهر، هذه الليلة، فوقفت حائرًا، ولم أدْرِ أين أمضي، وإذا بهذا الغريب، قد اقبل، وعليه أثر السفر، فسلم، فبينما نحن كذلك، وإذا برفيقنا، هذا الغريب الثالث، جاءنا، وسلَّمَ علينا.

وكان الوقت متأخرًا، ولم نعرف، أين نبحث عن سكن، في مدينة لم نكن فيها من قبل، وحُسْنُ الحَظّ، جلبنا إلى بابكم، واستقبلتمونا، بالبِرّ والإحسان، ولا نستطيع، أن نشكركم بما فيه الكفاية، وهذا سيدتي، هو ما أردتِني أن أروي، وهذا سبب حلق ذقني، وتلف عيني.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

شكرا لك، قالت زبيدة، يمكنك الإنصراف، متى شئت.

وناشد الغريب، زبيدة السماح له، بالبقاء، والاستماع، إلى مغامرات الأشخاص الآخرين، وتعجَّب الحاضرون من حديثه، وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت، عن الحديث المباح.

تَرَوْنَ بُلُوغَ المَجْدِ، أنّ ثيَابَكُمْ، أو حكاية: أميرة الزغاوة، وحَلاَوَة الجَمَال

وفي الغد، قالت لُبَابَة: بلغني، أيها الملك السعيد، أنه، تقدَّمَ الغريب الثاني، وقال: هذا عجب! ويا سيدتي، لإطاعة أوامرك، ولكي تفهمي، المغامرة الغريبة، التي فقدت بها، عيني اليمنى، يجب أن أرجع، وما حياتي!

يا سيدتي، أنا ما وُلِدت أعور، أنا، أميرٌ أيضًا بالولادة، وكنت بالكاد، طفلا رضيعا، عندما لاحظ الملك، والدي، أني أمتلك الفطنة والذكاء، فكرس، جهدا عظيما، لتعليمي.

لقد استدعى والدي، من كل جزء من مملكته، الرجال، الأكثر شهرة في العلم، والفنون، وعلمني، وعَلَّمُوني.

فما إن علمت، كيف أقرأ، وأكتب، حتى حفظت القرآن، ذلك الكتاب العظيم، وحتّى لا تكون معرفتي سطحية، فقد أجريت دراسة، عن تاريخنا، وازددت في الفصاحة والبلاغة، وقرأت كلامَ الشعراء، وشرحته، و

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ
سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ
ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجْتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ
وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانِ

واجتهدت في الجغرافيا، وسائر العلوم، وكنت حريصا، على معرفة لغتنا، في صفائها، وكان من دواعي سروري، الخطّ، وبالاجتهاد والمثابرة، برعت في تشكيل أحرف لغتنا العربية، وأتقنت فن الكتابة، حتى فقت أهل

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

زماني، وشاع ذكري، وكل هذا، قمت به، دون إهمال التمارين، التي يجب أن يتقنها، الأمير.

لقد منحتني الشهرة، شرفًا، أكبر مما أستحق، فلم تقنع، بنشر آثاري، في مملكة والدي، لكن، تَنَاقَلتها، وشاع ذكري، في سائر الأقاليم والبلدان، وشاع خبري، عند سائر الملوك.

وسمع بي ملك كانم، الذي تطلع لرؤيتي، فأرسل، الهدايا العظيمة، إلى والدي، مع طلب، أن أزوره. وفرح والدي، لأسباب عديدة، فقد كان سعيدًا جدًا، بفرصة تكوين صداقة، مع سلطان كانم، وشعر، بالثقة، من أن سفري، إلى مملكة أعجمية (خارجية)، هو أفضل شيء ممكن، لأمير، في عمري.

وبسبب طول الطريق، وصعوباته، تجهزت للسفر، مع القليل من الاعوان والأمتعة، ولا زلنا مسافرين مدة شهر كامل، وإذ رأينا من بعيد، سحابة هائلة من الغبار، وبعد ذلك، بوقت قصير، بان ستون فارسًا من الاعراب، فتأملناهم، فإذا هم قطَّاع طريق، اقتربوا منا، بأقصى سرعة.

فلما رأونا، ومعنا عشرة أحْمال (الأَجمال التي عليها الأَثقال) هدايا، كنت سأقدمها لملك كانم، باسم والدي، ونحن نفرٌ قليل، شهر اللصوص، سيوفهم، دون تردد.

غير قادرين، على درأ القوة، بالقوة، وإِنّ لَمْ تَغْلِبْ، فَاخْلُبْ (الخِلاَبة هي الخديعة، ويراد به، الْخُدْعَة في الحرب، وكما قيل: نَفَاذُ الرأي في الحرب، أنفذ من الطعن، والضرب)، أشرنا إليهم، وقلنا: نحن رسل، إلى ملك كانم، فلا تؤذونا، وأنَّه نأمل، ألا تفعلوا شيئًا، يتعارض مع الاحترام، الذي تدينون به له.

واعتقدنا، أنه بهذا النداء، نحافظ، على حياتنا وأحْمالنا، لكن، أجاب اللصوص بوقاحة: لماذا تفترضون، أنّا، سنحترم ملك كانم، نحن لسنا في

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

أرضه، ولا تحت حكمه.

وبعد قولهم هذا، حاصرونا، وهاجمونا على الفور، من جميع الجهات، ودافعت عن نفسي، لأطول فترة ممكنة، لكن، عندما وجدت، أني مصاب، ورأيت، أنهم قتلوا من معي، وأنه، قد اشتغلت الأعراب، بالمال والهدايا، التي كانت معنا، استفدت، من بقية قوة حصاني، الذي كان قد أصيب أيضًا، فخرجت منهم، هارباً.

لقد دفعت الكائن المسكين، قدر ما أمكنه، أن يحملني، ثم، سقط فجأة، ميتًا من التعب، وفقدان الدم، فاستخلصت نفسي، من الفرس الساقط، بأسرع ما هو ممكن، ووجدت، أنه لم يلاحقني أحد، فافترضت، أن اللصوص، انغمسوا في النهب.

وهكذا، تُركت وحدي، وكنت غنيا، فصرتُ فقيرا، وكنت عزيزًا، فصرتُ ذليلًا، جريحًا، معدومًا من كل مساعدة، في بلد، كنت فيه، غريبًا.

وقمت بربط جرحي، الذي لم يكن خطيرًا، وكنت أخشى العودة إلى الطريق، خوفا من السقوط، مرة أخرى، في أيدي اللصوص، فسرتُ بقية اليوم، وفي المساء، وصلت إلى مدخل كهف، فدخلت، وأكلت بعض الفاكهة التي جمعتها، وأمضيت الليل في الكهف، في أمان، حتى طلع النهار.

ولعدة أيام، واصلت رحلتي، دون أن آتي، إلى أي مكان، يمكنني السكن إليه، وسرت، وتغيَّرَتْ حالتي، واسود جهي، ويداي وقدماي، من الشمس الحارقة، وسرت، واهترأت نعالي، فاضطررت للسفر، حافي القدمين، وسرت، فخَرَقَت ملابسي.

تَرَوْنَ بُلُوغَ المَجْدِ أنّ ثِيَابَكُمْ
يَلُوحُ عَلَيْكمْ حُسنُها وَبَصِيصُها
وَلَيسَ العُلا دَرّاعَةً وَرِدَاؤهَا
وَلا جُبّةً مَوْشيّةً وَقَميصُها

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وبعد قرابة شهر، وصلت، إلى مدينة كبيرة جدا، مكتظة بالسكان، تتمتع بموقع، مبهج نافِع، تتدفق حوله، عدة أنهار، ولّى عنها الشتاء ببرده، وأقبل عليها، الربيع بورده. وما خلقت! مدينة طيبة، طلعت ازهارها، وتموّج هوائها! فمن وسط الأسف المرير، الذي شعرت به، في موقفي البائس، أَمَّت في نفسي البهجة، وتلاشت، تَرْعِيَة غيظي.

ودخلت المدينة، من أجل سماع، اللغة المحكية، ومعرفة، مكان وجودي، فخاطبت خياطا، كان يعمل في دكانه، وسلَّمتُ عليه.

فردَّ الخياط، عليَّ السلامَ، ورحَّبَ بي، واستوقف انتباهه، مظهري، ورأى عليّ، أثر النعمة، فسألني، من أنا، ومن أين أتيت، وما الذي أوصلني، إلى هذا المكان؟

ولم أخف عن الخياط شيئًا، وأبلغته، بكل الأحوال، التي حدثت لي، ولم أتردد، في الكشف عن اسمي.

واستمع لي الخياط، بلطف، وانتباه شديد، وتأثر لبؤسي، ولكن، عندما انتهيت من روايتي، بدلاً من إعطائي، أي عزاء، زاد، من قلقي.

احذر! قال الخياط، كيف تمنح، المعلومات، التي قدمتها إلي، إلى أي شخص آخر، ولا تُظهِر، ما عندك، فإني أخاف عليك، من ملك هذه المدينة. يا فتى، السلطان، الذي يسود هذه المملكة، هو أكبر عدو، للملك والدك، وإذا تم إبلاغه، بوصولك إلى هذه المدينة، فأنا لا أشك، في أنه سيلحق بك، بعض الشر.

عندما أخبرني الخياط، باسم السلطان، رأيت، أنه تحدث بصدق، ولكن، نظرًا، لأن العداوة، بين والدي، وهذا الملك، لا علاقة لها، بمغامراتي، فلن أدخل، في أي تفاصيل عنها.

وشكرت الخياط، على النصيحة، التي قدمها لي، وأخبرته، أنني أثق، في مشورته الصالحة، ولن أنسى أبدًا، الجميل، الذي أظهره لي.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وقَدَّرَ الخياط، أنه ينبغي، أن أكون جائعًا، فأحضر لي شيئًا، لآكله، بل، وعرض علي، مسكناً في منزله، وقبلت، كرم ضيافته.

وبعد بضعة أيام من وصولي، ملاحظًا، أنني تعافيت، بشكل مقبول، من آثار رحلتي، الطويلة المؤلمة، وعلى معرفة، أن معظم الأمراء في ديننا، يتخذون الاحتياطات اللازمة، للإلمام، ببعض الصنائع، أو بتجارة، مستعدين للدهر، فَلاَ حزناً يَدوم، ولا سرورا، سألني الخياط: أَمَا تعرف صنعةً، تكتسب بها؟ أي شيء، يمكننك من خلاله، كسب لقمة العيش، دون أن تعيش حملاً، على أي شخص؟

فأخبرته، أني، على دراية جيدة، بالعلوم، وأني، أديباً شاعراً، نحوياً خطاطاً، أكتب، بشكل جيد، وملحوظ.

أجاب الخياط: ومع كل هذا، لن تحصل في هذا البلد، على لقمة من الخبز، فليس في مدينتنا، مَن يعرف علمًا ولا كتابةً، غير المال.

إذا اخترت اتباع نصيحتي، أضاف الخياط، ونظرًا، لأنك قوي، وذُو عَزْمٍ، شد وسطك، واحتطب في الغابة المجاورة، حطبًا، يمكنك، بعد ذلك، الذهاب، وعرضه للبيع في السوق، تكتسب دخلاً، يبقيك مستقلاً عن الجميع، ويفرج الله عليك.

وبهذه الوسيلة، يمكنك الانتظار، حتى تصبح الظُّرُوف مؤاتية لك، ولا تعرِّف أحدًا بنفسك، فيقتلوك، وسوف أقوم بتزويدك، بفأس وحبل.

الخوف من أن أعرف، وضرورة، إِعَالة نفسي، حدد عليّ، متابعة هذه الخطة، على الرغم، من التَقَهقُر التي تنطوي عليه.

وفي اليوم التالي، اشترى لي الخياط، فأسًا وحبلًا، وأرسلني مع بعض الحطابين، وأوصاهم بي. ومنذ ذلك اليوم، احتطبت، وكنت آتي، بحزمة كبيرة من الخشب، أبيعها بنصف دينار، آكل ببعضه، وأبقي بعضه، وحصّلت مبلغا من المال، فكفائت الخياط، وتُوَطِّنُ الإِبل، وَتَعَافُ المِعْزَى

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

(أي، أن الإبل، تُوَطِّنُ نفسها، على المكاره، لقوتها، وتَعَافُها المِعْزَى، لذلّها وضَعْفها. يضرب للقوم، تصيبهم المكاره، فيوطِّنون أنفسهم عليها، ويَعَافُها، جبناؤهم).

ودمت على هذا الحال، مدة سنة، ثم، ذهبت يومًا، على عادتي، إلى الغابة ودخلتها، فوجدت فيها خميلة (شجر مجتمع كثير) أشجار، فيها حطب كثير، فدخلت الخميلة، وإذا قصر، محكم البنيان، وجدتُ فيه صبية، نظرت إليَّ وقالت: أأنت إنسي، أم جني؟

قلت لها: إنسي.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فتنهدت الصبية وقالت: لا أدري، مَا أوصلك إلى هذا المكان، الذي، ما رأيت فيه إنسيًّا، أبدًا؟

فحكيتُ لها، ما جرى لي، من الأول إلى الآخر، فصعب عليها حالي، وبكت وقالت: أنا الأخرى، أُعلِمُكَ بقصتي، اعلم، أني بنت ملك الزغاوة، اختطفني عفريت، فطار بي، ونزل في هذا المكان.

فقلت لها: لعل العفريت يحضر، حتى أقتله، فإني موعود بقتل العفاريت، وأريحك، من هذا الجني؟

الأميرة، التي كانت تعلم، نتيجة هذا التدبير، قالت: يا حبذا، إن صحت الاحلام، للأسف، أنا على دراية أفضل بالجني، واهٍ، ستكون أَدَاة تدميرنا، أنا وأنت.

واهتز القصر، وأظلمت، وأرعدت، وأبرقت، فقلت لها: ما الخبر؟

ويا سيدتي، قالت لي الأميرة، دون التفكير، في الخطر، الذي تواجهه: إن العفريت، قد وصل إلينا، انجُ بنفسك، واطلع، من المكان، الذي جئتَ منه.

فمن شدة خوفي،

فَرَرْتُ، فإنْ قالوا الفِرارُ إرَابَةٌ (أوقعه في الريبة والشك)،
فَقَد فَرّ مُوسَى حينَ هَمّ بِه القِبْطُ (الأَصْل بِمَعْنى سكان مصر)
وإنّي لراجٍ أنْ تعودَ، كبدئِها،
ليَ الشّيمةُ (طبيعة) الزّهراءُ والخلْقُ السبطُ (الحسن، اللين)

ونسيت، حبلي وفأسي، فلما صعدت درجتين، التفتُّ لأنظرهما، فرأيت الأرض قد انشقَّت، وطلع منها، عفريت، ذو منظر بشع، رأى الحبل والفأس، فقال: ما هذا، إلا مَتَاعُ إنسٍ، من جاء إليكِ؟

قالت الأميرة: ما نظرت هذا، إلا في هذه الساعة، ولعلهما، تعلقا معك.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

رد الجني، بالشتائم والضربات: هذا كلام محال!

وانتابني، ألم عميق، من صراخ وبكاء الأميرة، التي كانت تُعامل بوحشية، وصعدت الدرج، وشعرت، كما لو أنني، أكثر الرجال إجرامًا، حيث اعتبرت، أني، سبب هذه الكراهية القاسية، لشيطان لا يرحم، وشعرت، أنني جاحد، ضحيت بالأميرة، وتحَقّقت، الخطأ الذي ارتكبته، بعد فوات الأوان، فلما وصلتُ إلى الخميلة، ندمت على ما فعلت، غاية الندم.

ثم، مشيتُ، إلى أن أتيتُ، رفيقي الخياط، فلقيته، وهو لي في الانتظار، فقال: إني بتُّ البارحةَ، وقلبي عندك، بسبب سر ولادتك، الذي، عهدت به إلي، ولم أعرف ما أفكر، وخفتُ، أن شخصًا، ما قد تعرف عليك فالحمد لله، على سلامتك.

وشكرت الخياط، على شفقته عليّ، ومودته، ولكني، لم أبلغه بما حدث، ولم أخبره، سبب عودتي، دون فأسي وحبلي، ودخلت خلوتي، وجعلت أتفكّر، فيما جرى لي، وألوم نفسي.

وانا في هذا الحساب، دخل عليَّ، صديقي الخياط، وقال: في الدكان، شخص يطلبك، ومعه، فأسك وحبلك، قد جاء بهما، إلى الحطابين، وقال: إني خرجت، وقتَ أذان المؤذن، لأجل صلاة الفجر، فعثرتُ بهما، ولم أعلم، لمَنْ هما، فدلُّوني، على صاحبهما، فدلَّه الحطابون عليك، وها هو، قاعد في دكاني، فاخرج إليه، واشكره، وخُذْ فأسك، وحبلك.

فلما سمعت هذا الكلام، اصفرَّ لوني، وتغيَّرَ حالي، وبينما أنا كذلك، وإذا بالأرض انشقَّت، وطلع منها العفريت، الذي أتى بهذه الحيلة، ودخل عليَّ، ولم يمهلني، بل اختطفني، وطار وعلا بي، ونزل بي القصر، الذي كنتُ فيه.

ووا أَسَفاه، يا له من مشهد، إعتصر قلبي، كانت الأميرة، مغطاة بالدماء، جاثمة على لأرض، ميتة، أكثر من حية، وجهها مغمور بالبكاء، وقال الجني،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وهو يمسكني: يا فاجرة، أليس هذا عشيقك؟

وألقت بعينيها المخذولة، وبنبرة حزينة، أجابت: لا.

أهذه العقوبة، ولم تقري، أنك تعرفيه!؟ قال العفريت، وهو سبب معاقبتك؟! وإني قمت بتأديبك، بشكل عادل؟

وهل تتمنى، أن أنطق بزيف، فتقتله؟ أجابت الاميرة.

إن كنتِ لا تعرفيه، خذي هذا السيف، واضربي عنقه، صرخ العفريت.

وكيف يمكنني، أن أفعل، ما تطلبه مني؟ وهل تعتقد، أني، يمكنني أن أقتل، شخصًا بريئًا؟ أجابت الاميرة.

ما يهون عليك قتله، ويبدو، ما كان في صدرك، تكتمي، والتفت إلي الجني، وقال: وانت، أما تعرف هذه؟

وكيف الجحود والغدر، إذا لم أحافظ على حياتها، كما حافظت، على حياتي، فقلت: هذه هي المرة الأولى، التي أراها.

خذ السيف، واقطع رأسها، أجاب الجني، هذا هو ثمن حريتك، والطريقة الوحيدة، لإقناعي، بأنك لم ترها من قبل.

ولا تتخيلي يا سيدتي، أنني اقتربت، من أميرة الزغاوة الجميلة، رَجَاةَ، أن أصبح أداة، فظاعة الجني، فرميت السيف، وقلت: لن أطيع أوامرك أبدًا، ولم أَرَها عمري، أيها العزيز.

أولو سُقِيت كأس الردى، وستعرف غضبي، ثم، أخذ العفريت السيف، وضرب يد الصبية، فقطعها، وأنا أنظر بعيني، و

ليس الجمالُ بمئزرٍ (ثَوْبٌ يُحِيطُ بِالقِسْمِ الأَسْفَلِ مِنَ البَدَنِ)
فاعلم وإن رُدِّيتَ (أُلبست) بُردا (كساء مخطط)

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

إنّ الجمالَ معادنٌ
وَمَنَاقبٌ أَورَثنَ مَجدا

وأيقَنَت الموت، ونظرت بعينَيْها، ورآها العفريت فقال: أَمَا حذَّرْتُك من هذا؟ والله لقد آذيتني، ولكن!

إضرب، إضرب، لأهلها، قد بدت عجائبها، إذا كانت امرأةٌ، ولم تستحِلّ، ضرب عنقي، خذ السيف واضرب، أنا مستعد!

بدلاً من الامتثال لطلبي، قال العفريت: هذا جزاء، من يخون، وأمَّا أنت، فأي صورة، أسحرك فيها، أكلب، أم حمار، أم قرد.

ثم، شق الأرض، وطار بي، حتى نظرت إلى الدنيا تحتي، فكأنها، قطعة ماء، ثم، حطَّني على جبل، وأخذ قليلًا من التراب، وهَمْهَمَ عليه، وتكلَّم ورشَّني، وقال: اخرج من هذه الصورة، إلى صورة قرد.

ومضى العفريت، وتركني، ومن ذلك الوقت، صرتُ قردًا، في بلد غير معروف، وصبرت على جور الزمان، وعلمت، أن الزمان، ليس لأحد، ونزلت من أعلى الجبل، إلى أسفله، ووصلت إلى بقعة منبسطة، سافرت فيها، مدة شهر، فانتهى في السير، الى ساحل البحر.

وكان سكونٌ عميق، وبصرت سفينة، على بعد من الشاطئ، طاب ريحها، فاستفدت من الظرف، وكسرت من شجرة، غصنًا كبيرًا، سحبته إلى الشاطئ، وقبضت عليه، وقمت بالتجديف، باتجاه السفينة، وعندما اقتربت بما يكفي، أمسكت بحبل، وصعدت إلى سطح السفينة.

وكان التجار، على متن السفينة، يؤمنون بالخرافات، واعتقدوا، أني أكون، سببًا للمحن، وبما أني لم أستطع الكلام، وجدت نفسي، في خطر.

وقال واحد منهم: أَخرِجوا، هذا المشئوم، من المركب، فهو إذا كان في موضع، تنزع منه البركة.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وقال آخَر: انا اقتله.

انا أطلق سهماً على جسده، قال الثالث.

ثم، دعونا نلقي جثته في البحر، قال الرابع.

ولم يكونوا، ليفشلوا، في تنفيذ تهديداتهم المختلفة، لولا القبطان، الذي عَطَف عليّ، وقال: يا تجار، قد أجرتُ هذا القرد، وهو في جواري، فلا أحد يتعرَّض له، يقع بيني وبينه، العداوة.

ثم، إن القبطان، صار يُحسِن إليَّ، وأريته، كم كنت شاكرا إليه، ولم نزل مسافرين، والمركب قد طاب لها الريح، مدة خمسين يومًا، فرسينا بأمان، في ميناء، مدينة تجارية، جيدة البناء، مكتظة بالسكان.

وتم الاحاطة بسفينتنا، بعدد كبير، من القوارب الصغيرة، المليئة بالناس، الذين جاءوا، لتهنئة أصدقائهم، على وصولهم، أو للحصول، على معلومات، عن ما رأي في البلد، الذي جيء منه، وجاء البعض، لمجرد الفضول، ولرؤية السفينة، التي وصلت، من مسافة بعيدة.

ومن بين العداد، صعد بعض رسل الملك، وطلبوا، باسم السلطان، التحدث، إلى التجار، الذين كانوا معنا.

السلطان، قال أحدهم للتجار، يهنِّئكم بالسلامة، ويطَلب، من كل واحد منكم، أن يتحمل عناء، كتابة بضعة أسطر، على لفة الورق هذه.

وشدَّتْ صافية قميصها، بشريط لاعب، ولتفهمي دافعه هذا، يا سيدتي، يجب أن أبلغك، أن الملك، كان له وزيرا، إلى جانب اقتداره الواسع، في إدارة الشؤون، كتب بأجمل أسلوب، وقد مات هذا الوزير، وابتلي السلطان، بخسارته، ولأن السلطان، يقدر الكفاءة في الكتابة، فوق كل شيء، فقد أقسم، على تعيين وزيرًا، الشخص، الذي يكتب، مثل الوزير.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وقدم الكثيرون، نماذجاً، عن قدراتهم، لكن، لم يجد الملك، أيا، يستحق، اِسْتحْواذ مكان الوزير.

وكتب كل من التجار، الذين اعتقدوا، أنهم يستطيعون، الكتابة بشكل جيد، بما يكفي، للطمح، بهذه الكرامة العالية، ما يعتقد، أنه مناسب، وعندما أتم التجار، فعل ذلك، تقدمت، وأخذت الورقة، من يديّ، الذي يحملها، فصرخ الجميع، وخاصة التجار الذين كتبوا، في قلق، معتقدين، أني أقصد، إما تلفها، أو رميها في الماء، لكن، سرعان ما وضّح، عندما رأوني، أمسك الورقة بشكل صحيح، أني، أرغب أيضًا، في الكتابة.

وتحولت مخاوفهم، إلى دهشة، ومع ذلك، ونظرًا، لأنهم لم يروا قط، قردًا، يمكنه الكتابة، ولأنهم لم يصدقوا، أنني كنت أكثر مهارة، من الحيوانات الأخرى، من جنسي، فقد رغبوا، في أخذ اللفة من يديّ، وقالوا: ما رأينا، قرداً كاتبا!

دعوه يكتب، قال القبطان، الذي أخذ جانبي، إذا قام فقط، بتلطيخ الورقة، أعد، بأنني سأعاقبه، على الفور، وإني، ما رأيت قردًا، أفهم منه.

وأخذتُ القلم، ولم أترك الكتابة، حتى أعطيت مثالًا، لستة أنواع مختلفة، من الأحرف المستخدمة، في مملكة العرب، واحتوت كل عينة، على مقطع شعر، من أربعة أسطر، وعندما انتهيت، أخذ الرسل اللفة، وحملوها، إلى السلطان.

فلما تأمَّلَ الملكُ الخط، لم يعجبه خطٌّ أحدٍ، إلا خطي، فقال للرسل: توجَّهوا، إلى صاحب هذا الخط، وألبسوه هذه الحلة، وأركبوه، أفضل حصان، من إسطبلي، وأحضروه، بين يديّ.

فلما سمع الرسل، كلامَ الملك، تبسَّموا، فأثار هذا السلوك، غضب الملك، ولكان عاقبهم، لو لم يقولوا: نناشد جلالتكم، أن تعفوا عنا، هذه الكلمات، لم يكتبها رجل، بل كتبها، قرد.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وبدا هذا الأمر، للملك، عُجاباً، ورغب، في رؤيتي، فقال: افعلوا، ما آمركم به، وأحضروا، هذا القرد، المميز.

فسار الرسل، إلى المركب، وأظهروا، أمرهم للقبطان، الذي قال: السلطان، وما تمناه.

وأخذوني من القبطان، وألبسوني الحلة، وحملوني إلى الشاطئ، حيث وضعوني على حصان، واندهشت الخلائق، فصاروا يتفرجون عليّ، وأحضرني الرسل إلى السلطان، الذي كان ينتظرني في قصره، فانحنيت أدبا، فتعجَّبَ الحاضرون، من أخلاقي، ثم، إن الملك، أمَرَ الخلقَ بالانصراف، فانصرفوا، ولم يَبْقَ، إلا الملك، وخادمان، وأنا.

ثم، أمر الملك، بطعام، فقدَّموا، سفرةَ طعامٍ، فيها، ما تشتهي الأنفس، وتلذُّ الأعين، فأشار إليَّ الملك، أن آكل، فقمتُ، وجلست آكل معه، وارتفعت السفرة، فذهبتُ، وغسلتُ يديَّ، وأخذت الدواة والقلم والقرطاس، وكتبت، هذين البيتين:

إن اتقاء المرض المخوف
أفضل من علاجه الموصوف
فنظف الطعام والشرابا
والجسم والمكان والثيابا
كذلك الحدائق الغناء
وكل مجرى كل فيه الماء
فإنها حمالة للداء
تقذفه في داخل لأحشاء
ولا تشربن لبناً أو ماءً
حتى تزيل النار منه الداء
وخذ من البقول والفواكه
والخضر ما تهواه غير واله

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وأقلل اللحوم والمغلظا
فهل تحب أن تكون في لظى

ثم، قمتُ وجلست بعيدًا، فنظر الملك، إلى ما كتبته، وقرأه، فتعجَّب، وقال: هل يكون، عند قرد، هذه الفصاحة، وهذا الخط؟

ثم، قدم للملك، شطرنج، فقال الملك: أتلعب؟

قلتُ برأسي: نعم.

فتقدَّمت، وصففت الشطرنج، ولعبت معه مرتين، فغلبته، فحار الملك، وقال: لو كان هذا آدميًّا، لَفاق، أهل زمانه.

كل هذا، تجاوز، ما رآه، أو سمعه السلطان، عن القردة، فقال للخادم، امضِ الى سيدتك، حَلآوَة الجَمَال، وقل لها: كلِّمي الملك، حتى تحضر، فتتفرج، على هذا الشيء الغريب.

فذهب الخادم، وعاد، ومعه سيدته، إبنة الملك، فلما نظرت إليّ، جذبت حجابها، وقالت: يا أبي، أذهبت غيرتك، كيف طاب عليك، أن ترسل إليّ، فيراني، الرجال الدخلاء.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قال الملك: يا ابنتي، ما عندي، سوى الخادمان، اللذان ربَّايك، وهذا القرد، وأنا أبوك، فممَّن، تتحجبين؟

قالت الاميرة: إن هذا القرد، أو بالأحرى، المخلوق، الذي تراه هنالك، تحت هذا الشكل، ليس قردًا، ولكنه، أمير شاب، ابن ملك عظيم، وهو مسحور، سحره عفريت، ابن، ابنة إبليس، بعد أن قتل بقسوة، أميرة الزغاوة.

فاندهش الملك، من حديث ابنته، ونظر إليَّ، وقال: أحقٌّ، ما تقول عنك؟

فقلت برأسي: نعم.

ومن أين عرفتِ، أن الأمير، قد تحول إلى قرد، عن طريق السحر؟ قال الملك، لابنته.

يا أبتي، كان عندي، وأنا صغيرة، عجوزٌ، ماهرة في السحر، علَّمتني صناعته، وقد حفظته وأتقنته، وعرفت، مائة وسبعين بابًا، من أبوابه،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

تمكنني، أن أتسبب بنقل عاصمتك، إلى وسط المحيط، كلا، خلف جبل قاف، ومن خلال هذا العلم، أعرف الأشخاص، الذين سحروا، حال أراهم، ليس فقط من هم، ولكن من أيضًا، سحرهم، أجابت الأميرة.

ابنتي العزيزة! هتف السلطان، وفيك هذه الفضيلة ولم أعلم بها! وهل يمكنك أن تخلِّصيه، أجعله وزيري، وامنحك، زوجة له، هذا شاب، لبيب.

فقالت له: حبًّا، وكرامة.

ثم، إن إبنة الملك، أخذت بيدها، سكينًا، مكتوبًا عليها، أسماء، بالخط الكوفي، وخطَّتْ بها دائرة، كتبَتْ فيها، أسماء وطلاسم، ووضعت نفسها، في وسط الدائرة، وقرأَتْ كلامًا، لا يُفهَم، وأظلمت الدنيا، وإذا بالعفريت، وهو في صورة أسد.

يا كلب، كيف تجرؤ، بدلاً من أن تتذلل أمامي، أن تقدم نفسك، في هذا الشكل البشع، أتأمل إخافتي؟ قالت الاميرة.

قال العفريت: يا خائنة، غدرتي، وخنتي اليمين؟ أَمَا تحالفنا، أن لا يتعرَّض، أحدٌ للآخر؟

يا لعين، انت لك، عندي يمين؟ قالت الاميرة.

قال العفريت: فخذي، ما جاءك.

وعند قوله هذا، فتح الأسد، فكيه المروعين، وهجم على الصبية، لالتهامها.

متيقّظة، عادت الاميرة إلى الوراء، وامتلكت فقط الوقت، لأخذ شعرة من رأسها، هزتها بيدها، ونطقت كلمتين، أو ثلاث، فصارت الشعرة، سيفًا حادا، قطعت به الأسد، فصار نصفين.

واختفى الأسد، وبقي رأسه، وتحول العفريت، إلى عقرب كبير، فاتخذت الأميرة، شكل حية عظيمة، وبدأت قتالًا شرسًا، مع العقرب، الذي وجد

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

نفسه، في خطر الهزيمة، فتحول إلى نسر، وطار بعيدًا، فانقلبت الحية، عقابًا، أسودا وأكثر قوة، وتبعت النسر، وفقدنا أثرهم، لبعض الوقت.

وبعد فترة وجيزة، من اختفائهم، انشقت الارض أمامنا، وطلع منها، قطا ابلقا (فيه سواد وبياض)، نخر (مد الصوت في أنفه) وصرخ، وتبعه عن كثب، ذئب أسود، لم يمنحه أي راحة، فتشاحنا، وتقاتَلَا، قتالًا شديدًا، فرأى القط، نفسه مغلوبًا، فانقلب، وصار رمانة حمراء، بدأت في الانتفاخ، وأصبح كبيرة، فانكسرت، وانتثر حبُّها، كلُّ حبة وحدها، وامتلأت أرض القصر، حبًّا.

في غضون ذلك، حول الذئب، نفسه إلى ديك، وانقض، على حب الرمان، وبدأ في أسرع وقت ممكن، يلتقط، ويبتلع، ذلك الحب، حتى لا يترك منه، حبة.

وعندما أكل الديك، كل ما أبصر، أتى إلينا، وأجنحته ممتدة، وصرخ بصوت عال، كأنه يسألنا، إذا كان هناك المزيد، من حب الرمان.

ورأى الديك، الحبة، التي تدارت، في جانب الفسقية (حوض من رخام، في وسطه، نافورة ماء) ففرح، وانقضّ عليها، ليلتقطها، وهمّ ان يلتقط حبة الرمان، وإذا بالحبة، سقطت في الماء، الذي في الفسقية، فصارت سمكة، وغاصت في الماء.

وتوجه الديك، إلى الفسقية، وانقلب رمحا، ونزل خلف السمكة، ولم نعرف، ما أصبح منهما، وبعد فترة وجيزة، إذا بنا، قد سمعنا صراخًا عاليًا، وبعد ذلك، طلع العفريت والأميرة، وهما شعلتا نار، وأطلقا النيران، على بعضهم البعض، بأنفاسهم.

وانسحب الجني، فما شعرنا، إلا والعفريت، قد صار عندنا، ونفخ في وجوهنا، بالنار، فركضت الاميرة، لمساعدتنا، وأجبرته، على التراجع.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وأصابنا شررُه، فلحقني منه، شرارة في عيني، فأتلفتها، وأنا في صورة القرد، ولحق الملك، شرارة منه، في وجهه، فأحرقت نصفه، ووقعت شرارة، في صدر، أحد الخدم، فاحترق، ومات من وقته، وساعته.

فبينما نحن كذلك، وإذا بقائل يقول: الله أكبر، الله أكبر، قد فتح ربي ونصر، وخذل، مَن كفر.

وإذا بالقائل، إبنة الملك، قد أحرقت العفريت، فنظرنا إليه، فرأيناه، قد صار كوم رماد، ثم، اقتربت منا الأميرة، وطلبت طاسة ماء، على الفور، فأحضرها الخادم، الذي لم تصبه النيران، فأخذتها الأميرة، وتكلَّمَتْ عليها، بكلامٍ لم نفهمه، ثم، رشَّتني ببعض الماء، وقالت: اخلص، إلى صورتك الأولى.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وبالكاد أتمت كلامها، صرتُ بشرًا، كما كنتُ أولًا، إلا أنني، فقدت عينًا واحدة، وكنت أستعد، لشكر الأميرة، لكنها، لم تمنحني الوقت، وتحولت، إلى والدها السلطان، وقالت:

سيدي، لقد حققت النصر، على الجني، كما ترى جلالتك، لكنه، انتصار، كلفني غاليا، لم يتبقَ لي، سوى لحظات معدودة، أعيشها، ولن يتحقق، الزواج المنشود.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

في هذه المعركة الشديدة، اخترقت النار جسدي، وأشعر، أنها ستستنزفني، قريبًا، ولم يكن هذا ليحدث، لو كنت قد أدركت، آخر حبة رمان، عندما كنت على شكل ديك، وابتلعتها، فلو لقطتُها، لَمَات من ساعته، وعلى هذا، اعتمد نجاح القتال، وهذا الإغفال، أجبرني على اللجوء إلى النار، والقتال، بهذا السلاح القوي، بين السماء والأرض، كما رأيتني أفعل، وقلَّ، من فُتِح عليه، بابُ النار، ونجا منه، وإنما، ساعدتني عليه الحظوظ، حتى أحرقتُه قبلي، وها أنا ميتة، والله، خليفتي عليكم.

عندما أنهت الأميرة، حسابها، عن المعركة، أجاب السلطان، بلهجة، أظهرت مدى اضطرابه: واه، يا ابنتي! الخادم، مات، والأمير، الذي أنقذته من السحر، فقد عينه! وترين، يا ابنتي، الحالة، التي صار فيها والدك!

ولم يعد، بإمكان الملك، قول المزيد، فدموعه وبكائه، أوقفا كلامه، وتأثرت أنا وابنته، واختلطت دموعنا بدموعه، وتركناها، تعبر عن الحزن والأسى، وصرخت الأميرة فجأة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

ونظرنا إليها، فرأيناها، كوم رماد، هذا المشهد، الكئيب، فتمنيتُ، لو كنتُ مكانها، ولا أرى محسني، يهلك، بهذه الطريقة، ذلك الوجه المليح، الذي عمل فيَّ، هذا المعروف، يصيرُ، رمادًا؟!

فلما رأى الملك، ابنته، صارت كوم رماد، استسلم لليأس، ونطق، بأكثر الكلمات، رثاءً:

بكاؤكُما يشْفي وإن كان لا يُجْدي
فجُودا فقد أوْدَى نَظيركُمًا عندي
كأني ما استمتعتُ منك بِضَمَّةٍ
ولا شمَّةٍ في مَلْعبٍ لك أو مَهْدِ
كأني ما اسْتَمْتَعتُ منك بنظْرة
ولا قُبْلةٍ أحْلَى مَذَاقاً من الشَّهْدِ

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

يا كَوكَباً ما كانَ أَقصَرَ عُمرَهُ
وَكَذاكَ عُمرُ كَواكِبِ الأَسحارِ
كَأَنَّ قَلبي قبره وَكَأَنَّهُ
في طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الأَسرارِ

وأغمي على الملك، وخشيت، أن يخسر حياته، مصاب حسرته، وصرخت!

فأتى الخدام، فرأوا السلطان، بحال العدم، ووجدوا صعوبة، في إعادته إلى الوعي، فلما أفاق، أخبرهم، بما جرى لابنته، حَلاَوَة الجَمَال، مع العفريت، ونظروا، كوما رماد، فعظمت مصيبتهم، وصرخت النساء، وعملوا العزاء!

وحزن السلطان، لفقدان ابنته، وتسبب ذلك، في مرض، ألزمه السرير شهرًا، ولم يتعافى تمامًا، عندما طلبني، وقال: يا أيها الأمير، اسمع، ما أقول لك، وأقْبَل، على الأمر، الذي سأعطيك إياه، ولا تخالفه، فتهلك.

قلت: قل يا مولاي، فاني، لا اخالف لك، أمراً.

يا فتى، قد قضينا زماننا، في أهنأ عيش، آمنين من نوائب الزمان، حتى جئتنا، فأقبلَتْ علينا الأكدارُ، وصرنا، في حالة العدم، فأولًا، عدمت ابنتي، التي كانت تساوي، مائة رجل، وثانيًا، جرى لي، من الحريق، ما جرى، ومات خادمي.

والحمد لله، حيث خلَّصتْك ابنتي، وأهلكت نفسها، فاخرج يا ولدي، من بلدي، وكفى ما جرى، فاخرج بسلام، قال لي، الملك.

فخرجت يا سيدتي، من عند الملك، وخطر على قلبي ما جرى، وتأسفت على وفاة أميرة كانم، وحَلاَوَة الجَمَال، وأما رماد العفريت، فإنهم ذروه في الهواء سحقا، ودخلت الحمام، قبل أن أخرج من المدينة، وحلقتُ، ثم سافرتُ الأقطارَ، ووردت الأمصار، وقصدت دار السلام، بغداد، لعلي أتوصَّل إلى أمير المؤمنين، أخبره بما جرى لي، أستحق مساعدته، فوصلتُ

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

إلى بغداد هذه الليلة، فوجدتُ هذا الأول، واقفًا متحيّرًا، فقلتُ: السلام عليك.

وتحدَّثت معه، وإذا بهذا الثالث، قد أقبل علينا، وقال: السلام عليكم، أنا رجل غريب.

فقلنا: ونحن غريبان، وقد وصلنا هذه الليلة.

فمشينا نحن الثلاثة، وما فينا أحد، يعرف حكايةَ أحدٍ، فساقتنا الحظوظ، إلى هذا الباب، ودخلنا عليكم، وهذا سبب حلق ذقني، وتلَفِ عيني.

قالت زبيدة: إنَّ حكايتك، غريبة، وآذن لك، بالاِنصراف.

ولكن، بدلاً من الرحيل، ناشدها الغريب الثاني، أن تتكرّم بالجميل، الذي منحته، للغريب الاول، وأخذ مكانه، بالقرب منه، وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت، عن الحديث المباح.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلربّ شهوة ساعةٍ، أو حكاية: عجيب، ابن ملك البجا

وفي الغد، قالت لُبَابَة: بلغني، أيها الملك السعيد، أن الغريب الثالث، علم أنه دوره في الكلام، فتقدَّمَ، ووجه خطابه، مثل الآخرين، إلى زبيدة، وبدأ قصته، كما يلي:

أيتها السيدة الجَديرة بالاحْتِرام، أنا أدعى عجيب، ابن ملك البجا، الملك خصيب، وكان والدي، عظيم الشأن، قوي السلطان، ومات، واستحوذت على العرش من بعده، وشَيّدت مقر إقامتي، في نفس المدينة، التي كان جعل والدي، عاصمته.

والمدينة، تقع على ساحل البحر، ولها ميناء حَسَن آمن، واسع بما يكفي، لتجهيز خمسين سفينة تجارية، والعديد من زوارق الاستِجمام، وترسانة، كافية لتسليح، مئة وخمسين سفينة حرب، راقدة مستعدة، للخدمة.

وتألفت مملكتي، من العديد من المقاطعات الجميلة، وعدد من الجزر الكبيرة على مقربة من عاصمتي، وأول شيء فعلته، هو دخول المقاطعات، ومن ثم، جهزت أسطولي، وجلت الجزر، وحكمت وعدلت، وأحسنت للرعية، وتأكدت من ولائها، وتحققت واجبها.

وهذه الرحلات، منحتني معرفة طفيفة بالملاحة، والبحر متسع، فأردت الاستكشاف، ولهذا، قمت بتجهيز عشر سفن، وانطلقت مرة أخرى، وأبحرنا.

وسافرنا أربعين يومًا، في أمان، ما بها لساكنيها، مفزعة، وفي الليلة الحادي والأربعين، هبَّتْ علينا رياح عنيفة، ذٰلِكَ، أنها كانت تدفعنا، فكنا تحت رحمة العاصفة، وتلاطمت الامواج، واعتقدنا، انا كدنا نهلك، ولا زالت،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

إلى أن لاح الفجر، فهدأت الرياح، وخفّت العاصفة، وتفرقت الغيوم، وسكن البحر، وأشرقت الشمس.

وَصُروفُ الدَهرِ في إطباقِها
خلقَةٌ فيها إرتِفاعٌ وَانحِدارُ
وإِنَّما نِعمَةُ دُنيا مُتعَةٌ
وَحياةُ المَرءِ ثَوبٌ مُستَعارُ

ثم، إنا أشرفنا على جزيرة، وطلعنا البر، حيث بقينا يومين، لجمع المؤن، وبعد أن فعلنا ذلك، أبحرنا مرة أخرى، وسافرنا عشرين يومًا، فاختلفَتْ علينا المياه، فأملنا أن نرى يابِسَة، فقلنا للناظور: انظر البحر، بتأمُّل.

فطلع الناظور الصَّارِي (عَمُودٌ يُرَكَّزُ فِي وَسَطِ السَّفِينَةِ، يُشَدُّ عَلَيْهِ الشِّرَاعُ)، ونظر، ثم نزل ذلك الناظور، وقال: إلى اليمين واليسار، لم أستطع نظر، سوى السماء والبحر، ونظرت أمامي، فرأيت سمكًا، على وجه الماء، ونظرت إلى وسط البحر، فرأيت سوادًا من بعيدٍ، يلوح تارةً أسوداً، وتارةً أبيضاً.

فلما سمع القبطان، كلام الناظور، ضرب سطح السفينة بعمامته، ولم يطل، وأشار: حسنا سيدي، نحن هالكون! لن يسلم منَّا أحد، من الخطر الذي يهددنا، ألا أن خبرتي، قد انتهت!

قلنا: أيها القبطان، اشرح لنا، القصة!

قال القبطان: يا سيدي، اعلم أننا تهنا، يوم هاجت علينا الرياح، ولم نَزَلْ تائهين، منذ تلك الليلة، وليس لنا، ريح يُرجِعنا، وفي غدٍ، نصل إلى جبل من حجر أسود، يُسمَّى حجر المغناطيس، وتجرُّنا المياه، غصبًا إلى جهته، فتتمزَّق المركب، لأن الله، وضع في حجر المغناطيس سرًّا، وهو، أن جميع الحديد، يذهب إليه.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وتابع القبطان: ويا سيدي، هذا الجبل، شديد الانحدار، وعلى قمته، توجد قبة كبيرة، مصنوعة من النحاس الأصفر الاندلسي، معقودة على عشرة أعمدة، وفوق القبة، فارس على فرس من نحاس، معلَّق في صدر الفارس، لوح من رصاص، منقوش عليه، أسماء وطلاسم، وما الخلاص، إلا إذا وقع هذا الفارس، من فوق تلك الفرس.

وبدأ كلّ يفكر، في الوسائل الممكنة، للنجاة، ووصى كل منا صاحبه، احتمالا، أن يسلم.

وكَم يَكونُ الشِتاءُ ثُمَّ المَصيفُ
وَرَبيعٌ يَمضي وَيَأتي الخَريفُ
وَاِنتِقالٌ مِنَ الحَرورِ إِلى الظِل
لِ وَسَهمُ الرَدى عَلَيكَ مُنيفُ
يا عَليلَ البَقاءِ في هَذِهِ الدُن
يا إِلى كَم يَغُرُّكَ التَسويفُ (الْمُمَاطَلَةِ فِي أَدَاءِ دَيْنٍ أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ)

ولم ننم تلك الليلة، فلما كان الصباح، قربنا من ذلك الجبل، الذي تراءى لنا، أكثر رعباً ووعورة، مما كان عليه، بسبب الفكرة، التي ركبناها عنه.

وعند الظهيرة تقريبا، وجدنا أنفسنا، بالقرب منه، لدرجة أننا بدأنا اختبار، ما أَنْبَأْنَا به القبطان: انفتحت، وفرَّتِ المسامير، وكل قطعة حديد، طلبت الجبل، واصطدمت، بضوضاء مروعة، وآخر النهار، تفسخت المراكب، فمنَّا مَن غرق، ومنَّا مَن سلم، ولكن، أكثرنا غرق، والذين سلموا، لم يعلموا، ببعضهم بعضا.

وأما أنا يا سيدتي، فطلعت، وتشبثت بلوح من الألواح، دفعته الرياح، إلى سفح الجبل، فنجَّاني الله تعالى، ولم أتعرض، لأذى. وكان من حسن حظي، أن أصبْتُ طريقًا، متطرقًا إلى أعلاه، على هيئة سلالم، منقورة في الجبل، ولم يكن عن يمينها أو يسارها، أدنى أرض، بإمكاني، أن أضع قدمي، عليها.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، إني سميت الله، وطلعت الجبل، قليلا قليلا، وكان الطريق ضيقًا، شديد الانحدار، صعبا، ولو كانت الرياح شديدة، لأطاحتني في البحر. وأخيرًا، وصلت إلى القمة سالمًا، دون أي حادث، ولم يكن لي إلا القبة، فدخلتها، وسجدت شكرًا لله على سلامتي، ثم، إني نمتُ.

وعندما استيقظت، وجدت قوسًا من نحاس، وثلاثة أسهم من رصاص، منقوشًا عليها طلاسم، فأخذت القوس والنشابات، ورميت الفارس الذي على القبة، فوقع الفارس، مع السهم الثالث، في البحر، فهاج البحر وعلا،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

حتى ساوى الجبل، الذي أنا عليه، وكنت أعرف العوم، فعمت ذلك اليوم إلى الليل، حتى كَلَّتْ سواعدي، وتعبت أكتافي، واستسلمت إلى الغرق، فهبت رياح عظيمة، وهاج البحر، وجاءت موجة عظيمة كالجبل، فحملتني وقذفتني قذفةً، صرت بها، فوق البر، فطلعت البر، وعصرت ثيابي، ونشفتها على الأرض، وبِتُّ.

فلما أصبحت، وبمجرد، أن جففت الشمس ثيابي، ارتديتها، وبدأت أتجول على الشاطئ، محاولًا اكتشاف، اين انا، فوجدت ملاذي، جزيرة صغيرة، تحتوي على أنواع عديدة، من أشجار الفاكهة، والبحر محيط بها، فقلت: لا حول ولا قوّة، الاّ بالله، العليّ العظيم.

هَل تَرَى النِّعْمَةَ دَامَتْ
لِصَغيرٍ أَوْ كَبيرِ
أَوْ تَرَى أَمْرَيْنِ جَاءَا
أَوَّلاً مِثْلَ أَخيرِ
إِنَّما تَجْرِي التَصَاري
فُ بِتَقليبِ الأُمُورِ
فَفَقيرٌ مِن غَنِيٍّ
وَغَنِيٌّ مِن فَقيرِ

بعد ذلك بوقت قصير، نظرت من بعيد مركبًا، فيه ناس، بَدَا، وكأنه قاصدا الجزيرة، التي كنت فيها، ولأنني، لم أكن أعرف، أي نوع من الأشخاص، قد يكونون، أأصدقاء، أم أعداء، قررت، عدم إظهار نفسي، وقمتُ، وصعدت على شجرة كثيفة الأوراق، حيث، يمكنني فحص الوافدين الجدد، بأمان، وتسترت، بورقها.

وإذا بالمركب، قد قرب البر، وطلع منه عشرة عبيد، في أيديهم مجارف، وأدوات أخرى، لحفر الأرض، فمشوا حتى وصلوا إلى وسط الجزيرة، حيث رأيتهم توقفوا، وحفروا الأرض، وكشفوا عن طابق خفي، وفتحوا بابه، وعادوا فورا إلى المركب، ونقلوا منه، خبزًا ودقيقًا، وسمنًا وعسلًا وأغنامًا،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وجميع ما يحتاج إليه الساكن، وصار العبيد، متردّدين بين المركب، وباب الطابق، إلى أن نقلوا، جميعَ ما في المركب.

ورأيتهم، يذهبون مرة أخرى، إلى المركب، ويعودون، وفي وسطهم شيخ كبير، و

سَلني أُنَبِّئكَ بِآياتِ الكِبَر
نَومُ العِشاءِ وَسُعالٌ بِالسَحَرْ (قبيل الفجر)
وَقِلَّةُ النَومِ إِذا اللَيلُ اِعتَكَرْ (اشتد سواده)
وَقِلَّةُ الطُعمِ إِذا الزادُ حَضَرْ
وَسُرعَةُ الطَرفِ (أطبق أحد الجَفْنَين على الآخر) وَتَحميجُ (فتح عينيه وحدد النظر) النَظَرْ
وَتَركُكَ الحَسناءَ من قبل الظهرْ (قبل أَن تظهر)
وَحَذَرًا أَزْدَادُهُ إلى حَذَرْ
وَالناسُ يَبلَونَ كَما يَبلى الشَجَر

وبين يدي الشيخ، شاب، قد أُفرِغ في قالب الجمال، وأُلبِس من الحُسْن، حلةَ الكمال، حتى إنه، يُضرَب بحسنه الأمثال، وهو كالقضيب الرطب، يسحر كلَّ قلب بجماله، ويسلب كل لب، بكماله، فلم يزالوا يا سيدتي، سائرين، حتى أتوا الطابق، ونزلوا فيه، وعندما خرجوا، ردوا التراب كما كان، وعادوا إلى حيث يقع مركبهم، وسافروا في المركب، ولاحظت، أن الشاب، لم يكن معهم، وخلصت، إلى أنهم تركوه، في المسكن، الذي تحت الارض.

عندما وجدت السفينة بعيدة، لدرجة، أن الطاقم، لن يتمكن من إبصاري، قمتُ ونزلت من فوق الشجرة، ومشيت إلى المكان، الذي رأيت فيه الرجال، يحفرون الأرض، ونبشتُ الترابَ ونقلته، وصبَّرت نفسي، حتى أزلتُ جميعَ التراب، فانكشف الطابق، وفتحت بابه، فإذا هو خشب، مقدار حجر الطاحون، فبانَ من تحته، سلم معقود من حجر، ونزلت في السلم، حتى انتهيت إلى آخره، فوجدت بنياناً نظيفاً، مفروشا بأنواع الفرش، والبسط والحرير، والصبي جالس، على مرتبة عالية، متكئ على مخدة، وفي يده

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

مروحة، وين يديه فاكهة، ومشموم (كُلٌّ مَا يُدْرَكُ بِالشَّمِّ) ورياحين (كل نبات طيب الرائحة)، وهو وحده، في البيت المذكور.

فلما رآني الشاب، دهش وتغير لونه، فقلت عند دخولي، لتثبيته: أيا كنت، لا تخف شيئًا. ملكٌ، وابن ملك، ليس لدي أي نية، لأذيتك، بلّ، على العكس، فما قصتك، وما حكايتك، حتى سكنت تحت الأرض؟

شجع هذا الخطاب الشاب، وطلب مني، الجلوس بقربه، وبمجرد أن امتثلت لدعوته، قال: أيها الأمير، والدي صائغ، ومن خلال صنعته ومهارته، جمع ثروة كبيرة، وله تجار، يسافرون له في المراكب، بالتجارات، وله معاملات، مع الملوك.

وكان قد تزوج والدي، لفترة طويلة، دون أن ينجب، أية أطفال، وبعد ذلك، أبلغته والدتي أنها حبلى، وعلى وشك منحه وريثًا، فأرَّخ والدي تاريخ حبلها، وانقضت أياما، فولدتني والدتي، ففرح والدي، وأولم الولائم، وأطعم الفقراء والمساكين، لكونه رزقني في آخر عمره، ثم، انه رباني، وأحسن تربيتي.

ومن عشرة أيام، جاء ابي خبرٌ، ان فارسا من نحاس، وقع في بحر الهلكات، فاستشار المنجمين، فقالوا له: ولدك، عليه مخاطر، ويموت بعد خمسين يوماً، وان سلم منها، عاش زماناً طويلا.

فاغتم ابي، غما شديدا، وخاف عليَّ من الموت، وصار مثل المجنون، فبنى لي، هذا البيت تحت الأرض، ونقل اليه، ما احتاج اليه، وقد مضت من الخمسين يوماً، عشرة أيام، وبقي عليّ من القطوع، أربعون يوم، فنقلني الى هذا المكان، ووعد، عند انتهاء ذلك الوقت، أن يرجع ويأخذني، وهذا كله، خوفا علي، وهذه قصتي، وسبب وحدتي، وعزلتي.

فلما سمعت قصته، قلت في نفسي:

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

خَوَّفني مُنَجِّمٌ أَخو خَبَل
تَراجُعَ المَريخ في بُرجِ الحَمَل
فَقُلتُ دَعني مِن أَكاذيبِ الحِيَل
فالمُشتَري عِندي سَواءٌ وَزُحَل
أَدفَعُ عَنّي كُلَّ آفاتِ الدُوَل
بِخالِقي وَرازِقي عزَّ وَجَل

ثم، قلت للشاب: كُفيت الردى، ووقيت الأذى، ضع ثقتك في الله، ولا تخف شيئًا. وجلست احدثه الى الليل، فقمت واوقدت شمعة كبيرة، واشعلت القناديل، وجلسنا، بعد ان مددنا شيئا من الأكل، فأكلنا، وقمت مددت شيئاً من الحلوى، فتحلينا، وجلسنا نحدث بعضنا، حتى ذهب من الليل، أكثره، فنام، فغطيته، وقمت انا، فنمت.

فلما أصبحنا، أكلنا، ثم اكلنا شيئاً من الحلوى، ولعبنا، الى الليل، فقمت اوقدت المصابيح، وقدمت شيئاً من الأكل، وقعدت احدثه، الى ان بقي شي قليل من الليل، فنام، وغطيته، ونمت.

ولم ازل يا سيدتي، اياماً وليالٍ، فلما كان يوم، جاء الصبي، واختار بطيخة، وقام على عجل، واخذ سكينا، ومسكها من نصلها، ورجع الى الخلف، فعثرت رجله، وتبطش، فانغرزت السكين في قلب الصبي، فمات من ساعته.

واهٍ يا سيدتي، قد انكسر خاطري، واشير اليه، ولا لي لسان، انطق به، وقمت، وخرجت من السلم، ورددت التراب، موضعه.

ومع انتهاء الأربعين يوماً، نظرت الى البحر، فرأيت مركبا يشقه، طالبا البر، فخفت وقلت: الساعة يصلون، ويصيبون ولدهم مقتولا، فيجدون أني قاتله، ولن يقتنعوا أبدًا ببراءتي، فيقتلوني، لا محالة.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فعمدت الى شجرة عالية، وطلعتها، واستترت بأوراقها، فما استقررت فوق الشجرة، الا وقد خرج العبيد، وطلع معهم الشيخ الكبير، ابو الصبي، وجاءوا الى موضع المسكن، وازالوا التراب، ووجدوا الصبي، والسكين، مغروزة في صدره، وعند هذا المشهد، صرخوا صرخات مرة، وكئيبة!

هل هذا صحيح!؟ انا الذي عملت، هذا كله، لقد بحثت عن مصيبتي، وجلبت قرار نفسي، والهم لقلبي، كما قال الشاعر:

يهذي المنّجمُ في أحكامه أبداً
ومَن يصدِّقهُ في الحكم يُشبههُ

قالها الشيخ، وبكى، ومن ثم، غشي عليه، فوضعه العبيد، عند سفح الشجرة، التي كنت فيها.

هذا كله، وانا في الشجرة فوق رؤوسهم، انظر ما يجري، وقد شاب قلبي، قبل ان يشيب رأسي، بما قاسيت من الهموم والاحزان، وانشدت أقول:

وَكَم يُسرٍ أَتى مِن بَعدِ عُسرٍ
فَفَرَّجَ كُرْبَةَ القَلْبِ الشَجيّ
وَكَم أَمرٍ تُساءُ بِهِ صَباحاً
وَتَأتيكَ المَسَرَّةُ بِالعَشيّ
إِذا ضاقَت بِكَ الأَحوالُ يَوماً
فَثِق بِالواحِدِ الفَردِ العَلِيّ
وَكَم لِلّهِ مِن لُطفٍ خَفيٍّ
يَدِقُّ خَفاهُ عَن فَهمِ الذَكيّ
وَلا تَجزَع إِذا ما نابَ خَطبٌ
فَكَم لِلّهِ مِن لُطفٍ خَفيّ

فيا سيدتي، لم يزل الشيخ، في غشوته، الى ان قرب الغروب، ثم، استفاق ونظر الى ولده، وانشد:

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ما كان أحسننا والدار تجمعنا
ونحن في غبطة والعيش متصلٌ
القلب من فرقة الاحباب منصدع
وان دمعي من الآماق ينهملٌ
فليتني ما كنت انظرهم ابدا
ما حيلتي سادتي ضاقت بي السبلٌ
انشدته ولسان الحال يسبقني
يا ليت يا ولدي لم يأتك الاجلٌ
ابوك اضحى به شوقٌ اليك وإذ
حل الممات بكم ضاقت بي الحيلٌ
كيف السبيل الى لقياك من عجل
نفديك يا ولدي بالروح لو قبلوا

ثم، ان العبيد، دفنوا الصبي، وذهبوا الى المركب، وطلع الشيخ خلفهم، وأرخوا قلع (شراع) المركب، فغابوا عن عيني. ونزلت من فوق الشجرة، وكنت في النهار، اطوف في الجزيرة وبالليل، انزل الى القاعة، واقمت على ذلك، شهرا.

وبعد تلك المدة، وانا انظر الى طرف الجزيرة، التي من ناحية الغرب، لمست، أن الجزيرة تبدو أكبر، وأدركت، أن البحر انحجب، فقمت وخضت ما بقي من البحر، وخرجت، الى البر الأصيل.

ومشيت على الرمال، حتى وصلت إلى أرض أكثر صلابة، والبحر، على مسافة كبيرة خلفي، وإذا انا، بنار تلوح من بعيد، وهي تشتعل اشتعالا قويا، ففرحت كثيرا، وقلت: لابد أن لهذه النار، من أوقدها، فلعلي، أجد عندها، فرجا.

ثم، إني قصدت النار، فلما قربت اليها، رأيت قصراً مصفحاً، بالنحاس الأحمر، فلما اشرقت عليه الشمس، اضاء، وصار يرى من بعيد، كأنه نارا، فجلست لأريح نفسي، فلم يستقرّ بي الجلوس، حتى اقبل عشرة شباب،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

لابسين الاثواب المفتخرة، ومعهم شيخ كبير، الا ان الشباب، عور، بالعين اليمنى.

لقد تعجبت من التقاء، في وقت واحد، بالعديد من الأشخاص العور، واتفاقهم في عورهم، فلما رأوني، وكنت أتكهن، لأي غرض، أو بأي حادث، اجتمعوا، سلموا عليّ، وسألوني عن حالي، وقصتي.

فحكيت لهم، ما جرى لي، منذ اللحظة، التي غادرت فيها مملكتي، حتى الحاضر. عندما أنهيت قصتي، ناشدوني، أن آتي القصر معهم، فقبلت، فأخذوني وأدخلوني إلى القصر، وبعد المرور عبر مجموعة من الصالات والغرف، كلها مفروشة، بشكل جيد، جئنا إلى غرفة كبيرة، حيث كان، عشرة تخوت، موضوعة في دائرة، وكل تخت، فراشه ولحافه ازرق، وفي وسط تلك التخوت، تخت صغير، أقل ارتفاعا، وهو مثلها، كل ما عليه، ازرق.

فلما دخلنا، قام الشيخ، الى ذلك التخت الصغير، الذي في وسط التخوت، وصعد كل شاب تخته، وقال لي أحد الشبان: يا رجل، اجلس على السجادة، في وسط هذه الغرفة، وكن راضياً، ولا تسعى إلى التطَفّل، ولا تسأل عن احوالنا، ولا عن عور اعيننا.

ولم يبق الرجل العجوز، جالسا طويلا، فقام وخرج، وسرعان ما عاد، حاملاً معه، لكل واحد طعاماً في اناء، وشراباً في اناء، وقدم لي كذلك، فأكلت وأكلوا، ثم بعد ذلك، جلسنا نتحدث، الى ان ذهب أكثر الليل، فقال الشباب: ايها الشيخ، قد حان الوقت.

فقام الشيخ، ودخل الى مخدع (حَجَرَةٌ صَغيرَةٌ دَاخِلَ الغُرْفَةِ الكَبِيرَةِ) في القصر، وغاب وعاد، وعلى رأسه عشرة أطباق، كل واحد، مغطى بغطاء ازرق، فقدم لكل شاب طبقاً، ثم، اوقد عشر شموع، وغرز على كل طبق شمعة، ثم، كشف الاغطية، فبان من تحتها، في الاطباق، رماد، ودقّ فحم، وسواد القدر.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فشمر الجميع عن سواعدهم، وبكوا، وانتحبوا، وسخموا (سَوَّدوا) وجوههم بالسواد، والرماد الذي في الاطباق، وخبطوا (ضربوا) اثوابهم، ولطموا وجوههم، ودقوا على صدورهم، وصاروا يقولون:

فتجنَّبْ الشهوات واحذر
أن تكونَ لها قتيلا
فلربّ شهوة ساعةٍ
قد أورثَتْ حُزناً طويلا

ولم يزالوا على مثل هذا، الى قرب الصباح، فقام الشيخ، وسخن لهم ماء، فقام الشباب، وتغسلوا، ولبسوا اثواباً، غير أثوابهم.

فلما رأيت ذلك يا سيدتي، ذهل عقلي، وحار فكري، واشتغل سري، ونسيت ما جرى لي، ولم أستطع السكوت، دون أنى كلمتهم، وسألتهم، وقلت لهم: اي شيء اوجب هذا، وأنتم بحمد الله تعالى، فيكم عقل تام، وهذه الأفعال، لا يفعلها، غير المجانين، فأسألكم، بأعز الاشياء عليكم، الا ما قلتم لي خبركم، وسبب قلع اعينكم، وسخامة وجوهكم بالرماد والسواد.

فالتفتوا، وقالوا لي: يا فتى، لا يغرَّك شبابك، واعدل، عن سؤالك.

ثم، قاموا، وقمت معهم، وفي قلبي لهيب، ونار لا تطفئ، من انشغالي بفعلهم، وقدم الشيخ، شيئاً من المأكول، وبعد ما اكلنا ورفعت الاواني، جلسوا يتحدثون، الى ان اقبل الليل، فقام الشيخ، واوقد الشموع والقناديل، وقدم لنا الاكل والشرب، فلما فرغنا، قعدنا للمحادثة والمنادمة، الى نصف الليل، فقال الشباب للشيخ: ايها الشيخ، قد حان الوقت.

فقام الشيخ، واتى بالأطباق، وفيها الرمل الاسود، ففعلوا مثل ما فعلوا، اول ليلة وانا قاعد عندهم، على هذا الحال، مدة شهر، وهم كل ليلة، يسخمون وجوههم بالرماد، ثم يغسلونها، ويغيرون اثوابهم، وانا اتعجب من ذلك، وازداد وسواسي، بحيث إني امتنعت من الاكل والشرب، فقلت

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

لهم: ايها الفتيان، ان لم تزيلوا همي، وتخبروني عن سبب تسخيم وجوهكم، تركتكم.

قالوا: كتمان سرنا، أصلح.

فبقيت متحيرا في امرهم، وانا امتنع من الاكل والشرب، فقلت لهم: لا بد ان تخبروني، ما سبب ذلك.

قالوا: يا فتى، ما كتمنا هذا عنك، الا لإشفاقنا عليك، وتجنيبك معاناة، أن تصير اعورا مثلنا.

قلت: لا بد من ذلك، والا، دعوني اسافر، وأستريح من نظري هذه الأحوال، والمثل يقول، عين لا تنظر، قلب، لا يحزن.

قالوا: يا فتى، نحن نصحناك، وهذا، فيه مشقة عليك.

ثم، عمدوا الى كبش، ذبحوه وسلخوه، وقالوا: خذ هذا السكين، وادخل هذا الجلد، ونحن نخيطه عليك، فانه يأتيك طير اسمه الرخ، فيرفعك، ويحطك على جبل، فشق الجلد، واخرج منه، فيخاف منك الطير، فيروح ويخليك، فامشِ نصف نهار، تلقَ أمامك قصر غريب الصفة، فادخل فيه، وقد بلغت مناك، فدخولنا الى القصر، هو سبب سخامة وجوهنا، وقلع عيوننا، واما نحن، إذا حكينا لك، يطول شرحنا، فان كل واحد منا، جرت له حكاية، في قلع عينه اليمنى.

ثم، إنهم فعلوا بي، ما قالوا، وحملني الطير، وحطني على الجبل، فخرجت من الجلد، ومشيت حتى دخلت القصر، وإذا فيه اربعون جارية، كالأقمار، فلما رأيتني، قلن جميعاً: اهلا وسهلا بك، ومرحباً.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، انهن اجلسنني، واتينني بطعام، فأكلت أنا واياهن، ثم، قُمْنَ ففرشن حصيرة، ووضعن حولها من المشموم (كُلٌّ مَا يُدْرَكُ بِالشَّمِّ) والفواكه، واشياء كثيرة، واخذت الجواري عودا، وغنين عليه، فدخل عليّ الفرح، وقلن لي: ربما لن نلتقي مرة أخرى، وانت الأصل، وأنت السبب، أولديك حكم نفسك؟

فتعجبت، وقلت لهن: ما الخبر؟

قلن: اننا نحن، بنات ملوك، ونحن مجتمعات هنا، مدة سنين، نغيب اربعين يوماً، ونقعد سنة، نأكل ونشرب، ونلذُّ ونطرب، ثم نغيب، وهذا دأبنا، ونخشى إنك تخالفنا، بعد ان نغيب عنك، فيما نأمرك به، فها نحن، نسلمك مفاتيح القصر، وفيه اربعون بابا، فانت تفتح هذه التسعة والثلاثين باباً، والحذر، ان تفتح الباب الاربعين، فتفارقنا.

قلت لهن: لا افتحه، ابداً.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وبعد ان قضينا سنة الوداع، خرجن وطرن، وهم يشيرون اليّ بالايادي، ويوصوني، فقعدت في القصر وحدي، ولما قرب المساء، فتحت الباب الأول، ودخلته، فوجدت بستاناً، اشجاره مخضرمة، وثماره يانعة، واطياره صادحة، ومياهه متدفقة، فارتاح بها خاطري، وتمشيت بين الأشجار، وشمت روائح الازهار، وسمعت غناء الاطيار، وهي تسبح الواحد القهار، ورأيت لون التفاح، بين احمرار واصفرار، ثم نظرت الى السفرجل (القصاص)، واستروحت (تشمَّم) عَرْفه (ريح) الذَري، رائحة المسك والعنبر، ثم نظرت الى البرقوق (الخَوْخ)، يروق العين حسنه، كأنه ياقوت مخلوق، ثم خرجت من ذلك المكان، وأغلقت الباب، كما كان.

ولما كان الغد، فتحت بابا آخر، ودخلت، فوجدت ميداناً كبيرا، وفيه نخل كبير، ونهر جار، واشجار الورد والياسمين، والمردقوش (نبات عطري) والنسرين، والنرجس والمنثور، مفروشة بحافته، وقد هبت الرياح على تلك الرياحين، فانتشر ذلك الطيب، يمينا وشمالاً، وحصل لي من ذلك، الحبور التام، ثم خرجت من ذلك المكان، واغلقت الباب، كما كان.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ثم، فتحت باباً ثالثاً، فرأيت فيه، قاعة كبيرة، مفروشة بالرخام الملّون، والمعادن الثمينة، والاحجار الفاخرة، وفيها اقفاص من الصندل (جنس نباتات، تزرع لأخشابها الفاخرة، الطَّيِّبة الرَّائحة) والعود، فيها طيور تغني، مثل الهزار والمطوَّق والشحرور، والقمريّ والنوبي المغرد، فطاب قلبي من ذلك، وانفرج همي، ونمت في ذلك المكان، الى الصباح.

ثم، فتحت باب رابعا، فوجدت، اربعون خزانة، مفتحة الأبواب، فدخلت فيها، فرأيت من اللؤلؤ والياقوت، والزبرجد والزمرد، والجواهر النفيسة، ما لا يوصف بلسان، فاندهش عقلي من ذلك، وقلت: هذه الأشياء، اظن، انها لا توجد، في خزانة ملك من الملوك.

ولم ازل اتنقل، من موضع الى موضع، حتى مضى، تسعة وثلاثون يوماً، وقد فتحت في هذه المدة، الأبواب كلها، الا الباب، التي منعنني، عن فتحه، فلم أجد صبرا، فقمت الى الباب المذكور، وفتحته.

ودخلت، فوجدت رائحة ذكية، لم استروح مثلها، ثم رأيت، الارض مفروشة بالزعفران، وقناديل من ذهب، ومشمومات، يضوع (طابت وانتشرت) نشر المسك والعنبر منها، وهي تتقد نورا، ورأيت، مبخرتين عظيمتين، كل واحدة منهما، مملؤة من العود والعنبر، وقد تعطر المكان من عرفهما، ونظرت يا سيدتي، جوادا أدهم، كسواد الليل إذا أظلم، وأمامه معلف من البلور الابيض، فيه سمسم مقشور، ومعلف آخر مثله، فيه ماء ورد مُمَسَّك، والجواد مشدود ملجم، وسرجه من الذهب الأحمر.

فلما رأيته، تعجبت وأخرجته، وثم ركبته، فلم يبرح من مكانه، فرفسته فلم يتحرك، فأخذت المقرعة (خشبة يُضرب بها)، وضربته بها، فلما أحس بالضربة، صهل صراخاً، بصوت كالرعد القاصف، وفتح له جناحين، فطار بي، وغاب عن الابصار، في جو السماء ساعة، ثم حطني على سطح، وأنزلني، وضربني بذيله على وجهي، فقلع عيني اليمنى، وذهب عني.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وهكذا صرت أعورا متألمًا، مما ابتغيت من مشقة وعذاب، ونزلت من على السطح، وجئت إلى غرفة كبيرة، حيث كان، عشرة تخوت، موضوعة في دائرة، وكل تخت، فراشه ولحافه ازرق، وفي وسط تلك التخوت، تخت صغير، أقل ارتفاعا، وهو مثلها، كل ما عليه، ازرق، فأدركت على الفور، أن القصر، هو قصر العشرة شباب، العور.

وجلست، ولم يكن الشبان العشرة في القصر، فلم يستقر بي الجلوس، حتى رأيت الشباب، والشيخ بينهم، ولم يبدوا مندهشين من رؤيتي، ولا من أني، فقدت عيني اليمنى، وقالوا: لا يمكننا تهنئتك على عودتك، وإنك تعلم، أننا لم نكن، سبب مشقتك.

سيكون من الخطأ، اتهامكم بذلك، أجبت، لقد أحْدثت هذا الأمر، والخطأ، يقع عليّ وحدي، ولقد نصحتموني، فما انتصحت.

ان كان في صبرك على المصاب، قالوا، معرفة، أن آخرين، حدث لهم، ما حدث لك، فكل واحد منا، أصابه ما أصابك، وكان في انعم عيش، وألذ نعم، فما قدر أن يصبر، وها نحن ترانا، نبكي على ما جرى، و

بَينَما الناس على علياِئها
إذ هَوَوْا في هُوّة مِنها فَغارُوا

فدعوت الله تعالى، وإنّا لله، وإنّا إليهِ رَاجعُون، وخرجت أقصد بغداد، أتوصل الى من يساعدني، وأشار إليّ الشباب، الطريق الذي أتبعه، فحلقت، وطفت في بلاد الله، وكتب الله لي السلامة، حتى وصات الى بغداد، في مساء هذه الليلة، فوجدت هذين الاثنين واقفين، حائرين، فسلمت عليهما وقلت: انا غريب.

قالوا: ونحن ايضاً غريبان.

واتفق لنا، نحن الثلاثة، اننا عور من اليمين، وهذا يا سيدتي، سبب حلق لحيتي، وقلع عيني.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

عندما انتهى الغريب الثالث، من تلاوة قصته، قالت زبيدة: لك الحرية، في الذهاب، إلى أي مكان، تريد.

العفو سيدتي، قال الغريب الثالث، اسمع مغامرات هؤلاء الضيوف، الذين، لم يتحدثوا بعد.

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت، عن الحديث المباح.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

إلاَّ عداوةَ، من عَادَاكَ، عن حَسَدِ، أو حكاية: زبيدة، وعبدة النار

وفي الغد، قالت لُبَابَة: بلغني، أيها الملك السعيد، أن زبيدة استدارت الى الناحية، التي جلس فيها، الخليفة، والوزير جعفر، ومسرور، وكانت لا تزال، تجهل هويتهم الحقيقية، وقالت: احكوا لي، خبركم.

جعفر، الذي كان دائمًا على استعداد، للكلام، تقَدَّمَ، وأجاب زبيدة على الفور: طاعَةً، يا سيدتي، وحكى جعفر، الحكاية التي قالها لصافية، عند دخولهم، وهذا، سيدتي، ما أوجب، إطاعة أوامرك.

بعد الاستماع إلى هذه الرواية، بدت زبيدة مترددة، بشأن ما يجب، أن تقول، ولاحظ الغرباء الثلاثة، ترددها، فالتمسوا، نفس اللطف، لتجار قرية الشيخ مؤنس: إنْ عفوتِ، يعفُ الله عنكِ، بعفوكِ عن رجال مسلمين، لم يُؤَذُّوا، وننصرف عنكم بجميل.

حسنا، قالت زبيدة، بنبرة تشير، إلى أنها تريد، أن تطاع، ولكن بشرط، أن تخرجوا جميعًا، من هذا المسكن، الآن.

فخرج الخليفة، والوزير ومسرور، والغرباء الثلاثة والحمّال، الى أن صاروا في الزقاق، ومدينة وصاحبها، فاضت انهارها، وتدنت اطيارها، كأنها جنة مزخرفة، وأغلق الباب، خلفهم.

أنتم غرباء، وصلتم للتو، إلى هذه المدينة، ما الذي تنوون فعله، والفجر لم يحن بعد، قال الخليفة.

أجابوا: هذا ما يحرجنا، وما ندري، أين نحن، ذاهبون.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

سيروا وبيتوا عندنا، قال لهم الخليفة.

وبعد أن أَتَمّ هذه الكلمات، تحدث الخليفة، إلى الوزير جعفر، وقال: خذهم إلى بيتك، ثم همس: وصباح الغد، احضرهم لي، أريد كتابة مغامراتهم، إنهم يستحقون، مكانًا، في سجلات عهدي.

فامتثَلَ جعفر، ما أمره به، الخليفة، وأخذ الغرباء الثلاثة، إلى منزله، وذهب الحمال، وعاد الخليفة، برفقة مسرور، إلى قصره.

ثم، إن الخليفة، لم يأخذه النوم، لقلق قلبه وفكره، بما جرى للغرباء، وكيف كانوا أولاد ملوك، وأصبحوا على ما صاروا اليه، واشتغل سره، بزبيدة وجلدها الكلبين، وصافية الأخرى، المضروبة بالسياط، وأطال الصباح حتَّى بدا، فنهض الخليفة، وذهب إلى قاعة المجلس، ودخل عليه الوزير جعفر، فقال الخليفة: اذهب، وائتني بالثلاث سيدات، وأحضر، الغرباء معك.

فنهض جعفر الوزير، وخرج إلى منزل السيدات، وأبلغهن بأدب، الأوامر التي تلقاها، بإيصالهنّ إلى الخليفة، ولم يشر، إلى أحداث الليلة السابقة، فغطت الصبايا، أنفسهن بحجابهن، وذَهِبْنَ مع الوزير، الذي، عندما مر بباب منزله، دعا الغرباء الثلاثة، وأحضرهم جميعًا، بين يديّ، الخليفة.

لما جلست زبيدة، وصافية وأمينة، استدار الخليفة نحوهن، وقال: قدمت نفسي لكم، الليلة الماضية، متنكراً في زي تاجر، فها أنا أعرفكن، أنتن بين يدي الخليفة الخامس من بني العباس، هارون الرشيد، وكنَّ مطمئنات، فقد تقدم احسانكن، واكرامكن لنا، وسأتذكر دائمًا الاعتدال، الذي تصرفتن به، بعد الفظاظة التي ارتكبناها، وقد طلبت منكن الحضور، لمعرفة سبب إساءة معاملة الكلبين والبكاء، وسبب ندوب، السيدة المضروبة، بالسياط.

فلما سمعت الصبايا، كلام الملك، وطمأنته وتشجيعه اياهن، تقدَّمَتِ زبيدة، وقالت: أمير المؤمنين، القصة التي سأرويها لجلالتك، هي عجب، عبرة لمن اعتبر، نصيحة لمن انتصح.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

الكلبان السود وأنا ثلاث أخوات، ولدنا من نفس الأم والأب، وسأخبركم، في سياق قصتي، بأي حادث غريب تحولت شقيقتيّ إلى كلاب.

السيدتان اللتان حاضرتان هنا، واللتان تعيشان معي، هما أختاي، من نفس الأب، ولكن، من أم أخرى، التي عليها أثر الضرب تدعى صافية، والأخرى تدعى أمينة، وأنا زبيدة.

بعد وفاة والدنا، تقاسمنا الميراث، وذهبت شقيقتاي لأبي، للبقاء مع والدتهما، وبقيت أنا وأُخْتَاي الآخرتان، مع والدتنا، التي كانت لا تزال على قيد الحياة، فمرت علينا أياما، فماتت والدتنا، وخلفت لنا، ثلاثة الاف دينار، فأخذت كل بنت ميراثها، ألف دينار، وتجهَّزَتْ أختاي، وكنت أنا أصغرهن سنًّا، وتزوَّجت كل واحدة برجل، وذهبتا للعيش مع أزواجهما، وتركاني، وحدي.

بعد فترة وجيزة من زواجهما، باع زوج أختي الكبرى، جميع ممتلكاته، وبالمال الذي جناه، ومع ما تلقاه من أختي، ذهب كلاهما، إلى سفالة.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

هنالك، بدد زوج أختي، ببهجة وفجور، ليس فقط جميع ثروته، ولكن أيضًا، جميع ما لأختي، وبعد أن تحول إلى الضائقة والبؤس،

فَغضب الزوج عَلَيها وَوَثب
بِالسوط وَاِشتاطَ وَقالَ في الغَضَب
جَزاؤكَ الطلاق عَن ذا الفعل
فَلَست لي مِن بَعد ذا باهل

وطردها وطلقها، وتنصل منها. فغابَت خمس سنين، وعادت إلى بغداد، بعد أن عانت من شرور، لا يمكن تصورها، خلال هذه الرحلة الطويلة، وجاءت في حالة بائسة، تستحق الشفقة، حتى من أكثر القلوب غلظةً، فاستقبلتها في المحبة، التي يجب أن تُنْتَظر مني، وسألتها: ما هذه الحال، وكيف أصبحت بائسة، في مثل هذا!؟

السلوك السيئ، وقد جرى، والمعاملة غير الجديرة، التي تعرضت لها من زوجها، أبلغتني، والدموع في عينيها، فتأثرت بمصائبها، وبكيت معها،

ولو أننا كنا رجالاً وكنتم
نساءً لكنا لا نقر بذا الفعل
وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساءً لا تعاب من الكحل
ودونكم طيب العروس فإنما
خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فبعداً وسحقاً للذي ليس دافعاً
ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

ثم، يا أمير المؤمنين، أخذتها، وادخلتها الحمام، وأعطيتها من ملابسي الخاصة، وقلت لها: اختي أنت، والإرث الذي نابني، قد جعل الله فيه البركة، وأنا وأنت سواء.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فمكثنا في نفس المنزل، لعدة أشهر، في وئام تام، وتحدثنا غالبًا، عن أختنا الثالثة، وما خبرها، وراعنا عدم سماع أي شيء عنها، فما كان، الا وجاءت في حالة سيئة، ومظهره بائس، مما عاملها زوجها، وبالمثل الذي أظهرته لأختي الكبرى، استقبلتها، وأحسنتُ إليها.

فمكثتا عندي مدة سنة كاملة، وصار لهما مال، من مالي، فقالتا: إن الزواج خير لنا، وليس لنا، صبر عنه.

فقلت: يا أُخْتَاي، لم تَرَيَا، في الزواج خيرًا، وإن الرجل الجيد، قليل في هذا الزمان، وقد جرَّبتما الزواج.

كل ما قلت، كان عديم الفائدة، فقد اتخذتا قرار الزواج، ولم تلتفتا الى كلامي، فزوجتهما من مالي، وسترتهما.

ويا سيدي، مضتا مع زوجَيْهما، فأقامتا مدة يسيرة، فلعب عليهما زوجاهما، وأخذَا، ما كان معهما، وتركاهما، فجاءتا عندي، وهما عاريتين، واعتذرتا، وقالتَا: لا تؤاخذينا، فأنت أصغر منَّا سنًّا، وأكمل عقلًا، وما بقينا نذكر الأزواج أبدًا، فاتخذينا جواري عندك، نأكل، لقمتنا.

فقلت: مرحبًا بكما يا أُخْتَاي، ما عندي، أعز منكما.

ثم، أقبلت عليهما، وزِدتهما إكرامًا، وأقمنا على هذه الحالة، سنة كاملة، وأنا كل يوم، يزداد مالي، ويتسع حالي، و

أَرى الناسَ في الدُنيا مُعافاً وَمُبتَلى
وَمازالَ حُكمُ اللَهِ في الأَرضِ مُرسَلا
وَلَم يَبغِ إِلّا أَن نَبوءَ بِفَضلِهِ
عَلَينا وَإِلّا أَن نَتوبَ فَيَقبَلا
وَما خَلَقَ الإِنسانُ إِلّا لِغايَةٍ
وَلَم يَترُكِ الإِنسانَ في الأَرضِ مُهمَلا

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

كَفى عِبرَةً أَنّي وَأَنَّكَ يا أَخي
نُسَرَّفُ تَصريفاً لَطيفاً وَنُبتَلى

وعزمت على القيام بتجارة، فوضعت خطة، وذهبت مع شقيقتيّ إلى البصرة، وجهزت مركبًا كبيرة، حملت فيها، البضائع والمتاجر، التي أحضرتها معي من بغداد، وما أحتاج إليه في المركب، وقلت: يا أختَاي، هل لكما أن تقعدا في المنزل، حتى أسافر وأرجع، أو تأتيا معي؟

قالتا: نسافر معك، فإنَّا، لا نطيق، فراقك.

فأخذتهما وسافرنا، وكنتُ قسمت مالي نصفين، فأخذتُ النصف، وخبَّأتُ النصفَ الثاني، وقلت: ربما يصيب المركب شيء، فإذا رجعنا، نجد شيئًا، ينفعنا.

وأبحرنا من البصرة، برياح مُؤَاتِيَة، وسرعان ما وصلنا، ساحل أوال، ورأيت بعد جزيرة أوال، جزائر كثيرة، فإلى جزيرة هنجام، ومنها أحضرنا الماء، ثم، وجبال سود، ذاهبة في الهواء، لا نبات عليها، ولا حيوان، يحيط بها مياه من البحر، عظم قعرها، وأمواج متلاطمة، تجزع منها النفوس، إذا أشرفت عليها، وهذه المواضع من بلاد عمان، لا بد للمراكب، من الجواز عليها، والدخول في وسطها، فتخطئ وتصيب، فطاب لنا الريح، وخرجنا إلى عرض البحر، وأخذنا الطريق، إلى مملكة المهراج.

ولم نزل مسافرين، أيامًا وليالي، فتاهت بنا المركب، وغفل الربان، عن الطريق، ودخلت المركب، بحرًا غير البحر الذي نريده، ولم نعلم بذلك مدة، وطاب لنا الريح عشر أيام، فلاحت لنا مدينة على بُعْدٍ، فقلنا للربان: ما اسم هذه المدينة، التي أشرفنا عليها؟

قال الربان: لا أعلم، ولا رأيتها قط، ولا سلكت عمري هذا البحر، ولكن، جاء الأمر بسلامة، فما بقي إلا أن تدخلوا هذه المدينة، وتُخرِجوا بضائعكم، فإن

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

حصل لكم بيع، فبيعوا، وتصرَّفوا فيها، وإن لم يحصل لكم بيع، نرتاح يومين، ونتزوَّد، ونسافر.

ففرحت ونزلت من السفينة، وأتيت بوابة المدينة، فرأيت عددا كبيرا من الحراس، في أيديهم عصيّ، بلا حراك، فشعرت بالخوف من مَظهَرهم، وبعد أن اقتربت منهم، أدركت، أنهم متحجرون.

ثم، دخلت المدينة، ومررت في عدة شوارع، ولاحظت فيها، رجالًا مثل التماثيل، وقد تحولوا إلى حجر، وطفت في حَيّ التجار، ووجدت معظم المتاجر مغلقة، وفي تلك التي كانت مفتوحة، رأيت رجالا متحجرين، والبضائع باقية، والذهب والفضة، باقيين على حالهما، فخلصت، إلى أن جميع السكان، تبدلوا إلى حجر.

وانتهيت الى صدر المدينة، فرأيت في ساحة كبيرة، قلعة محكمة، باباها القائمان، مصفحان بالذهب، ومفتوحان، ولم أشك بعد التفكير لبعض الوقت، أنه لا بد أن يكون هاهنا، قصر الأمير، الذي ساد هذا البلد، فدخلت من الباب، لعلي أقابل، شخصا ما.

وزادت دهشتي، عندما رأيت بستانًا، وثانيًا وثالثًا، إلى تمام تسعة وثلاثين، وكل بستان، أرى فيه، ما يكلُّ عنه الوصفُ، من أشجارٍ وأنهارٍ، وأثمارٍ وذخائر، ومما زاد من دهشتي، الحراس، وكثير من الناس، البعض في خروج، والبعض الآخر في قدوم، ومع ذلك، فقد ظلوا جميعًا في مكانهم، حيث تحولوا أيضًا إلى حجر، وساد صمت، رهيب.

بعد تقدمي إلى باحَة، رأيت أمامي، مبنى جميلًا، تعريشه من الذهب، فدخلته، فوجدت قاعة كبيرة، لم أجد فيها أحدا، ثم، دخلت قاعة مزخرفة، في حيطانها ستائر من حرير، ورأيت سيدة، تحولت أيضًا إلى حجر، وعلى رأسها تاج مكلل بأنواع الجواهر، وفي عنقها قلائد وعقود من اللؤلؤ، كل لؤلؤة، كبيرة ومستديرة، مثل الجوز، وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ، باقٍ على حاله، وأدركت أنها الملكة، و

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

قَد يَجمَعُ المالَ غَيرُ آكِلِهِ
وَيَأكُلُ المالَ غَيرُ مَن جَمَعَه
وَيَقطَعُ الثَوبَ غَيرُ لابِسِهِ
وَيَلبِسُ الثَوبَ غَيرُ مَن قَطَعَه
فَاِقبَل مِنَ الدَهرِ ما أَتاكَ بِهِ
مَن قَرَّ عَيناً بَعَيشِهِ نَفَعَه
وَصِل حِبالَ البَعيدِ إِن وَصَلَ ال
حَبلَ وَاِقصِ القَريبَ إِن قَطَعَه
وَلا تُهينَ الفَقيرَ عَلَّكَ أَن
تَركَعَ يَوماً وَالدَهرُ قَد رَفَعَه

ووجدت في غرفة الملكة المتحجرة، يا أمير المؤمنين، سلمًا بسبع درجات، فصعدته، مما قادني عبر العديد من الغرف، ذات الأوصاف المختلفة، إلى غرفة مرخمة، مفروشة بالبسط المذهبة، فيها عرش ضخم، مُعَزَّزا بالزمرد، مكنونًا باللؤلؤ، مرتفع ببضع درجات، وعلى العرش، سرير من المرمر، مرصعًا بالدر والجوهر، ونظرت، نورًا لامعًا، يبدو، من فوق السرير.

ما الذي في هذا المكان؟ ايتها الصبية، ثبّتي أجفانك، قلت في نفسي، فلا بد، أن اكتشف، سبب هذا الضوء.

وصعدت على العرش، فرأيت على ذلك السرير، من أنواع الحرير، ما يحيّر الناظر، فيها ماسة كبيرة، قدر بيضة النعامة، تأخذ البصر، من لمعانها ونورها الساطع، وظللت معجبةً، لبعض الوقت. ولفت انتباهي في هذه القاعة، العديد من الأشياء الأخرى، كوجود مشاعل مضاءة، ولم أستطع أن أفترض، أن هذه المشاعل، يمكن أن تبقي نفسها مضاءة، فقلت في نفسي: لا بد أن أحدًا، أوقد هذه الشموع.

ونظرًا، لأن جميع الأبواب، كانت إما مفتوحة على مصراعيها، أو نصف مغلقة، صرت، حُبّاً في الاستكشاف، أفتش الأماكن، وكانت مليئة بثروات لا حصر لها، فنسيت نفسي، ممَّا أدهشني من التعجُّب من تلك الأحوال

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

واستغرق فكري، إلى أن دخل الليل، فأردت العودة، لكن لم يكن من السهل إيجاد الطريق، وهمت في الغرف، ووجدت نفسي في الغرفة الكبيرة، التي فيها العرش، والسرير والماسة الكبيرة، والمشاعل المضيئة، فعزمت على قضاء الليل هناك، والعودة، إلى سفينتي، في صباح اليوم التالي.

وجلست على السرير، وتغطيت بلحاف، بعد أن قرأت شيئًا من القرآن، وأردت النوم، فلحقني القلق، من التفكير في أنني وحدي، في هذا المكان المهجور، فمنعني هذا النوم، فلما انتصف الليل، سمعت تلاوة القرآن، بصوت حسن رقيق، ففرحت، ونهضت على الفور، وأخذت شعلة، ولم ازل اتبع الصوت، حتى انتهيت، الى مخدع بابه مردود.

ووضعت الشعلة على الأرض، ونظرت من خلال فتحة الباب، فبدا لي، غرفة مخصصة للدين، فيها قناديل معلقة موقدة، وسجادة مفروشة، جالس عليها شاب حسن المنظر، يقرأ بصوت عالٍ، باهتمام كبير، من القرآن الذي كان أمامه، على طاولة صغيرة، فعجبت، وسررت من هذا المنظر، وإنما هذا، يكون له أمر عجيب، فكيف هو سالم، دون أهل المدينة، اعتقدت، جازمة.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فدخلت وسلَّمت عليه، فرفع بصره، ورد عليَّ السلام، فقلت: رأيت المدينة، فلم أجد فرجًا، أفهذا عذاب الدنيا؟ أفقد أَبْقَى ما أَبْقَى، حجارة، ما استبقى؟ ألا تخبرني، سبب هذا؟

قال الشاب: سيدتي الصالحة، من فضلك، أولا أخبريني، ما الذي أوصلك هذا المكان، ومن أنت، وأنا اخبرك من أنا، وبما جرى عليّ وعلى أهل

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

مدينتي، وسبب تحول سكان هذه المدينة، إلى الحالة التي رَأَيْتِها، ولماذا، أنا وحدي، نجوت.

فأخبرته في بضع كلمات، من أين أتيت، وما الذي دفعني للقيام بهذه الرحلة، وكيف، مِن يُمْن الطّالع، وصلت إلى هذا الميناء، بعد عشرين يومًا من الإبحار، وعندما انتهيت، ناشدته أن يفي وعده، وأخبرته كم أخذت بالبئس، الذي لاحظته، في جميع الأماكن، التي مررت بها.

قال الشاب: سيدتي العزيزة، أمهليني.

ثم، طبق المصحف، وأدخله في كيس من الأطلس (حرير)، وأجلسني بجانبه، فنظرت إليه، فإذا هو كالبدر، حسن الأوصاف، لين الأعطاف، بهي المنظر، رشيق القد، أسيل الخدر، زهي الوجنات و

قسماً بجودتهِ وصدق لسانهِ
وبطيب مولدهِ وعالي قدرهِ
ما المسك ان عرفوه إلَّا عَرْفهُ (رائحته)
والريح عنبر نشرها من نشرهِ
وكذلك الشمس المنيرة دونهُ (فوق)
مما حكَّتهُ قلامةٌ (مَا قُطِعَ مِنْ طَرَفِ الظُّفْرِ) من ظُفرهِ
وَغَدَتْ مِنَ الْمَرِّيخِ حُمْرَةُ خَدِّهِ
وَالْقَوْسُ يَرْمِي النَّبْلَ مِنْ جَفْنَيْهِ
وَعُطَارِدُ أَعْطَاهُ فَرْطَ ذَكَائِهِ
وَأَبَى السَهو (الغَفلةُ والذُّهولُ عن الشيء) نَظَرَ الْوُشَاةِ إِلَيْهِ
فَغَدَا الْنَجمُ حَائِرًا مِمَّا رَأَى
وَالْبَدْرُ بَاسَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ

فنظرتُ إليه نظرةً، أعقبتني ألف حسرة، وأوقدَتْ بقلبي كلَّ جمرة، وشعرت بعاطفة غريبة، كانت عليّ، حتى ذلك الحين،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

تقولُ لأترابٍ لَهَا وهي تَمْترى
دموعاً على الخَدَّيْن من شدَّةِ الوَجْدِ
أكُلُّ فَتَاةٍ لا محالةَ نازِلٌ
بها مِثْلُ ما بي أم بُليتُ به وحْدِي
بَرَاني لَهُ حُبٌّ تنشَّبَ في الحَشَا
فلم يَبْقَ من جِسْمِي سِوَى العظمِ والجِلْدِ

وقلت: أيها المحبوب، أيها الشيء، العزيز من روحي، تكلم، أتوسل إليك، أي معجزة، جعلتك أنت وحدك الحيّ، من الكثير الذين ماتوا في الحياة، بهذه الطريقة، غير المألوفة.

سيدتي، لقد جعلتِني أرى، من خلال سؤالك، أن لديك معرفة، بالله الحق. إعلمي، أن هذه المدينة، كانت عاصمةٌ مملكة قوية، ووالدي، كان هو الملك، وكان والدي وجميع أهله وقومه، يعبدون النار، دون الملك الجبار، وكانوا يقسمون بالنار والنور، والظل والحرور، والفلك الذي يدور، متمردين على الله.

وكان أبي، ليس له ولد، فرُزِقَ بي، في آخِر عمره، وعلى الرغم من أن والدي ووالدتي، كانا عابدان النار والأصنام، كانت مربيتي في طفولتي، سيدة مسلمة صالحة، تؤمن بالله ورسوله، حفظت القرآن، وتُوافق أهلي، في الظاهر.

وكان أبي يقدرها، لاتصافها بالأمانة والعفة، وكان يكرمها ويزيد في إكرامها، وكان يعتقد، أنها على دينه، فسلَّمني أبي إليها، وقال: خذيه وربِّيه، وعلِّميه أحوالَ ديننا، وأحسني تربيته، وقومي، بخدمته.

أميري، ألا بحمدالله، كلُ خيرٍ، تعجَّب، من صنع الله، في خلقه، ولا تعبد، سوى الله تعالى، الواحد الْقَهَّار، غالبًا ما كانت تقول لي، وعلَّمتني القرآن، فحفظته، وعلمتني قراءة العربية، وفعلت كل هذا، دون معرفة والدي،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وعلم الجميع، فلما أتممت ذلك، قالت لي: يا ولدي، اكتم هذا الأمر عن أبيك، ولا تُعلِمه به، لئلا، يقتلك.

فكتمته عنه، ولم أزل كاتمًا عن أبي الخبر، حتى ماتت تلك العجوز، بعد أيام قلائل، فازداد أهل المدينة، كفرًا وعتوًّا وضلالًا، فبينما هم، على ما هم فيه، إذ سمعوا مناديًا ينادي، بصوت عالٍ، شبيه بصوت الرعد القاصف، سمعه القريب والبعيد يقول: يا أهل هذه المدينة، ارجعوا عن عبادة النار، واعبدوا الرحمن، الله، الواحد، الملك الجبار.

فحصل عند أهل المدينة فزع، واجتمعوا عند أبي، وهو ملك المدينة، وقالوا له: ما هذا الصوت المزعج، الذي سمعناه، فاندهشنا، من شدَّة هوله؟

فقال والدي: لا يهولنَّكم الصوت، ولا يفزعكم، ولا يردكم، عن دينكم.

فمالت قلوبهم، إلى قول أبي، ولم يزالوا منكبين، على عبادة النار، واستمروا وازدادوا في طغيانهم، إلى مدة سنة، لميعاد ما سمعوا الصوت الأول، فظهر لهم ثانيًا، فسمعوه ثلاث مرات، على ثلاث سنين، في كل سنة مرة، فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه، حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء، بعد طلوع الفجر، فمُسِخوا حجارة سودًا، وكذلك دوابهم وأنعامهم، ولم يسلم من أهل هذه المدينة غيري، ومن يوم جرَتْ هذه الحادثةُ، وأنا على هذه الحالة، في صلاة وصيام وتلاوة قرآن، وقد سئمت من الوحدة، وما عندي، مَن يؤانسني.

هذه الكلمات الأخيرة، أَضْرَمت قلبي، فقلت، وقد ملك فؤادي، وسلب لُبّي وروحي: أيها الأمير، لولا انه من الممكن العيش، في مدينة، هوذا كل شيء تراه، نصبًا للحزن! سفينتي في خدمتك، لإبعادك عن هذا البقعة السوداوية، تذهب معي إلى مدينة بغداد، تنظر العلماء الفقهاء، تزداد علمًا وفقهًا، والتي أمامك، سيدة قومها، وحاكمة على رجال وخدم وغلمان، وسفينتي مشحونة بالمتجر، وفي بغداد، لي مال وممتلكات،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وإني أقدم لك، مَأوىً آمنًا هناك، حتى يمنحك أمير المؤمنين، هارون الرشيد، الذي لا بد أنك سمعت عنه، المساعدة، وتأكد، من أنه بإبلاغه بوصولك، لن يذهب أمرك سدى.

ولم ازل الاطفه، وأحسِّن له التوجُّه، حتى أجابني، وقضينا بقية الليل، نتحدث عن رحلتنا، حتى غلب علينا النوم. فلما أصبح الصباح، نزلنا من القلعة إلى المدينة، حيث وجدنا أختاي، والعبيد والربان، وهم يفتشون عليّ، وفي قلق وجزع شديد على سلامتي، فلما رأوني، فرحوا بي، وسألوني، عن سبب غيابي.

فأخبرتهم بما رأيت، وبما منعني من العودة إلى السفينة، في اليوم السابق، ولقاء الأمير الشاب، وسبب الخراب، الذي ساد المدينة، وخبر الشاب، وقدمت أختاي إلى الأمير، ثم، نزلنا المركب، وأنا بغاية الفرح، وأكثر فرحي، بصحبة هذا الشاب.

وانهمك البحارة، عدة أيام، في إنزال البضائع التي أحضرتها، وشحن ما خفَّ حمله، وغلا ثمنه، من خزائن أبيه، وتركنا ما لا حصر له، فكنا بحاجة إلى عدة سفن، لنقل إلى بغداد، كل الثروات، التي كانت، أمام أعيننا.

وأقمنا ننتظر الريح، بعد أن ملأنا السفينة، بما كنا نرغب في حمله، وبعد أن أخذنا المؤن والمياه، التي اعتقدنا، أننا بحاجة إليها لرحلتنا، وفي الواقع، من الغذاء، بقيت كمية كبيرة، من تلك التي جلبناها من البصرة، وطابت لنا الريح، فنشرنا القلوع، وسافرنا.

في بداية رحلتنا، لم نزل أنا وأختاي والأمير الشاب، في تَحابّ وحوار، نقضي وقتنا معًا كل يوم، فغارت أختاي، من الانسجام الذي استشفّوه، بيني وبين الأمير الشاب، وصارتا في غيظ، وأضمرتا، المكر لي، و

كلُّ العداوةِ قد تُرْجى مَوَدَّتُهَا
إلاَّ عداوةَ من عَادَاكَ عن حَسَدِ
واحذرْ حسودَك ما استطعتَ فإنه

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

إن نِمْتَ عنه فليسَ عنك براقدِ
إن الحسودَ وإن أراكَ توَدُّداً
منه أضرُّ من العدوِّ الحاقدِ
ولَربَّما رَضِيَ العدوُّ إذا رأى
منك الجميلَ فصار غيرَ معاندِ
ورِضا الحسودِ زوالُ نعمتِكَ التي
أُوتِيتَها من طَارفٍ أو تالدِ (عكس طارف، قديم موروث غير مكتسب)

وقعدت أختاي عندنا، وصارتا تتحدثان، فقالتا لي، وقد أكنَّتا الخبث: يا أختنا، ما تصنعين بهذا الشاب الحسن، عندما نصبح، في بغداد؟

وأدركت، أنهم طرحوا هذا السؤال، لاكتشاف مشاعري، وبتحول لطيف، أخبرتهما داعبة: سأتخذه لي، زوجا.

ثم، التفتُّ إلى الأمير، وأقبلتُ عليه، وقلت: قصدي، أن أقول لك شيئًا.

قال الامير: سمعًا وطاعةً.

قلت: أنه، إذا وصلنا الى بغداد، انا أقدم لك نفسي، تكون لي زوجا، واكون لك اهلا.

أجاب الأمير: أعلن أمام أختاكِ، هو، انه إذا وصلنا الى بغداد، الى منزلنا، اكون لك اهلا، وتكوني، لي زوجة.

فلما نظرتا هذا الخطاب، أيها الملك السعيد، تغير لونهما، وقالتَا: نِعْمَ ما فعلتما، وانّا، لا نصدق، مما نحن فيه، من الفرح.

وأضمرتا لي الشرَّ، ولم نزل سائرين، مع اعتدال الريح، حتى خرجنا من بحر الخوف، وجبال كسير وعوير، وثالث ليس فيه خير، ودردور مسندم، المكنى بأبي جهرة، ودخلنا بحر السلام، فسافرنا أيامًا قلائل، إلى أن قربنا من

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

مدينة البصرة، ولاحت لنا أبنيتها، فأدركنا المساء، فبت تلك الليلة، آمل، أن نصل اليوم التالي.

ولكن في الليل، تفرقنا، فبينما الشاب الأمير، وأنا، كنا نائمَين، قامَتْ أختاي، وحملتاني أنا والأمير بفرشنا، ورمتانا في البحر، فأما الشاب، فإنه كان لا يحسن العومَ، فغرق، وأما أنا، فلبرهة خضت في الماء، وسارت المركب، وبقيت انا، وصعدت على قطعة خشب، رزقني بها الله، فركبتها، وضربتني الأمواج، إلى أن شعرت بأرض صلبة تحت قدميّ، فتقدمت بصعوبة، بقدر ما سمح لي الظلام، وسقطتُ، أرضا.

ولاح الصباح، واستيقظت، فوجدت أني، كنت في جزيرة صغيرة مهجورة، وطلعت الشمس، وسرعان ما جفت ملابسي، فسرت، ورأيت أنواعًا عديدة من الفاكهة، وينبوعًا من المياه العذبة، مما أعطاني الأمل، في الحفاظ على حياتي.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

وجلست أستريح في الظل، وإذا أنا بحية، تسعى يميناً وشمالاً، ولسانها قد تدلى، وقد اقبلت نحوي، فنهضت على الفور، فلاحظت خلفها ثعبان، قد قبض ذنبها، يريد هلاكها، وهي هاربة منه، فأخذتني الشفقة، وبدلاً من الفرار، امتلكت الجرأة والشجاعة، فعمدت الى حجر كبير، وألقيتُه على رأس الثعبان، فمات من وقته، فنشرت الحية جناحين، وطارت في الجو، فتعجَّبْتُ من ذلك، وقد تعبت، فنمت في موضعي.

ولك أن تتخيَّل دهشتي، يا أمير المؤمنين، أن أجد بالقرب مني، لما أفقت، فتاة سوداء، مشرقة دافئة، ومعها كلبين، فجلست على الفور، وقلت لها: مَن أنت، وما شأنك؟

قالت الفتاة: أنا التي فعلتِ معي الجميل، وزرعتِ معي المعروف، انا الحية، التي كنت في هذا المكان، وقتلتِ عدوها، منكر الخير، القاسي. إني جنية، وما كافأتك، بأفضل من الفعل، الذي قمت به للتو، فإني وَقَفت على خيانة أختيك، وللثأر لكِ، لما نجيتِني، طرت في الريح، وذهبت إلى المركب التي رماك منها أختاك، ونقلتُ جميعَ ما فيها، إلى بيتك، وأغرقتها، وأما أختاكِ، فإني سحرتهما هذين الكلبين السود، وهذه العقوبة، ليست كافية، وأريدك، أن تعامليهما، بالطريقة التي سأخبرك بها.

بهذه الكلمات، أصبحت الجنية كالطير، وحَمَلَتْنِي أنا والكلبين، وطارت بنا، ثم حَطّت في داري، فرأيتُ جميعَ ما كان في المركب من ثروات، في وسط بيتي، ولم يَضِعْ منه شيء، وسلمتني الجنية، الكلبين.

ذلك من فعل اختيكِ، والحمد لله، وبقي عذاب الآخرة، وهو أشد وأبقى، تحدثت الجنية، على النحو التالي، وقالت، قبل أن تتركني: في عقوبة على الجريمة التي ارتكبتاها أختاك، آمرك، أن كل ليلة، تضربي كلَّ واحدة منهما، مئة سوط، مكافئة على ما فعلوا، وإن خالفتني فيما أقول، جعلتُكِ مثلهما، و

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

سِوَى وَجَعِ الحُسّادِ داوٍ فإنّهُ
إذا حلّ في قَلْبٍ فَلَيسَ يحُولُ
وَلا تَطْمَعَنْ من حاسِدٍ في مَوَدّةٍ
وَإنْ كُنْتَ تُبْديهَا لَهُ وَتُنيلُ
ولا تدن الحسود فذاك عُرّ (الجَرَب)
مضض (على كره) لا يعالج بالهناء
لا تقطعنْ ذنبَ الأفعى وترسلها
إن كنت شهماً فأتبعْ رأْسها الذنبا

وها انا أعاقبهما، كل ليلة، ولا هو باختياري، مضطرة، أن أنفذ أمرها، وكيف؟ وقد توجع خاطري، وإني أشعر بالشفقة، وأعبر بدموعي، عن مدى ألمي، فهذا سبب ضربي الكلبين، وبكائي، وهذه قصتي، وحكايتي.

كُتِبتِ من السالمين، يا سيدتي، قال الرشيد، أمير المؤمنين، ثم قال للصبية الثانية: وأنتِ، ما سبب الضرب، الذي على جسدك؟

وأدرك لُبَابَة الصباح، فسكتت، عن الحديث المباح.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

البيتُ، لا يُبْتَنَى، إلاَّ له، عَمَدٌ، أو حكاية: صافية، والقبلة

وفي الغد، قالت لُبَابَة: بلغني، أيها الملك السعيد، أن صافية قالت:

أمير المؤمنين، حتى لا أكرر ما ذكرته أختي، سأذكر فقط، أنه لما توفي والدي، أخذت والدتي منزلاً، فأقمتُ معها مدة يسيرة، وبعد، أعطتني للزواج، مع المِلك الذي تركه لي والدي، لواحد من أغنى الرجال، في هذه المدينة، وأسعد أهل زمانه.

واقمت معه مدة سنة، في أرغد عيش، ثم مات زوجي، فأصبحت أرملة (التي مات زوجها)، وورثت منه، ثمانين ألف دينار، بمقتضى ما خصني، بالفريضة الشرعية، وكان هذا المبلغ كافياً، لأقضي بَقِيَّة حياتي، بِاتِّساع، وراحة.

وبمرور أشهر من حزني، والى يوم من الأيام، طلبت صنع عشرة فساتين مختلفة، كانت عظيمة الجمال، حتّى أن كلا منها، كلفني ألف دينار، وبدأت في ارتدائها، ولم أزل، فلما أنا جالسة في بيتي، في صباح يوم من الأيام، إذ قيل لي: مولاتي، إن سيدة متقدمة في العمر، لم أَرَها عمري، حضرت الى المنزل، وتطلب التحدث إليكِ.

فنظرت الى روحي، ورغبت في دخولها، فلما دخلت، سلَّمت علي وقالت: سيدتي الطيبة، عذرا للمجيء وإزعاجك، لكن، الثقة التي لدي، في بِرّك وإحسانك، منحتني هذه الجرأة.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

سيدتي الفاضلة، اعلمي، أن لدي ابنة يتيمة، ستتزوج اليوم، وإننا غرباء، لا نعرف أحدا في هذه المدينة، نشعر بالقسوة، وهذا يسبب لنا قلقا، وارتباكا، وحضوركم لنا شرف، ونحن بذلك نعترف، فان غبتم، فلا عوضٌ لنا عنكم، ولا خلفٌ، وأنا قصدي لك الأجر والثواب، فاحضري عرسها، تكوني جبرتي خاطرها، ليس لها، إلا الله تعالى، ثم، بكت.

السيدة المسكينة! أخذتني الرحمة، ورقّ قلبي عليها، فقلت: والدتي الطيبة، لا تحزني، أخبريني، أين يجب أن أذهب، أحليها بحللي، ومصاغي.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ففرحت السيدة العجوز، غاية الفرح، من هذه الإجابة، وقالت: جبرتي قلبي، وأين أسلك! لا بد، أن يُملأ قلبك بالرضا، كما ملأت، قلوبنا، سيدتي، ما تكلفي نفسك، عناء حفظ المنزل، يكفي، أن تأتي معي في المساء، جهّزي نفسك، فإني وقت العشاء، أجيء، وآخذك، وداعاً يا سيدتي، حتى أتشرف، برؤيتك مجدداً.

بمجرد أن تركتني، قمت وهيَّأت نفسي، فلبست الإزار (نوع من اللباس الداخلي، من سرة البطن، إلى مستوى الركبتين) والصدار (لباس داخلي، اتخذته النساء، يغطي صدر المرأة، ومنكبيها)، ورداء طويل متسع، له فتحة عند الرقبة، على هيئة السبعة، وسرحت شعري، فكورته خلف رأسي، وضفائر على جنبيّ عنقي، وغطيت رأسي ببرنس (غِطاء للرأس) من الحرير، مطعم بالجواهر، وشرعت بنظم الأساور، والخواتم والأقراط، وبقية الحلى والمصاغ، وتعطرت بالنرجس والسوسن، وارتديت الجلباب، ما أعلم ما خُبئ لي في الغيب، وإذا بالعجوز قد أقبلت فرحة، وقالت: يا سيدتي، يا فرحتي، هم بانتظارك، متطلعين حضورك، جَاءَتْنا الحظوظ، قومي، انا دار الافراح، تزيل الاتراح، ابدا بسط وانشراح، قومي سيدتي العزيزة، أنا مستعدة، لإرشادك.

فنهضت، وانطلقنا على الفور، ومشت العجوز أمامي لتريني الدرب، حتى أتينا، إلى طريق واسع، تم كنسه، وأَصابه رَشٌ (المطر القليل)، وهبَّ فيه النسيم، ورَاقَ، فتوقفنا عند بوابة، مقنطرة بقبة من الرخام، عليها من الزهور آس، وشقائق النعمان، وأقاح (جمع أقْحُوانٌ)، وعلى الباب قنديل، نوره جعلني أقرأ، هذا النقش:

البيتٌ لا يُبْتَنَى إلاَّ له عَمَدٌ
ولا عِمادَ إذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ
فَإن تَجَمَّعَ أَوتادٌ وَأَعمِدَةٌ
وساكنٌ بَلَغوا الأمرَ الذي كادوا

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلما وصلنا إلى الباب، طرقته السيدة العجوز، ففُتِح لنا، ودخلنا، فوجدنا دهليزًا مفروشًا ببسط حرير، معلقة فيه شموع، مرصوصة صفين، مضيئة من الباب، إلى أن استقبلتنا روضة (ميدان، حديقة)، احتوت فسقية (حوض من رخام في وسطه نافورة ماء)، في اندفاق، بمياه تُزيل الاتراح (الاحزان)، ولم نشعر، حتى خرجت صبية، فنظرت اليها يا أمير المؤمنين، فاذا هي أكمل من البدر في تمامه، بجبين أزهر، كالصبح إذا أسفر، فأتت فورا نحوي، وأجلستني بجانبها، بعد أن احتضنتني، وقالت: أهلا وسهلا بأختي العزيزة، ألفٌ مرحبا، آنستِني، وجبرتِ خاطري، قد أنشدت الدار، تَعْلَمُ مَنْ قَدْ زَارَهَا، أَهْلًا وَسَهْلًا، بِأَهْلِ الْجُودِ، وَالْكَرَمِ.

سيدتي، انا أعلم، أنك قد أتيت إلى هنا، لتحضري حفل زفاف، لكني، آمل أن يكون لدينا زفاف وافراح، من التراب، قصر قد قام، تعلَّقَ بالسحاب، ذات جمال، فيه الجوهر.

سيدتي، إن لي أخًا، وهو شاب أحسن مني، أوسم الرجال، أكثرهم إنجازًا، سمع أنك حزتي الحسن والجمال، ففتن بالصورة، ونظرك نظرة، اعقبته حسره، ومصيره، يعتمد عليك، وسيكون، أكثر الرجال بؤسا، إذا لم تُشْفِقِي عليه.

سيدتي، قد أَحَبَّكِ قلبُه، وإنه على علم بمكانتك، وأنك سيدة قومك، ويمكنني، أن أؤكد لك، أنه يستحق هذا الِاتّحاد، وهو الآخر، سيد قومه، ويريد أخي، أن يتزوَّجَكِ بسنة الله ورسوله، وما في الحلال، من عيب.

ثم، أقبلت عليَّ يا أمير المؤمنين، وقالت: لا يوجد لها نظير، مفروشة بالحرير، ببرعم أبيض، يغزل وينسج، وما نجاته، إلا أنت.

منذ وفاة زوجي، لم يطرأ على تفكيري، الزواج، مرة أخرى، لكن، بفضل جودِك، يُعاش بعد موتٍ، وينجبر الكسير، وصمتٌ ... فيها انتِ، نعم، سأروي قصتي ... وتَوَرّدَت خدودي.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

ففرحت الصبية وقالت: يا حُسن، تلك الخدود، العَندَمِيّاتِ (الحمراوات).

ثم، صفَّقَتْ بيدَيْها، ففُتح باب، وخرج منه شاب، نقيُّ الاثواب، وحسنٌ وجمال، وبهاء وكمال، رخيم (عَذْب) الدلال، بحاجب كقوس نِبَال (سهام)، وعيون، تختلس القلوب، بالسحر الحلال،

قَدْ زَادَ حُسْنًا تَبَارَكَ اللهُ
جَلَّ الَّذِي صَاغَهُ وَسَوَّاهُ
قَدْ حَازَ كُلَّ الْجَمَالِ مُنْفَرِدًا
كُلُّ الْوَرَى فِي جَمَالِهِ تَاهُوا
قَدْ كَتَبَ الْحُسْنُ فَوْقَ وُجْنَتِهِ
أُبْصرُ أَنَّ لَا مَلِيحَ إِلَّا هُو

فلما نظرتُ إليه، ذلك أحبه قلبي، ومال، وجلس بالقرب مني، وتحدثت معه ساعة، واكتشفت، من خلال المحادثة، أن جدارته، وفضيلته، أَعظَم مما أخبرتني به أخته، التي، عندما وجدت أننا سعداء، وراضون، صفقت مرة أخرى، وإذا بقاض، قد دخل ومعه أربع شهود، ثم، إنهم كتبوا كتابي، على ذلك الشاب، وانصرفوا، فالتفَتَ الشاب إليَّ، وقال: ليلةٌ، مباركة.

قلتُ: الحمد لله، وحده.

قال: يا سيدتي، إني، أشرط عليك، شرطًا.

قلتُ: يا سيدي، وما الشرط؟

قال: أنك لا تختارين أحدًا غيري، ولا تميلين، إليه.

قلتُ: أفعل ذلك.

ففرح فرحًا شديدًا، وعانقني، فأخذت محبته، بمجامع قلبي، وقدَّموا لنا السماط (ما يُمدّ من الموائد، ليوضع عليه الطَّعامُ، في المآدِب ونحوها)،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فأكلنا وشربنا، حتى اكتفينا، ودخل علينا الليل، وبتنا في عناق، إلى الصباح، ولم نزل على هذه الحالة، مدة شهر، ونحن في هناء، وسرور.

وبعد شهر من زواجنا، احتجت، أن أشتري بعض القماش، فاستأذنت زوجي، في أن أسير إلى السوق، فأذن لي، في الرواح، فلبست ثيابي، وأخذت معي، من باب الرفقة، السيدة العجوز، التي تحدثت عنها، والتي عاشت في المنزل، وجاريتين، ونزلت إلى السوق، فقالت لي العجوز، عندما وَصَلنا: سيدتي الطيبة، هنا تاجر، فتى شاب، مات والده، وخلف له مالًا كثيرًا، ومهما طلبتِ، تجديه عنده، وما عند أحد في السوق، أحسن من قماشه، فاقعدي بنا عنده، نشتري منه ما أردتِ، دون إرهاق نفسك، بالسير، من متجر إلى آخر.

فسمحت للعجوز أن تقودني، ودخلنا متجر تاجر شاب حسن، ضَامِرٌ (قليل اللحم) البَطْنِ، رَقِيقٌ الخَصْرِ، له وجه، كوجه الهلال، من شعره وجبينه، أمسى الورى، (الخَلْقُ من البَشَر) في ظلمة وضياء، وجلست، وطلبت منه، أن يريني أجمل الأقمشة الحريرية، التي لديه، فأخرج لنا ما طلبناه، فأعجبني أحدها، ووافق عليّ، فقالت العجوز له: كم ثمنه؟

ردا قال: أنا أبيعه، لا بفضة ولا بذهب، الا تتنازل لي، ببوسة، من خدها.

فقلت للعجوز: إن لم يأخذ الدراهم، أعطيهِ، قماشه.

ورغبت، في أن تخبره المرأة العجوز، أن اقتراحه، كان وقحًا، وسَفِيها، وقالت العجوز: ما الذي يفيدك، من القبلة؟

قال: إنها عندي، أحسن من كل ما في دكاني، ولا آخذ شيئًا، والقماش، هدية من عندي، في قبلة واحدة.

فقالت لي العجوز: يا ابنتي، قد سمعتِ هذا الشاب، وما يصيبك شيء، إذا أخذ منك قبلة، وتأخذين، ما تطلبينه.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فقلتُ لها: أَمَا تعرفين يَمِيني؟! والسعادة؟ والليالي؟

فقالت العجوز: انت ميلي بوجهك، وبوسة ولا غير، ولا عليك شيء، فأَطِيعِيني.

ولا زالت العجوز، تُحَسِّنُ لي الأمر، وأن ما يطلبه التاجر، لم يكن مهماً، وهو مجرد تقديم الخد، وأنه ينتهي سريعا، حتى أدخلت رأسي في الجراب، ورضيت بذلك، وملت له خدي، فلمَّا قبَّلني، عضَّني عضة قوية، حتى قطع اللحم من خدي، فكانا الألم والمفاجأة، كبيران، لدرجة أنه غشِي عليَّ، وسقطت، فأخذتني العجوز، وفرّ التاجر.

فلما أفقتُ، وجدتُ الدكان مقفلة، وخدي مغطى بالدماء، والعجوز، تُظهِر لي الحزن، وتقول: سيدتي الطيبة، أستجدي عفوكِ، أنا سبب هذه المحنة، أحضرتك إلى هذا التاجر، ولم أكن لأعتقد، أنه قادر، على مثل هذا الخبث، وإني، على جمر الغضا (شجر جمره شديد الالتهاب)، ما فيهم من نجيب، الكريم، الفاضل، الحسيب، لكن، لا تحزني، قومي بنا إلى البيت، واعملي نفسك ضعيفة، وأنا أجيء إليك بدواء، تداوين به هذه العضة، فتبرأ، سريعًا.

فقمتُ من مكاني، وأنا في غاية الفكر، واشتد بي الخوف، و

تَوَلَّتْ بِهجَةُ الدُّنيا
فَكُلٌّ جَدِيدِها خَلِقُ
وَخانَ النّاسُ كُلُّهُم
فَما أَدري بِمَنْ أَثِقُ
رَأَيتُ مَعالِمَ الخَيرا
تِ سُدَّت دُونَها الطُّرُقُ
فَلا حَسَبٌ وَلا نَسَبٌ
وَلا دينٌ وَلا خُلُقُ

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فَلَستُ مُصَدِّقَ الأَقوا
مِ في شَيءٍ وَإِنْ صَدَقُوا

ومشيت، حتى وصلتُ إلى البيت، واشتد عليّ الكرب، وظهر المرض، وإذا بزوجي دخل، وقال: حبيبتي، ما الذي أصابك؟

قلت له: ما أنا، طيبة.

فقرب مني، ورأى خدي مجروح، فقال: ما هذا الجرح، الذي بخدك؟

وإِرْتَأيت، أنه من الصعب الدخول، في تفاصيل، موضوع مثل هذا، وبَدا لي الاعتراف، مخاطرة، و

عاقَه مَقدور سوءٍ فَاِنثَنى
واِرتَوى بِالعارِ وَالرأيِ الأشر

فقلت: إني لما استأذنتك، وخرجت في هذا النهار، أشتري قماشاً، مرَّ حمال، يحمل حزمة من الخشب، وكان الطريق ضيق، فخدشني طرف عود من الحطب، وجرح خدي، كما ترى.

قال: غدًا أذهب إلى الحاكم، وأشكو له، فيشنق، كلَّ حمالٍ، في المدينة.

فشعرت بالخوف، من أن أكون سبب موت، الكثير من الأبرياء، فصرخت قائلة: احذر يا سيدي، فما هذا أمر محتمل، شنق الرجال، وسفك الدماء، هذا عمل ظالم، وأكون سبب قيامك بذلك، وادخل في خطيتهم، فلا أستحق، المغفرة.

أخبريني إذن بصدق، قال، ما سبب جرحك؟

قلت: فإني ركبت حمارًا، نفر بي، فوقعت على الأرض، فصادفني عود، فخدش خدي، وجرحني.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

لما كان الأمر كذلك، قال، غدًا أطلع لجعفر البرمكي، أحكي له الحكاية، فيقتل كلّ حمّار، في هذه المدينة.

قلت: هل أنت تقتل، الناس كلهم، بسببي؟ أرجوك، تعفو، عن هؤلاء الرجال، الفقراء، وبكيت.

قال: ماذا إذن يا سيدتي، ماذا عليّ، أن أصدق؟ تكلمي! أنا أريد، سماع الحقيقة، من شفتيك.

أجبته: مولاي، استولى عليّ دوار، فسقطت، وهذا، الذي جرى، لي.

أكاذيبك أكاذيب، لقد استمعت لفترة طويلة، إلى أكاذيبك، ولا سمعت عمري، وما أسرع، ما نسيتِني! وبهذه الكلمات، فقد زوجي صبره، وصفق بيديه، فدخل ثلاث عبيد، فصاح: اسحبوها، وارموها، وسط الدار.

ونفذ العبيد، أمره على الفور، فأمسك أحدهم، بكتفيّ، وآخر، جلس على ركبتيّ، وأمسك برجليّ، وأمر الثالث، أن يأخذ سيفًا، وقال له: اضربها ضربة، تقسمها نصفين، وارموها في بحر الدجلة، فيأكلها السمك، وهذا جزاء، مَن يخون الأيمان، والمودة، و

إِذَا كَانَ لِي فِيمَنْ أُحِبُّ مُشَارِكٌ
مَنَعْتُ الْهَوَى رُوحِي لِيُتْلِفَنِي وَجْدِي
وَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً
فَلَا خَيْرَ فِي حُبٍّ يَكُونُ مَعَ الضِّدِّ

اضرب، ماذا تنتظر، تابع قائلا، من يمنعك؟

فقلتُ: يا عبدَ الخير، تمهَّلْ عليَّ قليلًا، حتى أتشهَّد، وأوصي.

ثم، رفعتُ رأسي، ونظرتُ إلى حالي، وكيف صرتُ في الذلّ، بعد العزّ؛ فجرَتْ عَبرتي (دمعتي)، وبكيتُ، وأنشدت:

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

أَقَمْتُمْ فِرَاقِي فِي الْهَوَى وَقَعَدْتُمْ
وَأَسْهَرْتُمْ جَفْنِي الْقَرِيحَ وَنِمْتُمُ
وَمَنْزِلُكُمْ بَيْنَ الْفُؤَادِ وَنَاظِرِي
فَلَا الْقَلْبُ يَسْلَاكُمْ وَلَا الدَّمْعُ يُكْتَمُ
وَعَاهَدْتُمُونِي أَنْ تُقِيمُوا عَلَى الْوَفَا
فَلَمَّا تَمَلَّكْتُمْ فُؤَادِي غَدَرْتُمُ
وَلَمْ تَرْحَمُوا وَجْدِي بِكُمْ وَتَلَهُّفِي
أَأَنْتُمْ صُدُوفَ الْحَادِثَاتِ أَمِنْتُمُ
سَأَلْتُكُمُ بِاللهِ إِنْ مُتُّ فَاكْتُبُوا
عَلَى لَوْحِ قَبْرِي إِنَّ هَذَا مُتَيَّمُ
لَعَلَّ شَجِيًّا عَارِفًا لَوْعَةَ الْهَوَى
يَمُرُّ عَلَى قَبْرِ الْمُحِبِّ فَيَرْحَمُ

فلما فرغتُ من شعري، بكيتُ، فلما سمع الشعر، ونظر إلى بكائي، ازداد غيظًا على غيظه، وأنشد:

تَرَكْتُ حَبِيبَ الْقَلْبِ لَا عَنْ مَلَالَةٍ
وَلَكِنْ جَنَى ذَنْبًا يُؤَدِّي إِلَى التَّرْكِ
أَرَادَ شَرِيكًا فِي الْمَحَبَّةِ بَيْنَنَا
وَإِيمَانُ قَلْبِي لَا يَمِيلُ إِلَى الشِّرْكِ

فلما فرغ من شعره، بكيت واستعطفته، وقلت في نفسي: أتواضع له، وألين له الكلام، لعله يعفو عني من القتل، ولو كان يأخذ، جميعَ ما أملك، ثم، شكوتُ إليه ما أجده، وأنشدت:

وَحَقِّكَ لَوْ أَنْصَفْتَنِي مَا قَتَلْتَنِي
وَلَكِنَّ حُكْمَ الْبَيْنِ (المودة والْعَدَاوَة) مَا فِيهِ مُنْصِفُ
وَحَمَّلْتَنِي ثِقْلَ الْغَرَامِ وَإِنَّنِي
لَأَعْجَزُ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَأَضْعُفُ
وَمَا عَجَبٌ إِتْلَافُ رُوحِي وَإِنَّمَا
عَجِبْتُ لِجِسْمِي بَعْدَكُمْ كَيْفَ يَصْرِفُ

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فلما فرغتْ من شعري، بكيتُ، فنظرني ونهرني، وقال: ما لنا حاجة، بثنائك، وأنشد:

تَشَاغَلْتُمْ عَنَّا بِصُحْبَةِ غَيْرِنَا
وَأَظْهَرْتُمُ الْهِجْرَانَ مَا هَكَذَا كُنَّا
سَنَتْرُكُكُمْ لَمَّا تَرَكْتُمْ مَرَامَنَا
وَنَصْبِرُ عَنْكُمْ مِثْلَ صَبْرِكُمُ عَنَّا
وَنَهْوَى سِوَاكُمْ مُذْ جَنَحْتُمْ لِغَيْرِنَا
وَنَجْعَلُ قَطْعَ الْوَصْلِ مِنْكُمْ وَلَا مِنَّا

فلما فرغ من شعره، صرخ على العبد، وقال: اشطرها نصفين، فليس لنا فيها، فائدة.

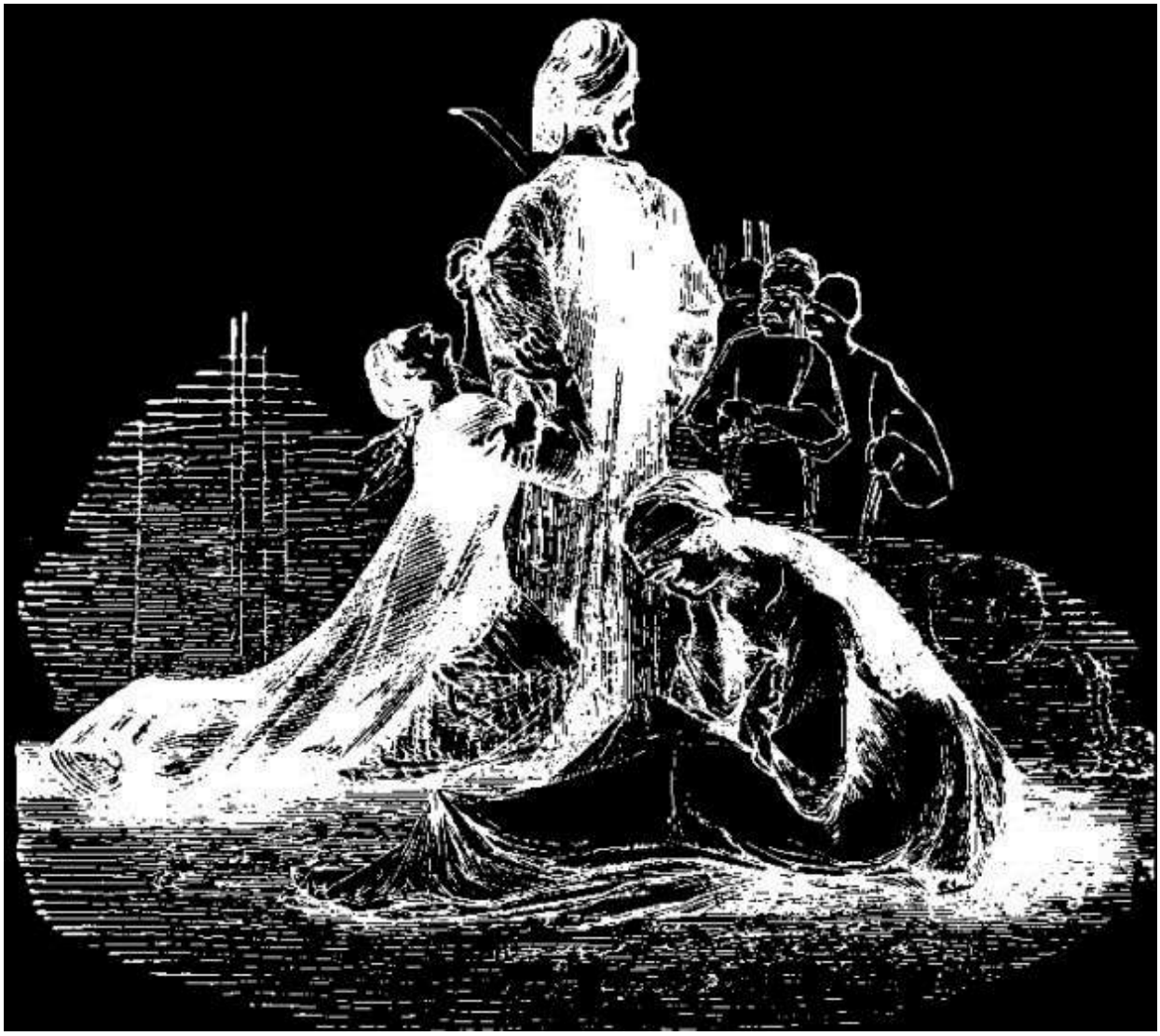

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

فبينما نحن كذلك، نتشاجر بالأشعار، تقدَّمَ إليَّ العبد، فأيقنتُ بالموت، ويئست من الحياة، وإذا بالعجوز، قد دخلت وقالت: يا ولدي، بحق تربيتي لك، تعفو عن هذه الصبية، فإنها، ما فعلَتْ ذنبًا، يوجب ذلك، وأنت شاب صغير، أخاف عليك من دعائها، وماذا يقول الناس، عن هذا الغضب الدموي، تشوه سمعتك بقسوتك، وتفقد، تقدير الناس.

ثم، بكت العجوز، ولم تزل تلحُّ عليه، حتى قال: قد عفوت عنها، ولكن، لا بد أن أعمل فيها أثرًا، أثرًا، يذكرها، بجريمتها.

ثم، أحضر قضيبًا من سفرجل، ونزل به على جسدي بالضرب، ولم يزل يضربني على ظهري وجنبيَّ، حتى غبتُ عن الوجود، من شدة الضرب، ويئست من حياتي، فأمَرَ العبيدَ، أنه إذا دخل الليل، يحملونني، ويأخذون العجوز معهم، تدلهم على البيت، فيرمونني في بيتي الذي كنتُ فيه سابقًا، ففعلوا ما أمرهم به سيدهم، ورموني في بيتي، وراحوا.

ولا زلت انا في غشوتي، حتى لاح الصباح، فلاطفت جسدي، بالمراهم والأدوية، واستمررت في مداواة نفسي، أربعة أشهر، حتى شُفِيت، فلما شفيت، بقيت أضلاعي، كأنها مضروبة بالمقارع، كما ترى، ثم، جئتُ إلى الدار، التي جرى لي فيها، ذلك الأمر، فوجدتُها خربة، فجئت إلى أختي هذه، التي من أبي، فسلَّمت عليها، وأخبرتها بخِزْيي، وبجميع ما جرى لي، فحثتني على تحمل مصابي بصبر، وقالت لي: هذا هو العالَم، مَن ذا، الذي من النكبات، سليم، و

ما الدّهرُ إلاّ هكذا فاصْطبرْ لهُ
إذا اشتدَّ ضيق فانتظر بعدهُ فتحا

ثم، أخبرتني بخبرها، وبجميع ما جرى لها، مع أختَيْها، وما قد صرن اليه، وقدمت لي، أختي الصغرى، التي جاءت للعيش معها، بعد وفاة، والدتنا.

وفي كل يومٍ، تخرج أختاً، فتشتري لنا، ما نحتاج إليه، من المصالح، واستمررنا على هذه الحالة، إلى هذه الليلة، التي مضت، فخرجَتْ أمينة،

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي

تشتري لنا، ما نحتاج إليه، فوقع لنا ما وقع، من مجيء الحمال، والغرباء، ومن مجيئكم في صفة تجار، وكنا شرطنا شرطا، فخالفتمونا فيه، فقابلناكم على مخالفتكم، واستخبرناكم، عما جرى لكم، فحكيتم لنا حكايتكم، وما جرى لكم، فعفونا عنكم، وانفصلتم عنا، وما نشعر اليوم، الا ونحن بين يدَيْك، وهذه، حكايتنا.

فأعرب الخليفة، عن رضاه، بمعرفة، جميعَ ما جرى، لزبيدة وصافية، وتعجَّبَ من حكايتهما، فجعلهما، تاريخًا مثبتًا، في خزانته، ثم، إنه قال لزبيدة: سيدتي، أعلميني، ألم تخبرك الجنية، التي سحرت أختَيْك، عن منزلها، أو تعد، برؤيتك، مرة أخرى؟

أمير المؤمنين، أجاب زبيدة، نسيت أن أقول لجلالتك، أن الجنية، وضعت شيئًا من شعرها، في يديّ، في يوم أحتاج حضورها، قالت: أحرقي من هذا الشعر شيئًا، فأحضر إليك عاجلًا، ولو كنتُ، خلفَ جبل، قاف.

سيدتي، سأل الخليفة، أين، الشعر؟

وكانت زبيدة، حريصة أن تحمل الشعر معها، دائمًا، منذ ذلك الحين، في علبة، فأخرجتها من جيبها، وفتحت غطاءها، وأظهرت الشعر للخليفة، فقال: دعونا نجعل الجنية، تظهر الآن، لأن مرادنا، أن نأخذ، حاجتنا منها.

ووافقت زبيدة، فتم إحضار بعض النار، فوضعت قدراً من الشعر، وأحرقت منه شيئًا، فلما فاحت رائحته، اهتز القصر، وسمعوا دويًّا وصلصلة، وإذا بالجنية حضرت، على شكل سيدة، ترتدي ملابس جميلة، وكانت مسلمةً، فقالت: السلام عليك، يا أمير المؤمنين.

قال الخليفة: وعليكم السلام، ورحمة الله، وبركاته.

أمير المؤمنين، قالت الجنية، هذه الصبية، زرعت معي جميلًا، ولا أقدر، أن أكافِئَها عليه، فهي، أنقذتني من الموت، وقتلت عدوي، ورأيت، ما فعله معها أختاها، فما رأيت، إلا أني أنتقم منهما، فسحرتهما كلبين، بعد أن

أردتُ قتلهما، فخشيت، أن يصعبَا عليها، وإنْ أردتَ خلاصهما، يا أمير المؤمنين، أخلِّصهما، كرامةً لك، ولها.

قال الخليفة:

إياكَ أن تطمعَ في حاسدٍ
في كلِ ما بيديهِ من ودِّه
فإنه ينقُضُ في سرعةٍ
جميعَ ما يبرمُ من عِقدهِ

ويكفي العفو، عن ضرب هاذين الكلبين، كلّ واحد منهما، مئة سوط، واِشْفِي، صافية، من ندوبها.

ثم، إن الخليفة، خصص لكل من الأمراء الغرباء، قصرًا رائعًا، في مدينة بغداد، وألحقهم بمجلسه، وأحضر القضاة والشهود، وزوَّجَ الثلاثة امراء، لزبيدة وصافية وأمينة، وحصل الخليفة هارون الرشيد، على ألف بركة، لإعطائه السعادة، لعدد من الأشخاص، الذين عانوا، من مصائب، لا تصدق.

فقالت عزيزة، لأختها لُبَابَة: يا اختاه، هذه قصة جميلة، لطيفة، لم يسمع مثلها قط، ولكن، احكي قصة أخرى، نقضي، ما بقي، من سهر ليلتنا.

الليالي العربية، الجزء الأول - إصلاح محمد وائل الكردي